وقاية الإنسان

من الجن والشيطان

تأليف

وحيد بن عبد السلام بن بالي

دار ابن رجب

تقريظ

بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله محمد المبعوث إلى الثقلين، وآله الطاهرين وصحابته أجمعين.

أقول: لقد ناولني بالمسجد النبوي الشريف الأستاذ وحيد عبد السلام بالي، ناولني كتابه: "وقاية الإنسان من الجن والشيطان" ورغب إليَّ في قراءته، وإبداء رأيي فيه، فأجبته إلى ذلك على كثرة أشغالي، وانشغال بالي، وقرأت الكتاب من مقدمته إلى خاتمته فوجدته سليماً من الأخطاء العقلية والنقلية معاً، وأنه في بابه وما كتب من أجله شافٍ كافٍ، فقد أحل به التصورات الإسلامية لقضية شبه ضالة نفت قديماً وحديثاً حلول الجان في الإنسان والتحدث على لسانه، والإفصاح عن كنهه ومراده.

وزان الكتاب والكاتب معاً الطابع السلفي الذي تجلى في إيراد صحاح الأحاديث وحسنها دون ضعيفها، وبالالتزام بتخريجها بعزوها إلى مصادرها ومخرجيها، فأراح بذلك القراء والمطالعين المستفيدين من داء الاختراق للمحسنين.

وإن كان الكتاب يقرأ من عنوانه كما قيل فإن كتاب الأستاذ وحيد أفاد فائدتين عظيمتين قلما اجتمعتا في كتاب من نوع كتابه، أولاهما تقرير عقيدة الحق في وجود الجان ومظاهر وجودهم وآثار أعمالهم وتصرفاتهم في الحياة بالخير والشر، والنفع والضر، وثانيتهما بيان الطرق والرقى الصالحة لمعالجة مس الجن والسحر والعين، فهو كتاب يبين الداء والدواء، وتلك ميزة كبيرة تجعل الكتاب يوضع في يد كل مؤمن ومؤمنة ممن يقرأون ويفقهون.

هذا وآخر ما أقول: اللهم انفع مؤلف الكتاب بما كتب، وانفع به من طلب الحق فيه فعرفه واهتدى به، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

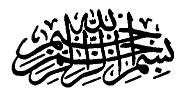
أبو بكر جابر الجزائري المدرس

بالمسجد النبوي الشريف

١٠/٩/١٤٠٩هـ

وِقَايَةُ الإِنْسَانِ

مِنَ الجِنِّ وَالشَّيْطَانِ



الطبعة الحادية عشر

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٣٥٤٩
الترقيم الدولي: I.S.B.N
977 -.5932 - 83 - 1

الناشر

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٢٣٨٣٠٣٥٦
فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢٢١٢٠٦٨

تقريظ

بعد حمد الله تعالى، والصلاة، والسلام على رسوله محمدٍ المبعوث إلى الثقلين وآله الطاهرين وصحابته أجمعين أقول: لقد ناولني بالمسجد النبوي الشريف الأستاذ/ وحيد عبد السلام بالي، ناولني كتابه: «**وِقَايَةُ الإِنسَانِ مِنَ الجِنِّ والشَّيْطَان**» ورغّبَ إليّ في قراءته وإبداء رأيي فيه، فأجبته إلى ذلك على كثرة أشغالي وانشغال بالي. وقرأت الكتاب من مقدمته إلى خاتمته، فوجدته سليمًا من الأخطاء العقلية والنقلية معًا، وإنه في بابه وما كُتبَ من أجله شافٍ كافٍ، فقد أبطلَ به التصورات الخاطئة لفئةٍ شبْه ضالة نفت قديمًا وحديثًا حلول الجان في الإنسان والتحدث على لسانه، والإفصاح عَن كنهه ومراده.

وزان الكتابَ والكاتبَ معًا الطابعُ السلفيُّ الذي تجلى في إيراد صحيح الأحاديث وحسنها دون ضعيفها وباطلها مع تخريجها بعزوها إلى مصادرها ومخرجيها، فأراح بذلك القراء والمطالعين المستفيدين، فجزاه الله جزاء المحسنين.

وإن كان الكتاب يُقرأ من عنوانه كما قيل فإن كتاب الأستاذ «وحيد» أفاد فائدتين عظيمتين قلّما اجتمعتا في كتاب من نوع كتابه:

أولاهما: تقرير عقيدة الحق في وجود الجان، ومظاهرِ وجودهم، وآثارِ أعمالهم، وتصرفاتهم في الحياة بالخير والشر والنفع والضر.

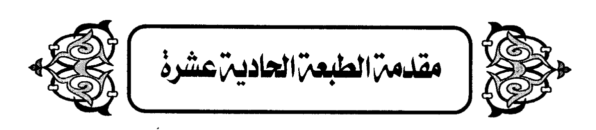
ثانيتهما: بيان التعوذات والرُّقى الصالحة لمعالجة مسِّ الجن والشيطان، فجمع الكتاب بين بيان الداء والدواء، وهي ميزة كبيرة تجعل الكتاب بغْيَةَ كل مؤمن ومؤمنة ممن يقرءون ويفهمون.

هذا، وآخر ما أقول: اللَّهم انفع مؤلِّف الكتاب بما كتب، وانفع من طلب الحق فيه، فعرفه واهتدىٰ به. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

في ١٠/١/١٤٠٩هـ



الحمد لله الذي هدىٰ أولياءه إلىٰ طاعته، وبغَّض إليهم معصيته، وجعل الصلاة قرةَ عيونِهم، والدعوةَ إليه سبيلَهم، والصبرَ علىٰ ذلك طريقَهم، والعِلَم مرشدَهم، والكتاب والسنةَ أنيسَهم، وإرضاءَ اللهِ غايتَهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من تمسكَ بحبله نجا، ومن تركه هلك، ومن استنصره نصره، ومن دعاه أجابه، ومن سأله أعطاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن استغنىٰ به أغناه، ومن سار علىٰ طريقه سدَّدَه ومن استرشد به أرشده، ومن استعان به أعانه.

خالقُ البريات، وعالِمُ الخَفيِّات، ومدبرُ أمر الأرض والسموات، تسبِّحه الطيور في أوكارِها، وتمجِّدُه الأملاكُ في الآفاق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهداية الكبرىٰ، والنعمة العظمىٰ، فبصَّر به من العمىٰ، وأرشدَ به من الغَيِّ، وهدىٰ به من الضَّلالة، وعَلَّم به من الجَهالة.

وبعــــد: فهذه هي الطبعة الحادية عشرة من كتاب «**وقاية الإنســان من الجن والشيطان**» أقدمُها لإخواني في العالم الإسلامي وفيها بعضُ الزيادات والتعديلات، وقد حذفتُ عدة أحاديث ظهر لي ضعفُها، فأرجو من الأخوة الذين قاموا بترجمة الكتاب للغات الأخرىٰ أن يقوموا بإجراء هذه التعديلات ليقدِّموا الكتاب لإخواننا المسلمين غير الناطقين بالعربية في أفضل صورةٍ ممكنة.

وأسأل الله تعالىٰ أن يبارك في هذا العمل ويجزي كلَّ من نشره بين المسلمين خير الجزاء، وأن يوفقنا للقول السديد والعمل الرشيد.

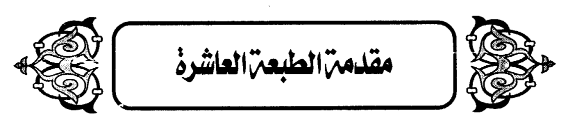
وإيمانًا مني بأن عمل البشر لا ينفك عن نقص؛ لا سيما إذا كان المؤلفُ قليل العلم - مثلي - فأُهيبُ بكل مَن وقف علىٰ ملاحظة أو تعديلٍ أو استبدالٍ أن يتكرم ويتصل

بي أو بالناشر ليتم تعديله إن شاء الله في الطبعات القادمة إن كان في العمر بقية .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك

وكتبه
وحيد بن عبد السّلام بالي

مصر ـ منشأة عباس في ٩/ ٤/ ١٤٢٢هـ



مقدمة الطبعة العاشرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لقد كان علاج السحر والمس مقصوراً - في فترة من الزمن - علىٰ السحرة والمشعوذين والدجالين، حتىٰ راجت سوقهم، ونفقت بضاعتهم، وكنتَ ما تفتأ تمر ببيت ساحر إلا رأيت طوابير الناس حوله يطلبون عنده العلاج، ويبتغون منه الشفاء، فكان ذلك المنظر المهين يُقَطِّع كبد كل مسلم غيور، ويفطِّر قلب كل مؤمن موحد، وإذا نصحتهم لوَّوا أعناقهم وقالوا: وماذا نصنع؟! وهل عندكم حل لهذا السحر؟ أو طريقة لإخراج هذا الجن؟ وحينها يصطدم الداعية بأرض الواقع، لا يجد جوابًا شافيًا، ولا قولاً كافيًا، غير «اللَّهُمَّ اهد قومي، فإنهم لا يعلمون».

وثمة مصيبة أخرىٰ انتشرت في بعض الدول العربية لا سيما مصر، وهي الذهاب إلىٰ القساوسة في الكنائس لعلاج المس والسحر، فيأمرهم القساوسة بلبس الصليب فيفعلون ذلك ابتغاء الشفاء - بزعمهم - ثم يقرءون عليهم ترانيم معينة، ويعطونهم أوراقًا بها شرك عظيم.

ولكن شاء الله القدير أن يمحو هذه الظلمة بنور الوحيين القرآن والسنة. فظهر العلاج بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث من سنة خاتم النبيين - علىٰ يد ثلة طيبة من الشباب المبارك شباب الصحوة، حيث بدءوا يعالجون مرضىٰ المس والسحر بالعلاج الشرعي، فإذا بالجنان تنقاد لهم وتخرج علىٰ أيديهم، رحمة من ربك، وإذا بالسحر يفك ويبطل، بإذن الله تعالىٰ. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل

العظيم، ومن سمات هذا الشباب الطيب أنه لا يأخذ على العلاج أجرًا ولا يقبله، لأنه يعتبره بابًا من أبواب الدعوة إلى الله وشعارهم ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(1) ، وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾(2) .

وظل الأمر على ذلك حتى انتشر العلاج الشرعي فبادت دولة السحرة، وبارت بضاعتهم، وأغلق كثير منهم أبوابهم، وذهبوا يبحثون عن عمل آخر يقتاتون منه، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(3) .

ومن مزايا العلاج بالقرآن:

١ ـ أنهم يربطون المريض بالله العظيم، فيأمرونه بالمحافظة على الطاعات والبعد عن المحرمات، والاقتراب من رب الأرض والسموات، كاشف الكربات وشافي الأمراض المستعصيات، فيعالجون بذلك أمراض القلوب والأبدان معًا فطوبى لهم وحسن مثاب.

٢ ـ أنهم لا يقبلون على العلاج أجرًا من غني أو فقير، فينشرون مبدأ التكافل والتعاون في زمن سادت فيها الماديات.

٣ ـ أنهم يلتزمون بما صح عن رسول الله ﷺ فيقضون بذلك على الخرافات والشعوذات.

٤ ـ بفضل العلاج القرآني دخلت الدعوة بيوت علية القوم الذين كانوا لا يعرفون شيئًا عن الإسلام إلا اسمه، ولا عن الدين إلا رسمه، فلقد كان رائدهم هو التلفاز؛ فمنه يأخذون ثقافتهم، بل قيمهم وأخلاقهم، والتلفاز ـ قاتله الله من جهاز ـ داعي الدعارة، وناشر الفجور ـ إذا دخل بيتًا دَمَّرَهُ بما يبثُّ فيه من فسق وفجور وعصيان.

فإذا بهم يعرفون طريق الله وهدي رسوله ﷺ فكم من أسرة استقامت بهذا

(1) [الشعراء: ١٤٤]. (2) [هود: ٢٩].
(3) [الأنعام: ٤٥].

السبب، وكم من رجل التزم من هذا الطريق، والحمد لله أولاً وآخراً.

ولكن:

دخل أمر العلاج بعض الشباب الذين لم تستو سوقهم في الاستقامة، ولم ينضج علمهم في الفقه، وأخذوا يعالجون بالقرآن - بزعمهم - متشبهين بأحمد بن حنبل وابن تيمية رحمهما الله. وهم لم يتموا حفظ القرآن بعد، بل وقد لا يعرفون نواقض الوضوء، أو أركان الصلاة، أو شروط صحتها، فضلاً عن غيرها من أمور دينهم، وغاية أمر أحدهم أنه حفظ الرقية أو قرأ كتاباً أو كتابين ثم بدأ يعالج، فإذا بهم يقعون في المحظور وهم لا يدرون - لجهلهم - فانتشرت البدع في علاجهم، وكثرت الخرافات، وسبب ذلك أمران:

الأول: جهل المعالج بأمور الدين.

الثاني: تصديق الجنِّي في كل ما يخبر به؛ لأنه أحياناً يقدم الجنيُّ نصائح للمعالج فيقول مثلاً: إن حالة كذا اقرأ لها آيات كذا، أو: اكتب القرآن بطريقة معينة ثم افعل به كذا وكذا مثلاً، فيأخذ بنصيحة الجن، مما حدا بكثير منهم أن يقعوا في المحظورات.

ومما بلغني من هذه المحظورات:

١ - كتابة القرآن على جسم المريض.

٢ - كتابة الحروف المقطعة في أول السورة على أصابع المريض.

٣ - كتابة نون مقلوبة على الجبهة.

٤ - كتابة لفظ الجلالة على قماشة وحرقها ويشمها المريض.

٥ - إطلاق البخور أثناء العلاج.

٦ - النظر في وجه المريضة أثناء العلاج ليعرف نوع الجن - بزعمه - (والنظر إلى النساء حرام).

٧ ـ يأمر المريض أن يرفع يديه أثناء القراءة ثم يخاطب الجنيَّ قائلاً:
إن كان به سحر فضم يديه، وإن لم يكن به مس فافتح يديه.
٨ ـ القراءة على المريضة بدون وجود محرم معها.
٩ ـ وضع يده على جسم المريضة أثناء العلاج.
١٠ ـ أمر المريض أن يمتنع عن أنواع معينة من الطعام لأن ذلك يضعف الجن بزعمه.
١١ ـ القراءة على ملح ورشه في المنزل.
١٢ ـ القراءة على الصورة الفوتوغرافية بدلاً من إحضار المريض.

وغير ذلك من المخالفات، ولو قام بعض إخواننا من طلبة العلم بالتقصي لما عليه المعالجون الآن ثم يكتب رسالة في بدع العلاج لكانت نافعة (١)، لا سيما إذا ذكر الدليل على بدعية كل فعل يذكره.

من أجل هذه المخالفات وغيرها رأيت بعض الدعاة ينادون بإغلاق باب العلاج تمامًا وعدم فتحه درءًا للفتنة وسدًا للذريعة.

وممن يرى ذلك فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي ـ رحمه الله ـ وغيره من الدعاة الغيورين على التوحيد أن يُخدش، وعلى الشباب أن يُفتن.

وممن يرى ذلك فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب ـ حفظه الله ـ فقد حدثني ببعض هذه البدع، ورأى أنه ينبغي أن ننادي بإغلاق هذا الباب، وحث المرضى أن يستعينوا بالله ويتوكلوا عليه، فهو وحده كاشف الهم.

في حين هناك دعوة من آخرين تنادي بفتح هذا الباب: بل وتوسيعه حتى ينتشر بين المسلمين ويوصد الباب على المشعوذين والسحرة والدجالين، وقالوا: لو توقف كل معالج بالقرآن الكريم لاضطر الناس للذهاب إلى السحرة والمشعوذين، بل وللكنائس أيضًا كما كان يحدث قديمًا ومازال ـ ولكن بقلّة.

(١) وذلك لانشغالي عن هذا الموضوع بما هو أهم منه.

وقـالوا: حتىٰ لو أتىٰ بعض المعالجين القرآنيين ببعض البدع، فهي في الحقيقة أخف من ترك الناس للذهاب إلىٰ السحرة الكفرة الفجرة، فهذا من باب ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعظمهما.

والذي نراه: ونحن نتوسط بين الفريقين - لتحصيل المصلحتين ودفع المفسدتين، وذلك بما يلي:

١ - الترشيد الدائم لمسيرة العلاج عن طريق دورات منظمة للمعالجين وتبصيرهم بما يجوز وما لا يجوز بخصوص هذا الأمر.

٢ - متابعة الأخوة المعالجين في كل حيٍّ أو قرية، أو مدينة عن طريق الدعاة الموجودين في هذه الأماكن.

٣ - تبصير عامة الناس بالبدع والمخالفات التي يقع فيها بعض المعالجين، فإذا رأوها منهم أنكروا عليهم.

٤ - متابعة الإخوة المعالجين علىٰ الاستمرار علىٰ فعل هذه المخالفات بعد المناصحات المتكررة من الدعاة في منطقته، فينبغي حينئذٍ للدعاة أن يُحَذِّروا منه وأن يدعوا الناس لمقاطعته وعدم الذهاب إليه.

٥ - تعريف الناس بالعلاج الشرعي لحالات المس والسحر، ليقوم كل إنسان بمعالجة نفسه ومحارمه من النساء، حتىٰ لا يضطر أن يأخذهن للمعالجين.

قضية هامة:

يسأل كثير من المعالجين عن حكم الاستعانة بالجن في العلاج لا سيما إن زعم الجنيُّ أنه مسلم، بل ويعرض مساعداته دونما شروط.

والجواب:

هذا لا يجوز لعدة أمور:

١ - أن الجنيَّ لا يساعد المعالج إلا بمقابل، سواءٌ علم المعالج ذلك أم جهله،

وسوف أبين لك ذلك :

الجنيُّ لا يساعد المعالج إلا بطريقتين:

الأولى: أن يساعده عن طريق التلبس بأحد الموجودين ثم القيام بمهاجمة الجنيِّ الصارع أو الإخبار عن نوع المرض (المس - السحر - الحسد) على لسان ذلك الشخص .

الثانية: أن يناديه المعالج بكلمة يتفقان عليها فيدخل الجنيُّ عندها مباشرة إلى جسد المريض ويصارع الجنيَّ الموجود ويخرجه إن استطاع .

وكلتا الطريقتين لا تجوز:

أما الأولى: لا تجوز لأمور:

١ - يحرم تلبس الجنيِّ بالإنسي ، ومن ثم يحرم السماح له بذلك .

فإن قال قائل لكنَّ: الإنسي راضٍ بذلك .

فالجواب : حتى وإن كان راضيًا فإن الرضا لا يحل الحرام فالمرابيان متراضيان والربا حرام ، والزاني والزانية متراضيان والزنا حرام .

٢ - قد يخبره الجنيُّ بأمور خلاف الواقع كأن يقول : هذا به مس ويكون سحرًا ، أو هذا به عين ويكون مسًا ، والكذب في الجن كثير جدًا .

٣ - هذه الطريقة تجعل الشخص الذي دخل فيه الجنيُّ عرضة للمس بعد ذلك .

والطريقة الثانية لا تجوز أيضًا لأمور:

١ - قد يكون الجنيُّ كافرًا ويدَّعي الإسلام ، فتكون استعانة بكافر .

٢ - قد يتفق الجنيُّ المساعد مع الجنيِّ الصارع على أن يظل الجنيُّ الصارع مع المريض ، ولكن يهدئ الوضع كي يظن المعالج أنه خرج ، وهذا يحدث كثيرًا .

٣ - حينما يترك المعالج العلاج بالقرآن ويستعين بالجن فإن هذا يدل على أن ثقته

في جدوى الاستشفاء بالقرآن قلّت . بل وربما تكون قد انعدمت .

٤ ـ هب أن مجموعة من المعالجين يستعينون بالجن في علاجهم ، ثم أراد أحد الناس أن يعالج مريضه عند أحدهم ، فمن يختار منهم؟

سوف يجلس في بيته ويسأل عن المعالجين ، فيقال له : لا تذهب إلى فلان ، فإن معه جنيًا صغيرًا لا يكاد يبين ، وفلان معه جنيٌّ ضعيف يفلح أحيانًا ولا يفلح أحيانًا أخرى ، ولكن فلانًا معه جنيٌّ قوي فاذهب إليه ! !

فبأي شيء تعلقت قلوب الناس؟

هل تعلّقت بالله العظيم؟

هل تعلقت بالقرآن الكريم؟

لا ، بل تعلقت بغير الله ، تعلقت بالجن ، وهذا هو الخطر العظيم ، والشر المستطير الذي نحذر منه ، فليتق الله رجلٌ يخاف ربه ، ويخشى عذابه ، ويرجو ثوابه .

والخلاصة أن ذلك لا يجوز .

الأمور التي رجعت عنها في هذه الطبعة :

إننا نقول القول اليوم ثم نرجع عنه غدًا ، فلا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ، ما لم يعلم دليلنا ، وكم من مسألة رجعت عنها في الحديث والفقه وغيرهما ، فمثلاً :

١ ـ قد كنت أقول بدلالة الاقتران في الأصول ثم رجعت عنها لما تبين لي انتقاضها .

٢ ـ قد كنت أقول بطهارة جميع الجلود بالدباغ تبعًا للظاهرية والشوكاني رحمهم الله ثم رجعت عنه إلى قول الشافعي رحمه الله باستثناء الكلب والخنزير ، للنجاسة العينية وغيرها من الأدلة ، وهذا مروي عن عليِّ بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما .

٣ ـ قد كنت أقول فيمن توضأ فغسل رجله اليمنى ثم لبس الخف ثم اليسرى ثم

لبسه: أنه يجوز له أن يمسح عليه، تبعًا لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ثم وقفت على رواية صحيحة عند ابن خزيمة لحديث صفوان وفيها: «إذا نحن أدخلناهما على طهور» (١/ ٩٧) فرجعت إلى قول الجمهور (الشافعي ومالك وأحمد وإسحاق وغيرهم رحمهم الله) من اشترط غسلهما جميعًا إتمامًا للطهور قبل لبس الخفين.

٤ ـ وفي الصلاة قد كنت أقول بركنية التسليمة الثانية، تبعًا للإمام أحمد رحمه الله، ثم رجعت عن ذلك إلى سنيته بعدما وقفت على حديث عائشة.

٥ ـ وفي الرضاع قد كنت أقول باشتراط اللقاء على الثدي الواحد ثم رجعت إلى اعتبار لبن الفحل وإن لم يلتقيا على ثدي واحد.

٦ ـ وفي المزارعة قد كنت أقول باشتراط أن يكون البَذْرُ من رب الأرض دون المستأجر، ثم رجعت إلى اعتبار ما اشترطاه.

وغير ذلك كثير[1].

وفي هذه الطبعة رجعت عن عدة أمور:

١ ـ طول الحوار مع الجني لا فائدة منه، بل إنه يتعب المريض ويُمَكّن للجنيِّ في الجسم.

٢ ـ حذفت حديث أم أبان، حيث نبهني أخونا الشيخ علي حشيش ـ جزاه الله خيرًا ـ على علة فيه.

٣ ـ حذفت حديث ابن عباس في الجرو الأسود؛ من أجل فرقد السبخي.

٤ ـ حذفت حديث أبي بن كعب، وحديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه في ذكر آيات الرقية لضعفه.

٥ ـ حذفت بعض التحصينات من الفصل السادس؛ لأنه لم يثبت عليها دليل.

٦ـ وهناك تنبيهات ستراها مبثوثة في الكتاب.

(١) وهذا موضح بأدلته في كتاب «السبائك الذهبية في المسائل الفقهية» يسر الله إتمامه، وسدد كتابه.

وأسأل الله العلي الكريم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أن يتجاوز عني بمنه وكرمه، وأن يجعل هذا الكتاب في ميزان الحسنات يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم اجعله لك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.

وأنا أهيب بكل من يرى في هذا الكتاب أو غيره من كتبي مخالفة شرعية، فليتكرم بالاتصال بي أو بالناشر وإرسال ملاحظاته، وله جزيل الشكر.

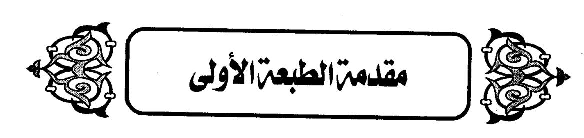
وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

وحيد بن عبد السلام بالي

منشأة عباس في ١٥/ ٥/ ١٤١٧هـ

٢٧/ ٩/ ١٩٩٦م



مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فإنه من الواجب على علماء المسلمين أن يقوموا حراسًا على العقيدة ويذبوا عنها تشكيك المشككين، ويبعدوا عنها كل دخيل؛ لأنها هي قوام الدين وركنه المتين، ولقد رأيت كثيراً من المسلمين يَخرجون من ديارهم جماعات وفرادىٰ ويذهبون إلى عرَّاف أو كاهن، يصدقونه، بل ويعتقدون أنه يعلم الغيب، وإذا نصحتهم قالوا: أعطنا البديل؟ هذا مما جعلني بحثت هذا الأمر، وسألت الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا البديل الشرعي.

الدافع على إخراج هذا البحث:

كانت هناك عدة دوافع تضافرت جميعها على ذلك، فمن هذه الدوافع:

١ ـ قبل أن ندعو إلى ترك شيء لابد من إعطاء البديل عنه، فمثلاً: ناقشت شاباً

في موضوع الذهاب إلى الكهان والسحرة، وبينت له أن هذا مُحرَّم شرعًا، فقال لي: «يوم زفافي دخلت على زوجتي فوجدت نفسي مربوطًا «معقودًا» ماذا أفعل؟ فذهبت إلى الساحر مضطرًا، لو أن عندكم البديل ما ذهبت إليه».

٢ ـ كثيرًا ما يمس الجنيُّ إنسيًا ويطلب منه فعل أمور محرمة، فكان لابد من التصدي لهذا العدوان.

٣ ـ لقد رأيت من الجن النصارى من يمسّ المسلم ويطلب منه أن يلبس صليبًا وإلا سيتعبه.

٤ ـ لم أر حتى الآن كتابًا يجمع هذا الموضوع من ناحيتيه العملية والنظرية، والموضوع أوسع من أن يُلِمَّ به كتاب، بل هو في حاجة إلى كثير من البحوث.

لهذه الدوافع وغيرها بدأت أكتب في هذا الموضوع، ولكني ترددت كثيرًا قبل أن أكتب فيه؛ لأنه موضوع مُحاط بالمخاطر، ولكني استعنت بالله ـ عز وجل ـ وسلكت طريقًا لا يضل من سلكه، وهو الاعتماد على الدليل في كل ما أقول وأكتب، ثم إني ما ذكرت حديثًا إلا وبينت درجته من الصحة والضعف قدر جهدي ثم عزوت معظم الأحاديث إلى مصادرها في كتب السنة.

ولقد جمعت في هذا البحث بين الناحية النظرية المستخرجة من بطون الكتب وبين الناحية العملية المستفادة من الخبرة والممارسة، معتمدًا في كل ما أقول على الكتاب والسنة.

ولقد قسمت هذا البحث إلى كتابين:

الكتاب الأول: وهو خاص بالجن والشيطان وسميته «وِقَايَةُ الإِنْسَانِ مِنَ الْجِنِّ والشَّيْطَانِ».

والكتاب الثاني: وهو خاص بالسحر وإبطاله، وسميته «الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار».

ولقد قسمت الكتاب الأول إلى ستة فصول:

الفصل الأول: الجن حقيقة لا خرافة .

الفصل الثاني: الصرع حقيقته وعلاجه .

الفصل الثالث: تعرُّض الشيطان للأنبياء .

الفصل الرابع: علاقة الشيطان بالإنسان .

الفصل الخامس: مداخل الشيطان لإفساد القلوب .

الفصل السادس: تحصينات الإنسان ضد الشيطان .

ويجب التنبيه إلى أن كل ما وجدتموه في كلامي هذا موافقًا للكتاب والسنة فخذوه، وكل ما وجدتموه مخالفًا لهما فاضربوا بكلامي عرض الحائط، وخذوا بالكتاب والسنة، وإني لأشرح صدري لكل نقد بنَّاء معتمد على الكتاب والسنة .

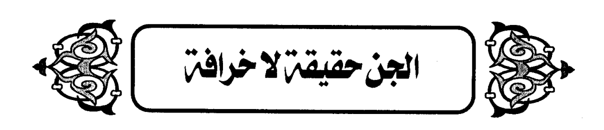
ولا يفوتني في هذه المقدمة أن أشكر كل من ساعدني في إخراج هذا البحث، وأسأل الله - عز وجل - أن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا وأفعالنا وحركاتنا وسكناتنا، فاللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك مما لا نعلمه، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

وحيد بن عبد السلام بالي



الفصل الأول

الجن حقيقة لا خرافة



الجن حقيقة لا خرافة

الإيمان بالغيب:

إن من أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب، بل هو أول صفة وصف الله تبارك وتعالى بها المتقين في كتابه حيث قال: ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١) .

ولذا يجب على كل مسلم أن يؤمن بالغيب إيمانًا لا يساوره ريب ولا يعتريه شك، والغيب: هو ما غاب عنا وأخبرنا الله - عز وجل - به أو رسوله ﷺ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه(٢).

والجن من الغيب الذي يجب أن نؤمن به ؛ حيث تضافرت الأدلة على وجوده قرآنا وسنة.

فمن الأدلة القرآنية:

١ - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾(٣) .

٢ - ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾(٤) .

٣ - ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾(٥)

٤ - ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾(٦) .

---

(١) [سورة البقرة: ١-٣].
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٤).
(٣) [سورة الأحقاف: ٢٩].
(٤) [سورة الأنعام: ١٣٠].
(٥) [سورة الرحمن: ٣٣].
(٦) [سورة الجن: ٦].

٥ - ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(١) .

ومن أدلة السنة:

١ - روىٰ مسلم في «صحيحه» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالتَمَسْنَاهُ في الأوْدِيَة والشّعاب فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أو اغْتيل، فبِتْنَا بشَرِّ لَيْلَة بَاتَ بهَا قَوْم، فَلَمَّا أصْبَحْنَا إذَا هو جَاء مِن قبَل حراء، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجدْكَ فبتنَا بشَرِّ لَيْلَة بَاتَ بهَا قوم، فقَال: «**أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآن**» قال: فَانْطَلَقَ بنَا فَأرَانَا آثَارَهُمْ وآثَارَ نيرانهم.

وسألوه الزَّادَ فَقَالَ: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بعرة علفٌ لدوابِّكُمْ**» فقال رسول الله ﷺ: «**فَلاَ تَسْتَنْجُوا بهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**»(٢) .

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمكَ، أو بَاديتكَ، فَأذَّنتَ بالصَّلاَة فَارفَعْ صَوْتَكَ بالنّدَاء، فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْت الْمُؤذّن جن وَلاَ إِنْس وَلاَ شَيء، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القيَامَة**»(٣) . رواه البخاري والنسائي وابن ماجه.

٣ - وفي «الصحيحين» عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: انطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ في طَائفة منْ أصْحَابه، عَامدينَ إلَىٰ سُوق عُكَاظ، وَقَدْ حيل بَيْنَ الشَّيَاطين وبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وأُرْسلت عَلَيْهم الشهُبُ، فَرَجَعت الشّيَاطين إلىٰ قَوْمهم فَقَالُوا: مَا لَكُم؟ فَقَالُوا: حيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء، وأرسلَتْ عَلَيْنَا الشّهب. قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْن خَبَر السَّمَاء إلاَّ شيء حَدَثَ، فَاضْربُوا مَشَارقَ الأرْض وَمَغَاربَهَا فَانْظُروا مَا هَذَا الذي حَال بَيْنكُم وَبَيْنَ خَبَر السَّمَاء. فَانْصرَفَ أولئكَ الذينَ توجهوا نَحْوَ

(١) [سورة الجن: ٦].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٥٠) في «الصلاة»، باب الجهر بالقراءة في الصبح.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٦٠٩) في «الأذان»، باب رفع الصوت بالنداء، ومالك (١/ ٦٨) والنسائي (٢/ ١٢) وابن ماجه (١/ ٢٣٩).

تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾(١) وإنما أوحي إليه قول الجن.

والأدلة على ذلك كثيرة، وستجدها بين طيات هذا البحث إن شاء الله.

عدم الرؤية ليس دليلاً:

إن عـدم رؤية الجن لا يدل على عدم وجودها، فكم من شيء لا نراه وهو موجود، فهذا هو التيار الكهربائي لا نراه وهو يسير في السلك ولكننا نستدل عليه بآثاره في المصباح وغيره. وها هو الهواء الذي نعيش به ونتنفس منه لا نراه ولكننا نحس به.

بل إن الروح التي هي قوام حياتنا، بها نعيش وبدونها نموت، لا نراها ولا نعرف كنهها، ورغم ذلك نؤمن بوجودها.

مم خلقت الجن؟

إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل دلالة قاطعة على أن الجن خُلقوا من النار قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾(٢) قال ابن عباس: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: من خالص النار، وفي رواية أخرى عنه: من طرف لهبها(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾(٤).

وقال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٥) فإن قيل: كيف تجعل قول إبليس دليلاً مع أنه يمكن أن يكذب. نقول: إنّ الدليل ليس القول نفسه وإنما في إقرار الله - تبارك وتعالى - إيّاه على ذلك، لأن الله تعالى لا يُقرّ باطلاً.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٤٩٢١) في تفسير سورة الجن، ومسلم رقم (٤٤٩) في «الصلاة» باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن.

(٢) سورة الرحمن الآية (١٥). (٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧١).

(٤) سورة الحجر الآية (٢٧). (٥) سورة الأعراف الآية (١٢).

وروى مسلم وأحمد رحمهما الله عن عائشة ـ رَضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكةُ من نُور، وَخُلقَ الجانُّ منْ مَارِجٍ منْ نَار، وَخُلق آدَمُ ممَّا وُصِفَ لكُمْ»(١).

إذا كانت الجن مخلوقة من النار فكيف يُعذَّبُ كافرهم بالنار؟

هذا سؤال طالما تردد على ألسنة الكثيرين، ولكن لو تفكروا قليلاً لعقلوا وفهموا؛ فكلنا نعلم أن الإنسان خلق من طين ولكنه الآن ليس طينًا؛ بل أصله فقط هو الطين وكذلك الجن خلقت من نار، ولكنها الآن ليست نارًا والأدلة على ذلك كثيرة.

منها: قول رسول الله ﷺ: «إنَّ عَدُوَّ الله إبْليسَ جَاءَ بشهَاب منْ نَار ليجْعَله في وَجْهي»(٢).

والشاهد من هذا الحديث أن إبليسَ لو كان باقيًا على ناريّته ما احتاج إلى أن يأتي بشهاب من نار.

ومنها: قول النبي ﷺ: «إنّ الشّيْطَانَ يَجْرِي منَ الإنْسَانِ مَجْرَى الدّم»(٣) (متفق عليه) فلو كان باقيًا على ناريته لأحرقَ الإنسانَ.

فإن قيل: إن المقصود بهذا الحديث هو وسوسة الشيطان. نقول: اتفق علماء الأصول على أنه لا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلا بقرينة. وأين القرينة هنا؟

وأضف إلى ذلك أن الإنسان خُلق من طين ويمكن أن يُعذَّب به كما أنه خلق أيضًا من ماء ويمكن أن يعذب به.

والأحسن من هذا وذاك أن نقول: إن الله على كل شيء قدير.

أنواع الجن: عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنُّ ثلاثةُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٩٩٦) في «الزهد»، باب في أحاديث متفرقة.

(٢) صحيح: رواه مسلم برقم (٥٤٢) في «الصلاة»، باب جواز لعن الشيطان وسيأتي بتمامه.

(٣) صحيح: رواه البخاري برقم (٢٠٣٨) في «الاعتكاف»، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ومسلم رقم (٢١٧٤) في «السلام»، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجة له.

أصنَاف: فصنف لَهُمْ أجْنحَة، يَطيرُون فِي الهوَاءِ، وَصنف حيَّات وكلاب، وَصنف يَحلُّونَ (١) ويَظعَنُونَ»(٢).

مساكن الجن:

الجنُ يُفضِّلون الأماكن الخالية من الإنس كالصحراوات، ومنهم من يسكن المزابل والقمامات، ومنهم من يسكن مع الإنس.

ولذا كان رسول الله ﷺ يخرج إلى الصحراء فيدعوهم إلى الله يقرأ عليْهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم، وقد تكرر هذا كثيرًا كما ثبت في «البخاري» و«مسلم» من حديث ابن عباس وابن مسعود -رضي الله عنهما.

ويسكنون المزابل والقمامات؛ لأنهم يأكلون فضلات طعام الإنس كما ثبت عند مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم(٣).

والجن تسكن الخلاء أيضًا، فقد ورد عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هَذه الحُشُوشَ مُحْتَضَرَة. فَإِذَا أتَى أحَدُكُمُ الخَلاَءَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الخُبُث والخَبَائث»(٤).

ومعنى محتضرة: أي يحضرها الجن.

قلت: وقد سألت جنيًا مسلمًا: هل تسكن في الخلاء؟

قال: لا.

قلت: ولكن قد ورد أن الجن تسكن الخلاءات والمراحيض.

قال: نعم، ولكن هذا خاص بكفار الجن؛ لأنهم يُفضِّلون الأماكن النجسة،

---

(١) أي: يقيمون ويرتحلون.

(٢) صحيح: رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣١١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠) وتقدم بتمامه ص٢٤.

(٤) صحيح: رواه أبو داود رقم (٦) في «كتاب الطهارة» باب (٣)، والنسائي في «كتاب الطهارة» باب (١٧)، وابن ماجه في «الطهارة» باب (٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٦٩).

والمواطن القذرة.

قلت: ولعل هذا الكلام صحيح؛ فقد لاحظت أن كفار الجن يتضايقون من الروائح الطيبة خاصة رائحة المسك.. بينما الجن المسلمون يحبونها كمسلمي الإنس تمامًا.

والجن تسكن أعطان الإبل، فقد ورد أنها مأوىٰ الشياطين كما في «صحيح مسلم» وغيره.

هل الجن يأكلون ويشربون؟

إن الأحاديث الصحيحة صريحة في أن الجن يأكلون ويشربون.

ففي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوةً لوضوئه وحاجته بينما هو يتبعه بها فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة. فقال: «ابغني أحجَارًا أستَنْفض بهَا ولاَ تَأتني بعَظَم ولاَ بروْثَة» فأتيته بأحجار أحملها في ثوبي حتىٰ وضعت إلىٰ جنبه، ثم انصرفت، حتىٰ إذا فرغ مشيت معه فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هُمَا منْ طَعَام الجنِّ، وَإنَّهُ أتَاني وَفْدُ جنِّ نَصيبين، ونعْمَ الجنُّ، فَسَألُوني الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللهَ لَهُم أنْ لاَ يَمُرُّوا بعَظْم ولاَ بروْثَة إلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»[(١)].

روىٰ مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا أكَلَ أحَدُكُمْ فليأكُلْ بيَمينه، وَإذَا شَرب فَلْيَشْربْ بيَمينه؛ فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ بشماله ويَشْرَبُ بشمَاله»[(٢)].

* روىٰ مسلم في «صحيحه» عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتىٰ يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده رسول الله ﷺ ثم قال: «إنَّ الشيطانَ

(١) **صحيح:** رواه البخاري رقم (٣٨٦٠) في «مناقب الأنصار»، باب ذكر الجن.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٢٠٢٠) في «الأشربة»، باب آداب الطعام والشراب.

يسْتَحلُّ الطَّعَامَ أنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ الله عَلَيْه، وإنَّه جَاءَ بهَـذه الجَارِيَة ليَسْتَحلَّ بهَا فَأَخَذْت بيدهَا، فَـجَاءَ بهَذَا الأعْـرَابيِّ ليَسـتَحلَّ به فَأَخَـذْتُ بيَده، وَالذي نَفْـسي بيَده إن يدَهُ في يَدي مَعَ يَدهَا»[١] وزاد مسلم في رواية «ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللَه وَأَكَلَ».

قلت: ومعنى تُدفع: أي تجري بسرعة كأن شيئًا يدفعها من خلفها.

وقوله: «إنَّ يَدَه»: أي الشيطان «في يَدي»: أي رسول الله ﷺ، «مَعَ يَدهَا»: أي الجارية.

وفي صحيح مسلم أيضًا عن جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذَا دخَلَ الرَّجُلُ بيْتَهُ فَـذَكَرَ اسمَ الله عندَ دُخُوله وعَندَ طَعَامه قَالَ الشـيطَانُ: لاَ مَبيت لَكُم ولاَ عَشَـاءَ. وإذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكر الله عندَ دُخُولـه قَالَ الشيطَانُ أدْرَكـتُمُ المبيتَ، وإذَا لَمْ يَذْكُر اللهَ عندْ طَعَامه قَالَ: أدْرَكتُمُ المبيتَ وَالعَشَاء»[٢].

وقد اختلف في أكل الجن وشربهم على ثلاثة أقوال:

الأول: أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا قول باطل، لا دليل عليه.

الثاني: أن صنفًا منهم يأكلون ويشربون، وصنفًا لا يأكلون ولا يشربون وهؤلاء استدلوا بما رواه ابن عبد البر عن وهب بن منبه قال: الجن أصناف فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، وجنس منهم يقع منهم ذلك ومنهم السعالي والغول والقطرب اهـ[٣].

واستدلوا أيضًا بحديث أبي ثعلبة وقد مر في أنواع الجن.

قلت: وهذا محتمل.

الثالث: أن جميعهم يأكلون ويشربون، قلت: وهذا أكثر احتمالا من الذي قبله بل هذا الذي تدل عليه وتؤيده الأحاديث التي مرت معنا فالله أعلم.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٢٠١٧) في «الأشربة»، باب آداب الطعام والشراب.

(٢) **صحيح:** المرجع السابق برقم (٢٠١٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٣٤٥)، أورده الحافظ في «الفتح».

أما حديث ابن مسعود فقد رواه مسلم بلفظ: «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِر اسمُ الله عَلَيه يَقَعَ في أيديكُم أوفَرَ ما يَكُونُ لحمًا» (١) ورواه أبو داود وغيره بلفظ «كُلُّ عَظْم لَمْ يُذْكَرَ اسْمُ الله عَلَيْهَ» فإن لم يكن الحديث انقلب على الراوي فيمكن الجمع بأن رواية مسلم خاصة بالجن المسلمين ورواية أبي داود خاصة في حق الشياطين. والله تعالى أعلم بالصواب.

الشيطان له قرون:

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَان»(٢).

الجن يتشكلون ويتصورون:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضانَ فأتاني آتٍ، فجعلَ يَحْثُو من الطعام فأخذتُهُ، وقلتُ: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاجٌ وعَليَّ عيال، ولي حاجةٌ شديدةٌ قالَ: فخلَّيت عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: «يَا أبَا هُرَيرَةَ ما فَعَلَ أسيركَ البَارحَةَ؟» قال: قلت يا رسول الله شكَا حاجةً شديدةً وعيالاً فَرَحمتُهُ فخلَّيتُ سبيلَه قَال: «أمَا إنَّهُ كَذَبَكَ وسَيَعُودُ» فعرفتُ أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ: «إنَّهُ سَيَعُودُ» فَرَصَدْتُهُ فجاء يحثُو من الطعام، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ قال: دَعْني فإني محتاجٌ وعَليَّ عيَال، لا أعودُ، فرحمتُه فخليتُ سبيلَهُ. فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «يَا أبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أسَيركَ؟» قلت: يا رسول الله شكَا حاجةً وعيالاً فرحمتُهُ فخلَّيتُ سبيلَهُ قال: «أمَا إنَّهُ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيِّ: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختمَ الآية فإنهَ

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٥٠) في «الصلاة» باب الجهر بالقراءة في الصبح.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٢٧٣) في «بدء الخلق»، باب صفة إبليس، ومسلم رقم (٨٢٨) في «صلاة المسافرين» باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها.

لا يزالُ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُكَ شيطانٌ حتى تصبح، فخلّيت سبيلَه، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «مَا فَعَلَ أسيرُكَ البَارِحَةَ» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله.

قال: «مَا هيَ»؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «أمَا إنَّهُ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوب، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاث يَا أبَا هُرَيْرَةَ؟» قال: لا، قال: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»(١).

قال الحافظ: وفي حديث أبيّ بن كعب عند النّسائي: أنه كان له جرن فيه تمر، وأنه كان يتعاهده فوجده ينقص فإذا هو بدابّة شبه الغلام المحتلم فقلت له: أجني أم إنسي؟ قال: بل جني، وفيه أنه قال له: بلغنا أنك تحب الصدقة وأحببنا أن نُصيب من طعامك، قال: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية آية الكرسي، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «صَدَقَ الخبيثُ».

ثم استدل الحافظ بحديث أبي سعيد المتقدم على أن الشيطان يمكن أن يتصور ويتشكل فتُمكِن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها. اهـ.

ثم قال في موضع آخر: وروى البيهقي في «مناقب الشافعي» بإسناده عن الربيع سمعت الشافعي يقول: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيًا.

قال: وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خُلقوا عليها، وأما من ادّعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتصور على صور شتى من الحيوانات فلا يُقدح فيه، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور. اهـ(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخاري: رقم (٢٣١١) في «الوكالة»، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئًا.
(٢) فتح الباري (٤/ ٤٨٩)، معلقًا تعليقًا مجزومًا به.

* وقال النبي ﷺ «الحَيَّاتُ مَسْخُ الجنِّ كَمَا مُسِخَت القِردَةُ والخَنَازِير مِنْ بَنِي إسرائيل»(١) .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عَلَى ذروَة كُلِّ بعِيرٍ شَيْطَانٌ فَامْتَهِنوهُنَّ بالرُّكُوب فَإنَّمَا يَحْمِل الله تَعَالَى»(٢) .

* وعن أبي قلابة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا أنَّ الكلاب أمَّـة لأمرت بقتلها، ولكن خفت أن أبيد أمة، فاقتلوا منها كل أسود بهيم، فإنها جنُّها أو من جنِّها»(٣) .

* وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا قَامَ أحَدُكُمْ يُصَلِّي فإنَّهُ يَسْتُرُه إذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيه مثْلُ آخرة الرَّحْل، فإذَا لَمْ يكُنْ بَيْنَ يَدَيْه مثْلُ آخرة الرحْل، فَإنَّهُ يَقْطَعُ صلاتَهُ: الحمارُ وَالمَرأةُ والكَلْبُ الأَسْوَدُ» قلت: يا أبا ذر ما بَال الكَلْبَ الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيطَانٌ»(٤) .

والشاهد من هذا الحديث هو قوله: «الكلب الأسود شيطان».

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوىٰ الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة. اهـ(٥) .

ولقد تصوَّر إبليس يوم بدر بصورة سراقة بن مالك سيد بني مدلج، وجاء مع المشركين بجنده، قال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس إني جار لكم، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمىٰ بها في وجوه المشركين

(١) **صحيح:** رواه ابن حبان (١٠٨٠) والطبراني في «الكبير» (١١٩٤٦) وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٩٠) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٤٣٩) رقم (١٨٢٤).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤/ ٣٨) وعزاه للحاكم.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم: في «كتاب المساقاة» باب قدر الكلاب رقم (١٥٧٢) بنحوه.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم: رقم (٥١٠) في «الصلاة»، باب قدر ما يستر المصلي، والنسائي (٢/ ٦٤) وابن ماجه (١/ ٣٠٦)، والدارمي (١/ ٣٢٩).

(٥) رسالة الجن (٤١).

فولوا مدبرين، وأقبل جبريل - عليه السلام - إلىٰ إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولىٰ مدبرًا وشيعته. فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار فقال: إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب، وذلك حين رأىٰ الملائكة. اهـ. قاله ابن عباس[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم. اهـ[٢].

كيف تتشكل الجن؟

قال القاضي أبو يعلىٰ محمد بن الحسين بن الفراء: ولا قدرة للشياطين علىٰ تغيير خلقهم والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالىٰ كلمات وضروبًا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله الله تعالىٰ من صورة إلىٰ صورة، فيقال: إنه قادر علىٰ التصوير والتخييل علىٰ معنىٰ أنه قادر علىٰ قول إذا قاله وفعله نقله الله تعالىٰ عن صورته إلىٰ صورة أخرىٰ بجري العادة، وأما أنه يصور نفسه فذلك محال؛ لأن انتقالها عن صورة إلىٰ صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء وإذا انتقضت بَطَلَت الحياة. اهـ[٣].

قلت: وهذا كلام جيد ولكنه يفتقر إلىٰ الدليل. ويمكن أن يستدل له بما رواه ابن أبي شيبة؛ : إن الغيلان ذكروا عند عمر بن الخطاب فقال: إن أحدًا لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذِّنوا، قال الحافظ: إسناده صحيح[٤]. قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا بإسناد حسن.

وأما ما رواه ابن أبي الدنيا عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الغيلان قال: «**هم سحرة الجن**» فسنده ضعيف جدًا فيه ثلاث علل ليس هنا محل شرحها.

وهذا لا ينافي ما رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ**

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٧).
(٢) رسالة الجن (٣٢).
(٣) آكام المرجان (١٩).
(٤) فتح الباري (٦/ ٣٤٤).

عَـدْوَى ولا طِيَرَةَ وَلاَ غُـولَ»(١) ؛ لأنه لا ينفي وجود الغيلان، وإنما ينفي ما كانت تتوهمه العربُ من أن الغيلان تستطيع أن تُضل الناس.

قـال النووي - رحمـه الله -: قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين فتتراءىٰ للناس وتتَغَوَّل تَغَوُّلاً - أي: تتلونَ تلونًا - فتُضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذلك.

وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها. قالوا: ومعنىٰ «لاَ غُـول» أي لا تستطيع أن تضل أحدًا.

قـال: ويشهد له حديث آخر **«لاَ غُولَ وَلَكِنِ السَّعَالِي»** قال العلماء: السعالي بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجِن، أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل. اهـ(٢).

تنبيـه: لا حجة لمن ضعَّف حديث جابر هذا بحجة أنه من طريق أبي الزبير عن جابر وأبو الزبير مدلس.

نعم أبو الزبير مدلس، ولكنه صرح بالسماع في الطريق الرابعة عند مسلم، فانتفىٰ احتمال تدليسه فالحديث صحيح والحمد لله.

روى مسلم في «صحـيحه»: عن أبي السائب مولىٰ هشام بن زهرة أنه قال: دخلت علىٰ أبي سعيد الخدري. فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتىٰ قضىٰ صلاته، فسمعت تحريكًا تحت سرير بيته فإذا حية فقمت لأقتلها، فأشار أبو سعيد أن اجلس، فلما انصرف أشار إلىٰ بيت في الدار، فقال: أترىٰ هذا البيت؟ فقلت: نعم. قال: إنه قد كان فيه فتىٰ حديث عهد بعرس، فخرج مع رسول الله ﷺ إلىٰ الخندق، فبينا هو به إذ أتاه الفتىٰ يستأذنه. فقال: يا رسول الله ائذن لي أحدث بأهلي عهدًا، فأذن رسول الله ﷺ، وقال: **«خُذْ عَلَيْكَ سلاَحَكَ. فَـإنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِي قُـرَيْظَةَ»** فانطلق الفتىٰ إلىٰ أهله، فوجد امرأته قائمة بين البابين، فأهوىٰ إليها بالرمح

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٢٢٢) في «السلام»، باب لا عدوىٰ ولا طيرة.
(٢) **صحيح**: مسلم (١٤/ ٢١٧).

ليطعنها وأدركته غَيرة فقالت: لا تعجل حتى تدخل وتنظر ما في بيتك، فدخل فإذا هو بحية منطوية على فراشه، فركز فيها رمحه، ثم خرج فنصبه في الدار.

فاضطربت الحية في رأس الرمح. وخر الفتى ميتًا، فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا، الفتى أم الحية؟ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ بالمَدينَة جنًا قَدْ أسْلَمُوا فإذا رَأَيْتُم منْهُمْ شَيْئًا فَآذنُوهُ ثَلاثَةَ أيَام، فَإنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلكَ فَاقْتُلُوهُ فَإنَّمَا هُوَ شَيطَانٌ**»[١].

هل من الجن والشياطين ذكور وإناث:

* في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الخُبُث والخَبَائث**»[٢].

قال البخاري: وقال سعيد بن زيد: حدثنا عبد العزيز «إذا أراد أن يدخل»[٣].

قال ابن الأثير: الخُبُث - بضم الباء - جمع الخبيث، والخبائث: جمع الخبيثة، ويريد ذكور الشياطين وإناثهم. اهـ[٤].

وقد مرَّ معنا حديث أبي هريرة في فضل آية الكرسي، قال الحافظ في شرحه العبارة الأخيرة من هذا الحديث: «إذا قلتها لا يقربك شيطان حتى تصبح» قال: وفي رواية أبي المتوكل: «إذا قلتهن لا يقربك ذكر ولا أنثى من الجن» قال: وفي رواية ابن الضريس من هذا الوجه «لا يقربكَ من الجنِّ ذكر ولا أنثى صغير ولا كبير». اهـ[٥].

قلت: ومن هذا يفهم أنه يوجد في الجن ذكران وإناث. والله أعلم بالصواب.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم، رقم (٢٢٣٦) في «السلام»، باب قتل الحيات وغيرها، ومالك (١٨٢٨) وأبو داود (٥٢٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (١٤٢) في «الوضوء»، باب ما يقول عند الخلاء، ومسلم رقم (٣٧٥) في الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء.

(٣) **صحيح البخاري**: «كتاب الوضوء» باب ما يقول عند الخلاء.

(٤) لسان العرب (١٠٨٨/٢).

(٥) فتح الباري (٤٨٨/٤).

هل الجن مكلفون؟

نعم الجن مكلفون بالتكاليف الشرعية كالإنس تمامًا.

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ:

الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ اهـ[١].

ولقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ اهـ[٢].

وقال فخر الدين الرازي رحمه الله: أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون. . اهـ.

وقال القاضي عبد الجبار رحمه الله: لا نعلم خلافًا بين أهل النظر أن الجن مكلفون. . اهـ[٣].

وقال السبكي في فتاويه: فإن قلت: إنهم مكلفون بشريعته ﷺ في أصل الإيمان، أو في كل شيء؟ بل في كل شيء؛ لأنه إذا ثبت أنه - أي رسول الله ﷺ مرسل إليهم كما هو مرسل إلى - الإنس والدعوة عامة والشريعة عامة - لزمهم جميع التكاليف التي توجد أسبابها فيهم إلا أن يقوم دليل على تخصيص بعضها.

فنقول: إنهم يجب عليهم الصلاة والزكاة إن ملكوا نصابًا بشرطه، والحج وصوم رمضان وغيرها من الواجبات ويحرم عليهم كل حرام في الشريعة. اهـ[٤]. باختصار.

عقائد الجن ودياناتهم:

الجن كالإنس تمامًا في هذه الناحية، فمنهم المسلم والنصراني واليهودي، بل إن

(١) سورة الأنعام الآية (١٣٠).
(٢) سورة الرحمن.
(٣) نقلاً من «لقط المرجان» (٧١).
(٤) لقط المرجان (٩٣).

مسلميهم كمسلمي الإنس أيضًا ؛ قدرية وشيعة وأهل سنة وأهل بدعة وغير ذلك، ومنهم الطائع والعاصي والتقي والفاجر .

وقد أخبر الله تعالىٰ عنهم أنهم قالوا : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١] قال ابن عباس : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أي : منا المؤمن ومنا الكافر[١] .

قال ابن تيمية: أي مذاهب شتىٰ، مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة . اهـ[٢] .

هل مؤمنو الجن سيدخلون الجنة؟

اتفق العلماء سلفًا وخلفًا علىٰ أن كفار الجن سيدخلون النار، واختلفوا هل مؤمنوهم سيدخلون الجنة أم لا .

قال الحافظ : علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: نعم، وهو قول الأكثر .

وثانيها: يكونون في ربض الجنة، وهو منقول عن مالك وطائفة .

وثالثها: أنهم أصحاب الأعراف .

ورابعها: التوقف عن الجواب في هذا، اهـ[٣] .

قال ابن كثير: والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله - عز وجل - ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾[٤] وفي هذا الاستدلال نظر . وأحسن منه قوله - عز وجل -: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٥] فقد امتن تعالىٰ علىٰ الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣) سورة الجن آية ١١ . (٢) رسالة الجن (٢٧) .
(٣) فتح الباري (٦/ ٣٤٦) . (٤) سورة الرحمن آية رقم (٥٦) .
(٥) سورة الرحمن آية رقم (٤٦ ، ٤٧) .

الإنس فقالوا: «ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد» فلم يكن تعالىٰ ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم. اهـ[(١)].

قلت: وهو يشير إلىٰ ما رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتىٰ ختمها ثم قال: «**مَا لي أراكم سُكُوتًا، لَلجن كَانُوا أحْسَنَ منكُمْ رَدًا، مَا قَرأتُ عَلَيهم هَذه الآية من مرة: ﴿فَبأيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ إلاَ قَالوا: وَلاَ بِشَيءٍ مِنْ آلائكَ رَبّنَا نُكَذِّب فَلَكَ الحَمْدُ**»[(٢)].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

وكافرهم ـ أي الجن ـ معذب في الآخرة باتفاق العلماء. وأما مؤمنهم فجمهور العلماء علىٰ أنه في الجنة.

قال: وقد رُوِيَ أنهم يكونون في ربض الجنة ـ يراهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد.

وقيل: إن ثوابهم النجاة من النار، وهو مأثور عن أبي حنيفة. اهـ[(٣)].

الجن تخاف من الإنس:

* روىٰ ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال: بينا أنا ذات ليلة أصلي، إذ قام مثل الغلام بين يدي قال: فشددت عليه لآخذه، فقام فوثب خلف الحائط حتىٰ سمعت وقعته فما عاد إليَّ بعد ذلك.

قال مجاهد: إنهم يَهَابونكم كما تهابونهم.

ورَوي أيضًا عن مجاهد قال: الشيطان أشد فَرَقًا ـ أي خوفًا ـ من أحدكم منه فإن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧١).

(٢) حسن: الترمذي رقم (٣٢٩١) في تفسير القرآن، باب ومن سورة الرحمن، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٣) وصححه علىٰ شرط الشيخين وأقره الذهبي وله شاهد عند ابن جرير والبزار وبهما حسنه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» رقم (٢١٥٠) وفي «صحيح الجامع» (٥١٣٨).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٣٨) ط: السعودية.

تعرض لكم فلا تفرَقوا منه فيركبكم ولكن شدوا عليه فإنه يذهب .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي: حدثنا أحمد بن بكار بن أبي ميمونة حدثنا غياث عن حصين عن مجاهد قال : كان الشيطان لا يزال يتزي لي إذا قمت إلى الصلاة في صورة ابن عباس ، قال : فذكرت قول ابن عباس ، فجعلت عندي سكينًا فتزي لي فحملت عليه فطعنته فوقع وله وجبة فلم أره بعد ذلك .

والحافظ الباغندي قال عنه الحافظ ابن حجر : مشهور بالتدليس مع الصدق والأمانة(١) .

قلت: وقد صرح هنا بالتحديث فأُمِنَ تدليسه .

الجن تحسد الإنس:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : العين عينان ، عين إنسية ، وعين جنية :

فقد صح(٢) عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سَفعَةٌ فقال : «**استَرْقُوا لهَا فَإنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**» .

قال الحسين بن مسعود الفراء: سفعة : أي نظرة ، يعني من الجن . اهـ(٣) .

قلت: والحديث أخرجه الشيخان .

* وقد أخرج الترمذي وحسنه والنسائي من حديث أبي سعيد «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها»(٤) .

---

(١) طبقات المدلسين : (٣٢) .

(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٥٧٣٩) في «الطب» ، باب رقية العين ومسلم رقم (٢١٩٦) في «السلام» باب استحباب الرقية .

(٣) الطب النبوي (١٢٩) .

(٤) صحيح: الترمذي رقم (٢٠٥٨) في «الطب» ، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين ، والنسائي (٨/ ٢٧١) في «الاستعاذة» ، وابن ماجه رقم (٣٥١١) في «الطب» ، وهو في «صحيح الجامع» (٤٩٠٢)

ومن هنا يتضح جليًا أنه يمكن أن يحسد الجن إنسيًا .

وأما التداوي من ذلك فسنذكره إن شاء الله في الكتاب الآخر(١) .

هل الجن يتناكحون ويتناسلون:

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾(٢) .

قال القاضي بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي: هذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية . اهـ(٣) .

واستدل بعض العلماء على جواز تناكح الجن بقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ (٤) .

* وعند البيهقي من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ خَمْسَةَ عَشَرَ، بَنِي إِخْوَةٍ وَبَنِي عَمٍّ يَأتونِي اللَّيْلَةَ أَقْرَأُ عَلَيهِمُ القُرآنَ» .

* أخرج ابن جرير عن وهب بن منبه أنه سُئل عن الجن : هل يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون؟

فقال : هم أجناس : فأما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا يموتون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويموتون ويتناكحون . أهـ(٥) .

الجن تشهد للمؤذن يوم القيامة:

* روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال له : «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أو بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ

---

(١) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار : الفصل الثامن (علاج العين) .

(٢) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٣) آكام المرجان (٣٣) .

(٤) سورة الرحمن الآية (٥٦) .

(٥) لقط المرجان (٤٤) .

صَوْتَكَ بالنِّدَاء فَإنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المؤذِّن جِنٌ ولاَ إنسٌ ولاَ شيءٌ إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

ولذلك تجد الشيطان ـ لعنه الله ـ إذا سمع الأذان جرىٰ بعيدًا وأحدث ضراطًا حتىٰ لا يسمع النداء، لأنه لو سمعه لشهد للمؤذن يوم القيامة وهو عدو المؤمن فكيف يشهد لعدوه؟!

* روىٰ مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا نُودِيَ للصَّلاَة أدْبَرَ الشَّيْطَانُ ولَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأذين، فَإذا قُضي النِّدَاء أقْبَلَ، حتى إذَا ثُوِّبَ بالصَّلاة أدْبَرَ، حَتَّى إذَا قُضِيَ التَّثْويبُ أقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المرء ونَفسه يَقُولُ: اذْكرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لما لَمْ يَذْكُر حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى»(٢) وهذا لفظ البخاري.

متى تنتشر الشياطين؟

* في «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ ـ أوْ أمْسَيْتُمْ ـ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُم، فَإنَّ الشَّيَاطِين تَنْتَشر حينئذ، فَإذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ منَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأغْلقُوا الأبْوابَ،وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّه، فَإنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بابًا مُغلقًا وَأوْكُوا قِربَكُم واذكُروا اسْمَ اللَّه، وخَمِّرُوا آنيتكُمْ، واذْكُرُوا اسْمَ اللَّه، وَلَوْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وأطْفئُوا مَصَابيحَكُم»(٣).

والإيكاء: هو ربط فيِّ السقاء، وتخمير الآنية: أي تغطيتها.

قلت: في هذا الحديث خمسة أوامر: كف الصبيان، وإغلاق الأبواب، وإيكاء القرب، وتخمير الآنية وذكر اسم الله عليها، وإطفاء المصباح عند النوم.

---

(١) **صحيح** رواه البخاري: رقم (٦٠٩) في «الأذان»، باب رفع الصوت بالنداء، والنسائي (٢/ ١٢) وابن ماجه (١/ ٢٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٠٨) في «الأذان»، باب فضل التأذين، ومسلم رقم (٣٨٩) في «الصلاة» باب فضل التأذين والنسائي (٢/ ٢٢) والدارمي (١/ ٢٧٣) ومالك (١/ ٦٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٣٣٠٤) في «بدء الخلق»، باب خير مال المسلم، ومسلم رقم (١٠١٢) في «الأشربة» باب في الأمر بتغطية الإناء.

فأما الأمران الأول والثاني: فقد بين النبي ﷺ علتهما في هذا الحديث.

وأما الثالث والرابع: فبيّن علتهما الرواية الأخرى في «الصحيحين» أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**غَطُّوا الإِنَاءَ، وأَوْكُوا السِّقَاءَ، وأَغْلِقُوا البَابَ، وأطفئوا السِّرَاجَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سقاءً، ولاَ يَفْتَحُ بابًا ولاَ يكشفُ إنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إلاَّ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى إِنَائِه عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ الله فَلْيَفْعَلْ**»(١).

أما الأمر الخامس: فيبين علته الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحاكم وابن حبان عن ابن عباس قال: جاءت فأرةٌ فَجَرَّت الفتيلةَ فألقتْهَا بين يدي النبي ﷺ على الخُمْرة التي كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم، فقال النبي ﷺ: «**إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُم فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مثْل هَذه عَلَى هَذَا فَتُحرِقَكُم**»(٢).

قال الحافظ: في هذا الحديث بيان الحامل للفأرة على جر الفتيلة وهو الشيطان، فيستعين - وهو عدو الإنسان - بعدو آخر وهي النار أعاذنا الله بكرمه من كيد الأعداء إنه رءوف رحيم. اهـ(٣).

وفي «صحيح مسلم» عن جابر مرفوعًا «**لاَ تُرسِلُوا فَوَاشِيكُمْ وصبيَانَكُمْ إِذَا غَابَت الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ العشَاء، فإن الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَت الشَّمْسُ حَتَّى تذْهَبَ فَحْمَةُ العشَاء**»(٤) والفوَاشي: المَال المنتشر كالإبل والبقر وغيرها.

قال ابن الجوزي: والحكمة في انتشارهم حينئذٍ، أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار؛ لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وكذلك كل سواد، ولهذا قال في حديث أبي ذر «**الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**». أهـ. نقله عنه الحافظ في «الفتح»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٣٢٨٠) في «بدء الخلق»، باب صفة إبليس ومسلم رقم (٢٠١٢) في «الأشربة» باب الأمر بتغطية الإناء.

(٢) صحيح: البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٦٢٩) وأبو داود (٥٢٤٧) في «الأدب»، وابن حبان (٧/ ٤٢١) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٤) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٣) فتح الباري (١١/ ٨٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٠١٣) في «الأشربة»، باب الأمر بتغطية الإناء.

(٥) فتح الباري (٦/ ٣٤٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي ينام نصف النهار شتاءً أو صيفًا ويأخذني بذلك ويقول: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيلُوا فإن الشياطين لا تقيل. قلت: ورواه أبو نُعيم مرفوعًا، وحسَّن الألباني سنده[1].

بعض الحيوانات ترى الشياطين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بالله مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيطَانًا، وإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِيكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِه، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا**» [2].

إخبار الجن بمكان رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: حُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك؟ قلت: لا أدري والله أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشًا خبيثًا ـ فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، ثم انصرفوا. قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ؟! حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزَى اللهُ ربُّ الناسِ خَيرَ جزَائه ... رَفيقَين حَلا خيمتي أمِّ مَعْبَد
هُمَا نَزَلا بالبرِّ ثُمَّ تَروَّحَا ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفيقَ مُحَمَّد
لِيَهْنِ بَني كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهم ... ومَقْعَدَهَا للمؤمنينَ بمرصَدِ[3]

صراخ الشيطان يوم بيعة العقبة:

* قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب، عن أخيه عبد الله بن كعب بن

---

(١) حسن: رواه أبو نعيم عن أنس مرفوعًا، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٦٤٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٣٣٠٣) في «بدء الخلق» باب خير مال المسلم، ومسلم رقم (٢٧٠٣) في «الذكر والدعاء»، باب استحباب الدعاء عند سماع صياح الديك.
(٣) البداية والنهاية (٣/ ١٨٩).

مالك قال: لما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب - أي المنازل - هل لكم في مُذَمَّم والصُّبَاء معه قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا أزَبُّ العَقَبَة. هَذَا ابن أزيَب» قال رسول الله ﷺ: «أَتَسْمَعُ، أيْ عَدُوَّ اللَّه؟ أمَا وَالله لأتفرَّغَنَّ لَكَ»[(١)].

قال في «اللسان»: رجل مذم: أي مذموم جدًا[(٢)].

قلت: والصباء، جمع صبائي، وهو التارك لدينه، ويقصد رسول الله ﷺ والمسلمين، ويريد الشيطان - لعنه الله - أن يُعْلِمَ كفارَ قريش ببيعة العقبة، ليتداركوا الأمر قبل انتشاره، ولكن الله أرغم أنف الشيطان وأظهر دين الإسلام على كل الملل والأديان.

استراق الشياطين السمع من السماء:

* عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ أنهم بينما هم جلوس ليلة مع النبي ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ في الجَاهليَة؟».

قالوا: كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم.

قال رسول الله ﷺ: «فَإنَّهَا لاَ يُرْمَى بِهَا لَموت أحَد ولاَ لحيَاته، ولَكنْ رَبّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى إذَا قَضَى أمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْش، ثُمَّ سَبَّحَ أهْلُ السَّماء الَّذين يَلُونَهُمْ حتّى يَبْلُغَ التَسْبيحُ أهْلَ هَذه السَّمَاء الدّنْيَا ثُمَّ قَالَ الّذين يَلونَ حَمَلَة العَرْش لحمَلَة العَرْش: مَاذَا قَالَ رَبّكُم؟ فيُخبرونَهم مَاذَا قَالَ: قَالَ: فَيَسْتَخْبر بَعْضُ أهْل السَّمَوَات بَعْضًا. حتّى يَبْلُغ الخَبرُ هَذه السَّمَاءَ الدّنْيَا، فَتَخْطَفُ الجنّ السّمْعَ فَيَقْذفُونَ إلَى أوْلَيائهم، ويَرْمُون به فَمَا جَاءُوا به علَى وَجْهه، فَهُوَ حَقّ، ولَكنَّهُمْ يَقْرِفُونَ[(٣)] فيه ويَزيدون»[(٤)].

(١) صحيح: أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٤٠ - ٤٤٧) وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٦١، ٤٦٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق بإسناد صحيح.

(٢) لسان العرب (٣/ ١٥١٦).

(٣) يقرفون فيه: يخلطون فيه الكذب.

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٢٢٩) في «كتاب السلام» باب تحريم الكهانة، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢١٨).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثون بالشيء فنجده حقًا: قال: «تلكَ الكلمةُ الحَقُّ يَخْطَفُهَا الجنِّي، فَيَقْذِفُهَا في أُذُن وَليِّه ويَزيدُ فيها مائَة كذبَة»[١] .

هل يمكن أن يسلم القرين:

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: وقد يصل الأمر أن يُؤثر المسلم على قرينه الملازم له فيسلم، أخرج أحمد في «مسنده» ومسلم في «صحيحه» عن ابن مسعود[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا منكُمْ منْ أحَد إلاّ وُكِّلَ به قَرينُه منَ الجنِّ وَقَرينُه منَ المَلائكَة» قالوا: وإياك يا رسول الله قال: «وَإيَّاي، وَلكنَّ الله أعَانني عَلَيه فَأسْلَم فَلاَ يَأمُرُني إلا بخَير»[٣]. اهـ.

قلت: وفيما قاله الدكتور الأشقر - حفظه الله - نظر، لأن كلامه يشعر بأن أي مسلم يمكن أن يُؤَثِّر على قرينه فيُسلم، بل هو صريح في ذلك ولكن الأمر غير ذلك؛ لأن الخبر ظاهره اختصاص رسول الله ﷺ بذلك، فمن ادعى العموم فعليه الدليل، ولا دليل فيما أعلم.

ولذا لما كان عمر رضي الله عنه قوي الإيمان راسخ العقيدة شديدًا في دينه كان غاية أمره أن يخاف منه الشيطان ولكن لم يستطع أن يؤثِّر عليه فيُسلم.

ثم لو أثر مسلم - غير النبي ﷺ - على شيطانه فأسلم لانتفت حكمة الاختبار والابتلاء.

نعم يمكن أن يُضْعفَ المؤمنُ شيطانه بكثرة الذكر والطاعات وقراءة القرآن، ويمكن أن يستأنس لذلكَ بمَا جاء عن أبي هريرة مرفوعًا: «إنّ المؤمن لينضي شَيْطَانَهُ كَمَا

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري رقم (٥٧٦٢) في «الطب»، باب الكهانة، ومسلم رقم (٢٢٢٨) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٢٤، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٢٨، ٦/ ٨٧) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٥)، ومسلم رقم (٢٨١٤) في «السلام»، باب تحريش الشيطان.

(٣) عالم الجن والشياطين.

يُنْضِي(١) أَحَدُكُمْ بعِيَرهُ في السَّفَر» قال الهيثمي: (٢) رواه أحمد وفيه ابن لهيعة . اهـ.

تصفيد الشياطين في رمضان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّار، وصُفِّدَت الشَّيَاطِينُ»(٣).

* وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أولُ لَيْلَة مِنْ رمضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجنِّ..»(٤).

قال العلامة محمد بن مفلح ـ رحمه الله ـ:

الشياطين تُسلسل وتُغَلُّ في رمضان على ظاهر الحديث، أو المراد مردة الشياطين كما في هذا اللفظ، وكذا جزم به أبو حاتم بن حبان وغيره من أهل العلم، فليس في ذلك إعدام الشر بل قلة الشر لضعفهم.

قال: وقد أجرى الإمام أحمد هذا الحديث على ظاهره، قال عبد الله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: قد نرى المجنون يُصرع في شهر رمضان؟

قال: هكذا جاء الحديث ولا تكلم في ذلك.

قال: فإن الأصل عند أحمد أن لا يتأول عن الحديث إلا ما تأوله السلف، وما لم يتأوله السلف لا يتأوله. اهـ(٥).

---

(١) لينضي: يُضعف، والمعنى: أن المؤمن يُتعب شيطانه، فيجعله هزيلاً، من حزنه لأنه لا يستطيع إغراءه، كما يُتعب الإنسان راحلته بكثرة السفر فتهزل.

(٢) مجمع الزوائد (١/١١٦).

قلت: وفيه أيضًا موسى بن وردان وله أوهام. وأضف إلى ذلك أن عبد الله بن لهيعة لم يصرح بالتحديث وقد رماه ابن حبان بالتدليس فقال: «كان صالحًا ولكنه يدلس عن الضعفاء»، فهذه علة أخرى.

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (١٨٩٩) في «الصوم»، باب هل يقال رمضان، ومسلم رقم (١٠٧٩) في «الصيام»، باب فضل شهر رمضان.

(٤) صحيح: رواه الترمذي في «كتاب الصوم» باب (١) وحسنه، والنسائي في «كتاب الصيام» باب (٥) وابن ماجه في «الصيام» باب (٢)، وأحمد في «مسنده»، (٢/٢٩٢) وهو في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

(٥) مصائب الإنسان (١٤٤).

الذبح للجن محرم:

اتفق العلماء على أن الذبح للجن محرَّمٌ، بل هو شرك؛ لأنه ذبح لغير الله، فلا يجوز لمسلم أن يأكل منه فضلاً عن أن يفعله، ومع ذلك فإن الجُهال في كل زمان ومكان يقومون بهذا الفعل الخبيث.

فهذا يحيى بن يحيى يقول: قال لي وهب: استنبط بعض الخلفاء عينًا وأراد إجراءها وذبح للجن عليها، لئلا يغوّروا ماءها فأطعم ذلك ناسًا، فبلغ ذلك ابن شهاب فقال: أمَا إنه قد ذَبح ما لم يحل له، وأطعم الناس ما لا يحل لهم، نهى رسول الله ﷺ عن أكل ما ذُبح للجنِّ. اهـ[1].

قلت: وابنَ شهاب هذا هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الإمام الحافظ الفقيه العالم شيخ الإمام مالك.

وقال العلامة القاضي بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي: ونقلت عن خط العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي[2]، قال: وقد وَقَعَتْ هذه الواقعة بعينها في مكة سنة إجراء العين بها، فأخبرني إمام الحنابلة بمكة، وهو الذي تم إجراؤها على يده، وتولى مباشرتها بنفسه خليفة بن محمود الكيلاني قال: لما وصل الحفر إلى موضع ذكره، خرج أحد الحفّارين من تحت الحفر مصرعًا لا يتكلم فمكث كذلك طويلاً فسمعناه يقول: يا مسلمين، أيحل لكم أن تظلمونا؟ قلت أنا له: وبأي شيء ظلمناكم؟ قال: نحن سكان هذه الأرض ولا والله ما فيهم مسلم غيري، وقد أرسلوني إليكم يقولون: لا ندعكم تمرون بهذا الماء في أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا، قلت: وما حقكم؟ قال: تأخذون ثورًا فتُزينونه بأعظم زينة وتُلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا، فاذبحوه ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبد الصمد وشأنكم بباقيه وإلا فلا ندع الماء يجري في هذه الأرض أبدًا، قلت: نعم أفعل. قال: وإذا بالرجل قد أفاق يمسح وجهه وعينه

(١) آكام المرجان (٧٨).

(٢) ابن القيم، رحمه الله.

ويقول: لا إله إلا الله أين أنا.

قـــال: وقام الرجل ليس به قلَبه ، فذهبتُ إلىٰ بيتي فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل علىٰ الباب لا أعرفه، فقال: الحاج خليفة هنا؟ قلت: وما تريد به قال: حاجة أقولها له ، قلت: قل لي الحاجة وأنا أبلّغه إيّاها فإنه مشغول، قال لي: قل له إني رأيت البارحة في النوم ثوراً عظيمًا قد زينوه بأنواع الحُلي واللباس، وجاءوا به يُزفونه حتىٰ مروا به علىٰ دار خليفة فوقفوا إلىٰ أن خرج ورآه، وقال: نعم هو هذا، ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يَزفونه حتىٰ خرج به من مكة فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه في بئر.

قال: فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم فاشتروا ثورًا وزيَّنوه وألبسوه وخرجنا به حتىٰ انتهينا إلىٰ موضع الحفر، فذبحناه وألقينا رأسه وأطرافه ودمه في البئر التي سماها قال: ولما وصلنا إلىٰ ذلك الموضع كان الماء يغور فلا يدرىٰ أين يذهب أصلاً ولا ندري له عينًا ولا أصلاً قال: فما هو إلا أن طرحنا ذلك في البئر قال: كأني بمن أخذ بيدي وأوقفني علىٰ مكان. وقال: احفروا هنا، قال: فحفرنا وإذا بالماء يموج في الموضع وإذا طريقه منقورة في الجبل يمر تحتها الفارس بفرسه، فأصلحناها ونظفناها، فجرىٰ الماء فيها تسمع هديره، فلم يكن إلا نحو أربعة أيام وإذا بالماء بمكة وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يعرفون في البئر ماءً.

قال العلامـة شمس الدين: وهذا نظير عادتهم قبل الإسلام من تَزيين جارية حسناء وإلباسها أحسن ثيابها وإلقائها في النيل حتىٰ يطلع، ثم قطع الله تلك السُنة الجاهلية علىٰ يد من أخاف الجن وقمعها عمر رضي الله عنه، وهكذا: هذه العين وأمثالها لو حفرها رجل عمري يَفْرَقُ منه الشيطان، لجرت علىٰ رغمهم ولم يذبح لهم عصفوراً فما فوقه ولكن لكل زمان رجال، قال: وهذا الرجل الذي أخبرني بهذه الحكاية كنت نزيله وجاره وخبرته فرأيته من أصدق الناس وأدْينهم وأعظمهم أمانة، وأهل البلد كلمتهم واحدة علىٰ صدقه ودينه وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم. اهـ(١).

(١) آكام المرجان (٧٩).

قلت: وما زال الذبح للجن حتى الآن يقوم به الكهنة السحرة الذين يتصلون بالجن.

فمن ذلك: أننا نرى الجُهال يذهبون إلى هؤلاء السحرة ليحلوا سحراً أو ليعالجوا مصروعًا أو ما شابه ذلك، فيَطلبون منهم حيوانات بأوصاف معينة، ثم يذبحونها ويلَطخون المريض بدمائها، ثم يأمرون برميها في بئر وألا يذكر اسم الله عليه أثناء الرمي، وهذا هو الذبح للجني المنهي عنه، وإن لم يتلفظ الذابح باسم الجن، وإنما الأعمال بالنيات.

* والذابح لغير الله ملعون. ففي «صحيح مسلم» من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغَيْر الله» (١).

الاستعاذة بالجن محرمة.

قال تعالى حاكيًا عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

قال ابن كثير: «أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وزمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا - أي خوفًا - وإرهابًا ورعبًا وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فزادوهم رهقا﴾، أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة. قال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضَرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي.

قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

* روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون - أي يخافون - من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد.

---

(١) **صحيح**: مسلم رقم (١٩٧٨) في «الأضاحي»، باب تحريم الذبح لغير الله، والنسائي، (٧/ ٢٣٢) في «الضحايا» باب من ذبح لغير الله، عز وجل.

فكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس، فأصابوهم بالخبل والجنون. اهـ. مختصراً[(١)].

قلت: والاستعاذة بالجن شرك، وقد أبدلنا الله خيرًا منها، فعن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيء، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[(٢)].

* وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغني البارحة قال: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرُّكَ**»[(٣)].

* وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «**يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**»[(٤)].

قال الخطابي: قوله: «سَاكِنِ الْبَلَدِ» هم الجن الذين هم سكان الأرض، والبلد من الأرض ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ولا منازل، قال: ويحتمل أن يكون المراد بـ(الوالد): إبليس (وما ولد): الشياطين. اهـ. قال النووي: و(**الأَسْوَدَ**): الشخص، فكل شخص يسمى أسْوَدَ. اهـ[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٩).

(٢) **صحيح**: مسلم رقم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٨) في «الاستئذان»، باب ما يؤمر به في الكلام، والترمذي رقم (٣٤٣٧) في الدعوات، باب ما يقول إذا نزل منزلاً.

(٣) **صحيح**: مسلم (٢٧٠٩) في «الذكر والدعاء»، باب التعوذ من سوء القضاء.

(٤) **صحيح**: أبو داود (٢٦٠٣) في «الجهاد»، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢) بإسناد صححه الشيخ أحمد شاكر في التعليق عليه، كذا أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٠٠) وصححه ووافقه الذهبي وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٧٢).

(٥) الأذكار (١٩٤).

وروي عن خريم بن فاتك أنه قال: أضللت إبلاً لي فخرجت في طلبها حتى إذا كنت ببارق العراق فأنخت راحلتي ثم عقلتها ثم أنشأت أقول: أعوذ بسيد هذا الوادي أعوذ بعظيم الوادي، ثم وضعت رأسي على جمل فإذا بهاتف من الليل يهتف ويقول:

ألا فَـعُـذْ بالله ذي الجلال ... ثُم اقْرَأ آيات منَ الأنْفال
ووحِّد اللهَ ولاَ تُبَال ... مَا هَوْلُ الجِنِّ منَ الأهْوالِ

فانتبهت فزعًا فقلت:

يَا أيُّهَا الهَاتفُ مَا تَقُولُ ... أرشْدٌ عَنْكَ أمْ تَضْليل؟

فأجابني:

هَذَا رَسُولُ الله ذُو الخيرات ... أرسَلَهُ يدعُو إلى النَّجَاة
ويَنْزِعُ النَّاسَ عَن الهنات ... يَأمرُ بالصَّوم وبالصَّلاةِ[١]

قال القرطبي: ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كُفر وشركٌ. اهـ[٢].

الاستعانة بالجن محرمة:

طريقة السحرة والكهان تقوم أساسًا على الاستعانة بالجن والشياطين، وهذا شرك لأنه استعانة بغير الله، والأدهى من ذلك أن الشياطين لا تخدم الساحر حتى يكفر إما بقول أو بفعل، وكلما كان الساحر أعصى لله كانت الشياطين منه أقرب وله أطوع.

وكنا نسمع ونحن صغار أن رجلاً ساحرًا مشهورًا كان لا يقوم بسحره، ولا تأتيه الشياطين حتى يصنع من المصحف حذاءً فيلبسه في قدميه ويدخل به المرحاض، ولذلك كانت الشياطين تخدمه وتحضر له الشيء إلى بيته.

وهذا كفر صريح معلوم حتى لدى الساحر نفسه، ولكن الأمر المحزن أن من

(١) آكام المرجان (١٢٤).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٠).

السحرة من يكفر بالله وهو لا يدري؛ فهذه العزائم التي يقولونها وتلك الطلسمات التي يكتبونها، معظمها - بل كلها - شرك وكفر صريح، ولكنها بحروف غير مفهومَة، وقد يدخلون فيها شيئًا من القرآن حتى يظن الجهال أنهم لا يستخدمون إلا القرآن.

هل الجن تسكن بيوت الإنس:

كثيرًا ما يُشاع أن المكان الفلاني أو البيت الفلاني مسكون بالجن فهل هذا صحيح؟

في الحقيقة أن في هذا الأمر حقًا وباطلاً، أما جانب الحق فيه فهو أن هذا جائز ممكن؛ وواقع مشاهد، وأخبرت به الشريعة الغراء، وقد مرَّ بنا حديث الفتى الأنصاري الذي وجد جنًا في بيته وقد تصور بصورة حية، والحديث بطوله في «صحيح مسلم».

وقال عبد الله بن محمد بن القرشي: حدثنا الحسن بن جهور: حدثني ابن أبي إلياس: حدثني أبو عباد بن إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة، عن سعد ابن أبي وقاص قال: بينا أنا بناء عن داري إذ جاءني رسول زوجتي فقال: أجب فلانة، فاستنكرت ذلك فدخلت، فقلت: مه، فقالت: إن هذه الحية - وأشارت إليها - كنت أراها بالبادية إذا خلوت ثم مكثت لا أراها حتى رأيتها الآن وهي هي أعرفها بعينها.

وقال: فخطب سعد خُطبة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنك قد آذيتني وإني أُقسم لك بالله إن رأيتُك بعد هذا لأقتلنك، فخرجت الحية فانسابت من البيت، ثم من باب الدار[1].

وحكى ابن عقيل في الفنون قال: كان عندنا بالظفر - يعني من بغداد - دار

(١) آكام المرجان (٧٥).

كلما سكنها ناس أصبحوا موتى فجاء رَجلٌ مُقرئ - أي حافظ للقرآن - فاكتراها فارتقبنا فأصبح سالمًا، فتعجب الجيران وسألوه فقال: لما بت بها صليت العشاء وقرأت شيئًا من القرآن، وإذا شاب صعد من البئر فسلم عليَّ فهبت، فقال: لا بأس عليك علِّمني شيئًا من القرآن، فَسُريَ عنه - أي ذهب خوفه - ثم قلت: هذه الدار كيف حديثها؟ قال: نحن جن مسلمونَ نقرأ ونصلي وهذه الدار لا يكتريها إلا الفساق فيجتمعون على الخمر فنخنقهم. قلت: ففي الليل أخافك فتجيء نهارًا؟ قال: نعم، قال: وكان يصعد من البئر بالنهار وألفته[1]، والأخبار في هذا كثيرة وقد مرَّ شيء منها.

أما جانب الباطل فهو أحيانًا ما يثير الناس هذه الإشاعات كذبًا وبهتانًا لأغراض شخصية ومصالح دنيوية.

كيف تطرد الجن من البيت؟

ولكن إذا تيقنت فعلاً أن في البيت جنّيًا فتكون طريقة إخراجه كالآتي:

١ ـ تذهب أنت واثنان معك إلى هذا البيت وتقول «أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان أن تخرجوا وترحلوا من بيتنا، أناشدكم الله أن تخرجوا ولا تؤذوا أحدًا» تكرر هذا ثلاثةَ أيام.

٢ ـ إذا استشعرت بعد ذلك بشيء في البيت تحضر ماءً في إناء وتقرب فاك منه وتقول: بسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام، وسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مُسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، وشر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بما استعاذ به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغي.

* أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم «بسم الله الرحمن الرحيم».

---

(١) السابق (٩٩).

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[1] .

* ثم تَتَبعُ بهذا الماء جوانب الدار، فتضع منه في كل جانب من جوانبها؛ فيخرجون بإذن الله تعالى[2] فها هو العلاج بين يديك وما عليك إلا أن تخلصَ النية أثناء الدعاء وتستعين برب الأرض والسماء.

وإيّاك إيّاك أن تترك هذا الهدي وتطلب ضلالات السحرة والكهان ففيها الشقاء والبلاء، وأسأل الله أن يجعلنا به مستعينين وعليه متوكلين وبسلطانه معتصمين.

الجن أقل قدرا وأدنى كرامة من الإنسان:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله: إن الجن حتى الصالحين منهم لأقل قدراً وأدنى كرامة وأنقص شرفًا من الإنسان؛ إذ قرر الخالق عز وجل كرامة الإنسان وأثبتها في قوله من سورة الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3] ولم يثبت مثل هذا التكريم للجان في كتاب من كتب الله ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف قدراً من الجان، ويدل على ذلك أيضًا شعور الجن أنفسهم بنقصانهم أمام الإنس، ويدل على ذلك أنهم كانوا إذا استعاذ الإنس بهم تعاظموا وترفَّعوا لما في استعاذة الإنسان بهم من تعظيمهم وإكبارهم وهم ليسوا كذلك، فيزيدون رهقًا؛ أي طغيانًا وكفراً.

وقال تعالى في الحديث عنهم في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ

(١) سورة الصافات الآيات: (١ ـ ١٠).

(٢) الوابل الصيب وقد نقل ابن القيم هذا الدعاء عن الشافعي رحمه الله.

(٣) [الإسراء: ٧٠].

بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[١] ويشهد لذلك أيضًا أنه إذا توسَّل بهم الإنسان أو بأسماء عظمائهم أو أقسم بأشرافهم أجابوه وقضوا حاجته، كل ذلك شعور منهم بالضعف والحقارة أمام ابن آدم الكريم على الله إذا آمن بالله تعالى وعبده موحدًا له في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، أما الإنسان بدون ذلك فالجان، وصالحو الجان أفضل وأكرم من كفار بني آدم ومشركيهم. اهـ[٢] .

هل الجن يؤذون الناس:

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: إن أذى الجن للإنس ثابت لا يُنكر حيث ثبت ذلك بالدليل السمعي والدليل الحسي، والعقل لا يحيله بل يجيزه ويقرّه ولولا المعقبات من الملائكة التي أناط الله بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشياطين أحد؛ وذلك لعدم رؤية الإنسان لهم، ولقدرتهم على التحول بسرعة، ولكون أجسامهم من اللطافة بحيث لا نشعر بها ولا نحس، ومن هنا كان مما لا شك فيه أن بعضَ الجن يؤذي بعض الناس؛ إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فآذاهم بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم أو بنزوله بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون منه فيؤذونه.

وإما لمجرد الظلم من بعضهم فيؤذون الإنسان بغير سبب، كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان إذ أحيانًا يؤذي الإنسان أخاه بسبب خاص، وأحيانًا لمجرد الظلم كما هو مشاهد في الناس عند فساد فطرتهم وضعف إيمانهم وإرادتهم وعقولهم.

قال: وقد تقدم الحديثُ الصحيح وجاء فيه أن الشاب الأنصاري لما طعن الجن المتمثل في صورة حية ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن وقتلوه فمات لفوره حتى قال أبو سعيد الخدري: «لم يُدرَ أيهما كان أسرعُ موتًا من صاحبه: الحية أم الفتى؟!».

---

(١) [الجن: ٦]

(٢) عقيدة المؤمن (٢٢٨).

ثم قال الجزائري ـ حفظه الله ـ: ولشهرة هذه الحقيقة وتسليم الناس بها لا نطلب لها إيراد شواهد أخرى، ونكتفي بحادثة الأنصاري في «صحيح مسلم».

قال الجزائري: وهنا نذكر حادثة أخرى تمت في بيتنا، وعشنَا آلامها وعانينا آثارها: إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى «سعدية» وكنا يومًا ونحنَ صغار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل نربط له القنو (العرجون) ونسحبه إلى السطح ونحن فوقه، فحصل أن أختي سعدية جرَّت الحبل فضعفت عنه؛ فغلبها فوقعت على الأرض على أحد الجنَّة، فكأنها بوقوعها عليه آذته أذىً شديداً، فانتقم منها فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثًا أو أكثر فيخنقها فترفس المسكينة برجليها وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميتة، ونطق مرة على لسانها مصرحًا بأنه يفعل بها هكذا لأنها آذته يوم كذا في مكان كذا. . . ، ومازال يأتيها ويعذِّبها بصَرْعه ويأتيها عند النوم فقط، حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يُطاق فَصَرعها ليلة على عادته فما زالت ترفس برجلها، وتضطرب حتى ماتت ـ غفر الله لها ورحمها آمين ـ قال: هذه الحادثة عشتها وبعيني رأيتها، وليس من رأى كمن سمع. اهـ[1].

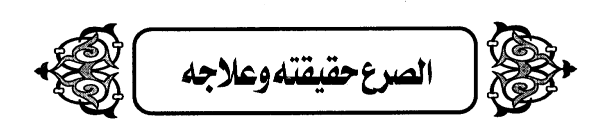
قلت: وهذا ما يسميه العلماء بالصرع. أما عن حقيقته وكيفية علاجه فذلك هو موضوع فصلنا القادم إن شاء الله تعالى.

(١) عقيدة المؤمن (٢٣٠).



الفصل الثاني

الصرع حقيقته وعلاجه



تعريف الصرع:

الصرع عبارة عن اختلال يصيب الإنسان في عقله، بحيث لا يعي المصاب ما يقول، فلا يستطيع أن يربط بين ما قاله وما سيقوله، ويصاب صاحبه بفقدان الذاكرة نتيجة اختلال في أعصاب المخ، ويصاحب هذا الاختلال العقلي اختلال في حركات المصروع فيتخبط في حركاته، فلا يستطيع أن يتحكم في سيره، وقد يفقد القدرة على تقدير الخطوات المتزنة لقدميه أو حساب المسافة الصحيحة لها.

ومن مظاهر الصرع عملية التخبط في الأقوال والأفعال والفكر. اهـ[١] .

تعريف الحافظ ابن حجر للصرع:

هي علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعًا غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصبًا، بل يسقط ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم؛ إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذى به.

والأول: هو الذي يثبته الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني: يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجًا إلا بمقاومة الأرواح الخيرية العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها. اهـ[٢].

الأدلة على إثبات الصرع:

لقد ثبت الصرع بالنقل والعقل على السواء، وهو واقع مشاهد لا يماري فيه إلا مكابر معاند.

---

(١) انظر عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة/ ٢٥٢، عالم الجن والملائكة (٧٦).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١١٤).

أولا: الأدلة من القرآن:

قـال تعـالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[١] .

قال الإمام القرطبي:

في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس. اهـ[٢] .

قال الإمام الطبري: في تفسير هذه الآية:

«حدثني بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أن ربا الجاهلية: يبيع إلى أجل مسمى، فإذا وصل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخَّر عنه، فقال جلَّ ثناؤه للذين يربون الرِّبا الذي وصفنا صفته في الدنيا: لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ، يعني بذلك يتخبله الشيطان في الدنيا فيصرعه من المس، يعني من الجنون. اهـ[٣] .

قال الحافظ ابن كثير:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا....﴾ الآية: أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا[٤] .

قال الألوسي:

إن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا قيامًا كقيام المصروع من الدنيا، والتخبط تفعّل بمعنى فعل وأجلّه ضرب متوال على أنحاء مختلفة... وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾: . أي الجنون، يقال: مُسَّ الرجل فهو ممسوس، إذا جُنَّ، وأصله اللمس باليد وسُمّي به؛ لأن الشيطان قد يَمُسُ الرجل، وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون. اهـ[٥] .

---

(١) [سورة البقرة: ٢٧٥].
(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٣٥٥).
(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٠١).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦).
(٥) نقلاً عن «عالم الجن في ضوء القرآن والسنة» (٢٦٣).

الأدلة من السنة:

١ - عن يعلىٰ بن مُرة قال: رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحدٌ قبلي ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت في سفر، حتىٰ إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة قال: «نَاولينيه» فرفعته إليه ﷺ فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فَغَرَ فاه، فنفث فيه ثلاثًا، وقال: «بسم الله أنَا عَبْدُ الله، اخْسَأ عَدُوَّ الله» ثم ناولها إياه فقال: «القينا في الرَّجْعَة في هَذَا المَكَان فَأخْبرينا مَا فَعَلَ» قال: فذهبنا ورجعنا، فوجدناها في ذَلك المكان، مَعَها شياه ثلاث فَقَالَ: «مَا فَعَلَ صبيُّك؟» فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتىٰ الساعة واجتزر هذه الغنم قال: «انزلْ خُذْ منْهَا وَاحدَةً وَرُدَّ البقيَّة....» وذكر الحديث بطوله[1].

٢ - وفي لفظ آخر لأحمد قال: ثنا وكيع قال: ثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن يعلىٰ بن مرة، عن أبيه ـ قال وكيع مرة، عن أبيه ـ أنَّ امرأة جاءت إلىٰ النبي ﷺ معها صبي لها به لَمَمٌ فقال النبي ﷺ: «اخرجْ عدوَّ الله أنا رسول الله» قال فبرئ، قال: فأهدت إليه كبشين وشيئًا من سمن وأقط، قال: فقال النبي ﷺ: «خُذ الأقطَ والسَّمْنَ وَأَحَدَ الكَبْشَيْن، وَرُدَّ عَلَيْهَا الآخَرَ»[2].

٣ - عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقاع، حتىٰ إذا كنا بحرَّة واقم عرضت امرأة بدوية بابن لها فجاءت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان فقال: «ادنيه منّي» فأدنته منه قال: «افْتَحي فَمَه» ففتحه، فبصق فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اخْسَأ عَدُوَّ الله، أنَا رَسُولُ الله» ـ قالها ثلاث مرات ـ ثم قال: «شَأْنُكِ بابْنِك لَيْس عَلَيْه فَلَن يَعُودَ إلَيْه شَيءٌ ممَّا كَانَ يُصيبه..»[3].

٤ - عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟!

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٠)، وابن أبي شيبة رقم (٣١٧٤٤، ٢٣٥٧٩ ط العلمية) بإسناد صحيح قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٩/ ٤): رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح اهـ قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) **إسناد صحيح**: رواه أحمد، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦): رواه أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح اهـ.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦)، ورواه الطبراني في «الأوسط»، والبزار باختصار، وفيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله ثقات أهـ.

قلت: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشفُ فادعُ اللهَ لي قال: «**إن شئت صبرْت ولك الجنةُ، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشفَ، فدعا»(١).

وهذه المرأة اسمها (أم زُفر) كما روى ذلك البخاري في «صحيحه» عن عطاء(٢)، والظاهر أن الصرع الذي كان بهذه المرأة كان من الجن.

قال الحافظ في شرح هذا الحديث: وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس في نحو هذه القصة أنها قالت: «إني أخافُ الخبيثَ أن يجردَني». اهـ(٣). والخبيث هو الشيطان، ولذلك قال الحافظ بعد سرد طرق الحديث: وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط. اهـ(٤).

٥ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ منَ الشَّيْطَان الرَّجيم وَهَمْزه وَنَفْخه ونفثه**» قال: فهَمْزه: الموتة، وَنَفْثه: الشعر، وَنَفْخهَ: الكبرياء(٥).

والموتة: جنس من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران. اهـ(٦).

قال ابن كثير: فهمزه، الموتة وهو الخنق الذي هو الصرع. اهـ(٧).

---

(١) **متفق عليه:** البخاري رقم (٥٦٥٢) في المرضى، باب فضل من يصرع، ومسلم رقم (٢٥٧٦) في «البر والصلة» باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض.

(٢) **صحيح البخاري:** كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح.

(٣) فتح الباري (١٠/ ١١٥). (٤) فتح الباري (١٠/ ١١٥).

(٥) **صحيح:** رواه أحمد (٣٦٣٨) وابن ماجه (٨٠٨) من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود به. وعطاء ثقة: إلا أنه تغير بآخره.

وله شاهد: من حديث جبير بن مطعم رواه أبو داود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٠٧) بسند لا بأس به في الشواهد.

وله شاهد ثان: من حديث أبي سعيد الخدري رواه أبو داود (٧٧٥) والترمذي (٢٤٢) وأحمد (١١٠٤٧) والدارمي (١٢٣٩) بسند حسن.

وله شاهد ثالث: عن أبي أمامة رواه أحمد (٢١١٥٤، ٢١١٥٦) وفي إسناده مجهول.

وله شاهد رابع: من حديث أبي سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف مرسلاً، رواه أحمد (٢٤٠٦٨) فالحديث بهذه الشواهد صحيح لا ريب فيه، ولذلك صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه (٨٠٨).

(٦) لسان العرب (٦/ ٤٢٩٦). (٧) البداية والنهاية (١/ ٦١).

يقول عبد الكريم نوفان: فهذا الحديث يثبت صرع الجن للإنس، حيث ورد فيه استعاذة النبي ﷺ من الهمز، وتفسير الهمز كما ورد بأنه الموتة التي تأخذ الإنسان في حياته وهي الصرع، إذ إن المصروع يصل بهذه الحالة إلى درجة الأموات لما يعانيه من ألم الصرع. اهـ(١).

٦ - عن أبي اليسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَرقِ وَالحَرقِ والهرم، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ المَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أن أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»(٢).

قال شجر: تخبطه الشيطان إذا مسه بخبل أو جنون. اهـ(٣).

٧ - عن صفية بنت حيي - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»(٤).

استدل بعض العلماء بهذا الحديث على استطاعه الشيطان النفاذ في باطن الإنسان، وبه استدلوا على إمكان وقوع الصرع.

يقول ابن حجر الهيثمي في كتابه «الفتاوىٰ الحديثية» بعد أن ذكر الحديث: وبه يُرَدُّ على من أنكر سلوكه في بدن الإنسان كالمعتزلة. اهـ(٥).

٨ - عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «ابْنِ أَبِي العَاصِ» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي قال: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُه» فدنوت منه فجلست على صدور قدمي قال: فضرب صدري بيده وتفل في فمي وقال: «اخْرُجْ عَدوَّ اللهِ» ففعل ذلك ثلاث مرات

(١) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (٢٦٩).

(٢) صحيح: أبو داود (١٥٥٢) في «الصلاة»، باب في الاستعاذة، والنسائي، (٨/ ٦٧٧) في «الاستعاذة»، ورواه الحاكم في «المستدرك»، (١/ ٥٣١)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٣) اللسان (٢/ ١٠٩٤).

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٢٠٣٨) في «الاعتكاف»، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، ومسلم رقم (٢١٧٥)، في «السلام»، باب تحريم الخلوة بالأجنبية.

(٥) نقلاً عن كتاب ردود على أباطيل (٢/ ١٣٨).

ثم قال: «الحَقْ بِعَمَلِكَ» قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد[(١)] .

٩ - وعن خارجة بن الصَّلْت، عن عمه أنّه أتى النبي ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعًا من عنده، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندكم شيء تداوونه به؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فَبرأ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هذا؟» قلت: لا قال: «خُذْهَا فَلَعَمري لَمَنْ أكَلَ برُقْيَة باطل، لَقَدْ أكَلْتَ برُقْيَة حَقٍّ» وفي رواية: (فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام، غُدوةً وعَشيَّةً، كلما ختمها جمع بُزاقَهُ ثم تَفَلَ»[(٢)] .

ثالثًا: الأدلة العقلية:

يقول الشيخ محمد الحامد: إذا كان الجن أجسامًا لطيفة لم يمتنع عقلاً ولا نقلاً سلوكهم في أبدان بني آدم، فإن اللطيف يسلك في الكثيف كالهواء مثلاً فإنه يدخل في أبداننا، وكالنار تسلك في الجمر، والكهرباء تسلك في الأسلاك، بل وكالماء في الأتربة والرمال والثياب مع أنه ليس في اللطافة كالهواء والكهرباء.

قال: وقد وقف أهل الحق موقف التسليم للنصوص المخبرة بدخول الجن أجساد الإنس، وقد بلغت من الكثرة مبلغًا لا يصح الانصراف عنه إلى إنكار المنكرين، وهذيانهم، فإن الوحي الصادق قد أنبأنا هذا، وإن الإذعان له يقتضيه دون ما تأويل سخيف يخرج بالنصوص عن صراطها إلى تعريجات لا يسلم معها إسلام ولا ينعقد بها اعتقاد صحيح، هو الإيمان المجزئ المنجي من نار الخلود في الآخرة.

قال: ووقائع سلوك الجن في أجساد الإنس كثيرة مشاهدة لا تكاد تُحصى لكثرتها، فمنكر ذلك مصطدم بالواقع المشاهد وإنه لُينادي ببطلان قوله. اهـ[(٣)].

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه رقم (٣٥٤٨) في «الطب»، باب الفزع والأرق وقال في «الزوائد»: إسناده صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في «المستدرك» وصححه.

(٢) **صحيح**: أبو داود رقم (٣٨٩٦) في «الطب»، باب كيف الرُّقى، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٩، ٥٦٠) وصححه ووافقه الذهبي والنووي في «الأذكار» (٨٧) والألباني.

(٣) ردود على أباطيل (٢/ ١٣٥).

قال القاضي عبد الجبار الهمذاني:

إذا صح ما دللنا عليه من رقة أجسامهم وأنهم كالهواء، لم يمنع دخولهم في أبداننا كما يدخل الريح النفس المتردد الذي هو الروح في أبداننا من التخرق والتخلخل، ولا يؤدي ذلك إلى اجتماع الجواهر في حيز واحد، لأنها لا تجتمع إلا عن طريق المجاورة، لا على سبيل الحلول، وإنما تدخل في أجسامنا، كما يدخل الجسم الرقيق في الظروف. اهـ[(١)] .

أقوال العلماء:

١ ـ وقد سبق أن ذكرنا كلام أئمة التفسير كالطبري والقرطبي وابن كثير، والألوسي.

٢ ـ ذكر الأشعري في «مقالات أهل السنة والجماعة» أنهم يقولون: إن الجني يدخل في بدن المصروع كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[(٢)] .

٣ ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي: «إن أقوامًا يزعمون أن الجنّي لا يدخل في بدن الإنس، فقال: يا بُني يكذبون، هو ذا يتكلم على لسانه»[(٣)] .

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهود محسوس لمن تدبره، يدخل في المصروع، ويتكلم بكلام لا يعرفه، بل ولا يدري به، بل يُضْرَبُ ضربًا لو ضربه جمل لمات، ولا يحس به المصروع، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ . وقوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»[(٤)] وغير ذلك يصدقه. اهـ[(٥)] .

---

(١) آكام المرجان (١٠٨). (٢) رسالة الجن (٦).

(٣) رسالة الجن (٨).

(٤) متفق عليه: البخاري (٧١٧١) في «الأحكام»، باب الشهادة تكون عند الحاكم، ومسلم رقم (٢١٧٥)، في السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة.

(٥) مختصر الفتاوى المصرية (٥٨٤).

٥ ـ قال ابن القيم:

الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. اهـ[١].

٦ ـ قال ابن حزم: وصَحَّ أن الشيطان يَمس الإنسان الذي يُسلِّطه الله عليه مسًّا كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء، والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع، بلا خلاف منهم، فيحدث الله ـ عز وجل ـ له الصرع والتخبط حينئذٍ كما نشاهده. وهذا هو نص القرآن، وما توجبه المشاهدة. اهـ[٢].

٧ ـ قال عمرو بن عبيد: المنكر لدخول الجن في أبدان الإنس دهري. اهـ[٣].

٨ ـ قال القاضي بدر الدين الشبلي: قد ورد السمع بسلوكهم ـ أي الجن ـ في الإنس. اهـ[٤].

موقف الأطباء من الصرع:

١ ـ يقول العالم الأمريكي (كارنجتون) عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتاب «الظواهر الروحية الحديثة» عن حالة المسّ: واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم أن يُهمِل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها، وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس وألوفًا يعانون كثيرًا في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا ما نحن قررنا إمكان المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث، والتفكير السيكولوجي من العناية والخدمة والجلد. اهـ[٥].

(١) الطب النبوي (٥١).
(٢) الفصل في «الملل والنحل» (٥/ ١٤).
(٣) آكام المرجان (١٠٩).
(٤) آكام المرجان (١٠٩).
(٥) عالم الجن والملائكة (٨٢).

٢ ـ ويقول الدكتور (بل) في كتابه «تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة» لدينا الكثير الذي يصح أن نُميطَ عنه اللثام وعلى الأخص ما كان متعلقًا بحالة المسّ الروحي باعتباره عاملاً مسببًا للأمراض النفسية والعصبية، ولقد ظهر أن المس الروحي أكثر تعقيدًا مما كان يُظن أولاً، ولا تتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولا من عقله وإرادته فقط، بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة والشخصية الماسة المركزية، وهي الشخصية التي اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص الممسوس، وهي على وجه العموم قليلة المقاومة لإيحاءات الغير، ومن ثمَّ تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون في الاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أو بعضها، وبمضي الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص الممسوس الذي يصل إلى مثل هذه الحال تلاشيًا تامًا.

قال: ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية، والاستخفاف. اهـ[(١)] .

٣ ـ ويقول الدكتور جيمس هايسلون في كتابه عن المس: إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه ولا يمكن إنكار مكنة حدوث المسّ. اهـ[(٢)] .

٤ ـ ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند: أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيثة على الشخص المريض، فيحدث اضطرابًا واختلالاً في اهتزازاته. اهـ[(٣)] .

---

(١) عالم الجن والملائكة (٨٣).
(٢) عالم الجن والملائكة (٨٣).
(٣) عالم الجن والملائكة (٨٣).

٥ - وممن أقرَّ أيضًا بوقوع الصرع من الأرواح الخبيثة، وأن الطب قد عجز عن علاجه، الدكتور باروز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينابولس بأمريكا، والدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة.

٦ - ويقول الدكتور أحمد الصباحي عوض الله: الصرع النفسي أو المسّ الروحي هو: فعل الأرواح الخبيثة الأرضية، وعلاجه يكون بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الخبيثة فتدفع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها وذلك بطريق الأبرار. اهـ[1].

التشخيص الطبي لحالة المس:

١ - يقول الدكتور (بل): للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هي: قاعدة المخ، ومنطقة الضفيرة الشمسية، والمركز المهيمن على أعضاء التناسل. اهـ[2].

٢ - ويقول الدكتور أحمد الصباحي عوض الله: الصرع عمومًا هو ارتباك وخلل مفاجئ في كهرباء المخ ووظيفته ونوباته تأتي على نوعين:

أ- نوبات تشنج عضوية تبدأ في مراكز الحركة بالمخ؛ نتيجة تغيرات فسيولوجية - عضوية - يفقد معها المريض إحساسه وشعوره تمامًا، وعلاجه يكون مع الأطباء البشريين وعندهم.

ب- نوبات تشنج نفسية تبدأ في مراكز الإحساس على شكل إحساسات مختلفة يكون مظهرها الأساسي تَغيُّرًا عقليا لا يفقد معها المريض إحساسه وشعوره تمامًا، وهذا النوع من النوبات الصرعية هو ما يمكن استشفاؤه بالدعوات والتوجه إلى الله تعالى مما لا يستطيعه علاج الأطباء. اهـ[3].

مشروعية علاج الصرع:

١ - قد تحدثنا عن علاج النبي ﷺ للصرع.

(١) الاستشفاء بالقرآن (٩٨).

(٢) عالم الجن والملائكة (٨٣).

(٣) الاستشفاء بالقرآن (٩٧).

٢ ـ ولقد عالج عبدُ الله بنُ مسعود المصروعَ بقراءة القرآن، وأقرَّه النبي ﷺ على ذلك فقد روىٰ أبو يعلىٰ عن حنش الصغاني، عن عبد الله بن مسعود: أنه قرأ في أُذن مُبتلىٰ فأفاق، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا قَرأْتَ في أُذُنه» قال: قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ (١) حتىٰ فرغتُ من السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْلا أنَّ رَجُلاً مُوَقِّنًا قَرَأَهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»(٢) .

٣ ـ ولقد عالج الإمام أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله الصرعَ: فقد قال القاضي أبوالحسين ابن القاضي أبي يعلىٰ بن الفراء الحنبلي في كتاب «طبقات أصحاب الإمام أحمد» سمعت أحمدَ بنَ عبيد الله قال: سمعت أبا الحسين علي بن أحمد بن علي العكبري قدم علينا من عكبر في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، قال: حدثني أبي، عن جدي قال: كنت في مسجد أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فأنفذ إليه المتوكل صاحبًا له يُعْلمُه أن له جارية بها صرع، ويسأله أن يدعو الله لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعلَي خشب بشراك من خوص للوضوء، فدفعه إلىٰ صاحب له، ثم قال له: تمضي إلىٰ دار أمير المؤمنين، وتجلس عند رأس هذه الجارية، وتقول له ـ يعني الجني ـ قال لك أحمد: أيُّمَا أحبُّ إليك تخرج من هذه الجارية، أو تُصفعُ بهذا النعلَ سبعين؟! فمضىٰ إليه وقال له مثل ما قال الإمام أحمد فقال له المارد علىٰ لسان الجارية: السمع والطاعة، لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا بها، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، وخرج من الجارية وهدأت ورُزقَت أولادًا، فلما مات الإمام أحمد عاودها المارد، فأنفذ المتوكلُ إلىٰ صاحبه أبي بكر المروذي، وعرّفه الحال، أخذ المروذي النعل ومضىٰ إلىٰ الجارية فكلّمه العفريت علىٰ لسانها: لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمِرنَا بطاعته. اهـ(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون الآية: (١١٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» وفي سنده ابن لهيعة وقد عنعنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥): وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.

(٣) آكام المرجان (١١٥).

٤ ـ ولَقد عالج شيخ الإسلام ابن تيمية الصرع وتكرر منه كثيرًا كما يَحكي تلميذُه ابنُ القيم فيقول: شاهدت شيخنا يرسل إلىٰ المصروع من يخاطب الروح فيه ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي فإن هذا لا يحلّ لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يَحس بألم. وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً، وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني مرة أنه قرأها في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومدَّ بها صوته، قال: فأخذتُ له عصا وضربته بها في عروق عنقه حتىٰ كلَّتْ يداي من الضرب، ولم يَشُك الحاضرون بأنه يموت لذلك الضرب، ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدَعُه كرامةً لك، قلت: لا، ولكن طاعة لله ورسوله ﷺ، قالت: فأنَا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلىٰ حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال: وعلىٰ أي شيء يضربني الشيخ ولم أُذْنب؟ ولم يشعُرْ بأنه وقع به الضرب البتة. اهـ(١).

سؤال يتعلق بمعالجة المصروع:

قد أورد هذا السؤال والجواب العلامة بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي في كتابه «آكام المرجان»:

قال: سئل أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: عن رجل ابْتُلي بمعالجة الجنّ مدة طويلة لكون بعض من عنده ناله سحر عظيم قليل الوقوع في الوجود، وتكرر السحرُ أكثر من مائة مرة، وكاد يتلفَ المسحورَ ويقتله بالكلية مرات لا تُحصىٰ، فقابلهم الرجل المذكور بالتوجه والصدّ البليغ ودوام الدعاء والالتجاء وتحقيق التوحيد، وأحس بالنصر عليهم وكان المصاب يراهم في اليفظة وفي المنام، ويسمع كلامهم في اليقظة أيضًا.

---

(١) الطب النبوي (٥٣).

فرآهم في أوائل الحال وهم يقولون مات البارحة منا البعض ومرض جماعة لأجل دعاء الداعي وسموه باسمه، وكان بالقاهرة رجل هائل يقلّ وجود مثله. ويجتمع بهم ويطّلعُ على حقيقة حالهم، وله عليهم سلطان باهر، فسئل: عن حقيقة منام المصاب، وعن خبر الدعاء، فأخبر بهلك ستة ومرض كثير من الجن، وتكرر ذلك نحو مائة مرة، وتبين للرجل الداعي المذكور أن الله تعالى قهرهم له، فإنه كان يجد ذلك ويشهده ويعاضده منامات المصاب المظلوم مع تحققه هلاك طائفة بعد طائفة والحالة هذه أم لا؟

وهل عليه من إثمهم شيء، فإنه قد يكون بعضهم مع صياله[1]، مسلمًا أو لا؟ وهل يجوز له إسلام صاحبه والتخلي عنه مع ما يشاهده من أذاه وقُرب هلاكه أو لا؟ وهل هذا الغزو مشروع وعليه شاهد من السنة النبوية والطريقة السائغة أو لا؟ وهل تشهد الشريعة بصحة وقوع مثل ذلك كما قد تحققه السائل وغيره من المباشرين والمصدقين، أو ذلك ممتنع كما تقوله الفلاسفة وبعض أهل البدع، وهل تجوز الاستعانة عليه بشيء من صنع أهل التنجيم ونحوهم ـ فيما يعانونه من الحُجُب والكتابة والبخور والأوراق وغير ذلك لأنهم يتحملون كبر ذلك والمصاب وأهله يطلبون الشفاء، وإن كان في ذلك كفر فيكون في عنق صاحبه الذي باع دينه بالدنيا وهذا من باب مقابلة الفاسد بمثله، أم لا يجوز ذلك لأجل تقوية طريقهم والدخول في أمر غير مشروع؟

تلخيص الجواب:

يَجوز بل يستَحب، وقد يجب أن يُذبَّ عن المظلوم وأن ينصر، فإن نصر المظلوم مأمور به بحسب الإمكان، وإذا بَرئ المصاب بالدعاء والذكر، وأمر الجن ونهيهم وإنهارهم وسبهم ولعنهم ونحوَ ذلك من الكلام حصل المقصود، وإن كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم، إذا كان الراقي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدىٰ عليهم كثير من أهل العزائم، فيأمرون بقتل من لا

(١) استطالته وسطوته

يجوز قتله، وقد يحبسون من لا يحتاج إلى حبس، ولهذا قد يقاتلهم الجن على ذلك، ففيهم من تقتله الجن أو تُمْرِضُه، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه.

وأما من سلك في دفاعهم مَسْلَكَ العدل الذي أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم، وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق وظلم للمخلوق، مثل هذا لا تؤذيه الجن إما لمعرفتهم بأنه عادل وإمّا لعجزهم عنه.

وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه فينبغي لمثل هذا أن يتحرز بقراءة المعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك، مما يقوي الإيمان ويجتنب الذنوب التي بها يستطيلون عليه فإنه مجاهد في سبيل الله، وهذا من أعظم الجهاد فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه. وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي فقد جرب المجرِّبون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته فإن لها تأثيرًا عظيمًا في طرد الشياطين عن نفس الإنسان، وعن المصروع، وعمن تعينه الشياطين من أهل الظلم والغضب، وأهل الشهوة والطرب وأرباب سماع المكاء والتصدية إذا قرئت عليهم بصدق.

قال: والصائل المعتدي يستحق دفعه سواء كان مسلمًا أو كافرًا فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِل دُونَ مَالِه فَهُوَ شَهِيدٌ**»(١) وقد روي: «**دُونَ دَمِه وَدُونَ حُرْمَتِه ودُونَ دينه**»(٢) فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن ماله ولو بقتل الصائل العادي فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته، فإن الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه، وقد يفعل معه

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٤٨٠) في الشركة، باب من قاتل دون ماله، ومسلم رقم (١٤١) في «الإيمان»، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره...».

(٢) **صحيح**: أبو داود (٤٧٧٢) في السنة، باب قتال اللصوص، والترمذي (١٤١٨ - ١٤٢١) في الديات، والنسائي (٧/ ١١٥، ١١٦) في «تحريم الدم»، ابن ماجه (٢٥٨٠) في «الحدود»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فاحشة، ولو فعل إنسيّ هذا بإنسي ولم يندفع إلا بالقتل جاز قتله، وأما إسلام صاحبه والتخلي عنه فهو مثل إسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة فإن كان عاجزًا أو كان مشغولاً بما هو أوجب منه أو قام غيره به لم يجب وإن كان قادراً وقد تعين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه.

وقول السائل: هل هذا مشروع؟ فهذا من أفضل الأعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين، فما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله تعالى به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذلك، ولو قُدِّرَ أنه لم يُنقل ذلك لكون مثله لم يقع عند الأنبياء؛ لكون الشياطين لم تكن تقدر أن تفعل ذلك عند الأنبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله تعالى بنصر المظلوم، وإغاثة الملهوف ونفع المسلم.

وهذا كدفع ظالم الإنس من الكفار والفجار، وقد يُحتاج في دفع الجن عنهم إلى الضرب، فيضرب ضربًا كثيراً. والضرب إنما يقع على الجني ولا يحس به المصروع ونخْبَرُ بأنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة وأربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الإنسي لقتله وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة.

قال: وقد فعلنا نحن هذا، وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثير.

قال: وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع استعماله إن كان فيه شرك، فإن ذلك محرَّم، وعامة ما يقول أهل العزائم فيه شرك وقد يقرءون مع ذلك شيئًا من القرآن ويُظهِرُونه، ويكتمون ما يقولون من الشرك.

قال: وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله.

والمسلمون وإن تنازعوا في التداوي بالمحرمات، فلا يتنازعون في أن الشرك والكفر لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرَّم في كل حال، وليس هذا كالمتكلم به عند الإكراه فإن ذلك إنما يجوز إذا كان القلب مطمئنًا بالإيمان.

والتكلم بما لا يُفهم بالعربية إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر، والشيطان إذا عرف أن صاحبه يستخف بالعزائم لم يساعده أيضًا، فإن المكره مضطر إلى التكلم به، ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين:

أحدهما: أنه قد لا يُؤثر، فما أكثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر، بل يزيده شرًا.

الثاني: أن في الحقّ ما يغني عن الباطل اهـ. كلام ابن تيمية ملخصًا[1] .

أسباب مس الجن للإنس:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وصرَع الجن للإنس قد يكون عن شهوة وهوىٰ وعشق، كما يتفق للإنس، وقد يكون - وهو كثير أو الأكثر - عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم، إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم وإن كان الإنسي لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما لا يستحقه، وقد يكون عن عبث منه وشر، بمثل سفهاء الإنس.

قال: فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التي حرّمها الله تعالىٰ كما حرّم ذلك على الإنس، وإن كان برضا الآخر، فكيف إذا كان مع كراهيته، فإنه فاحشة وظلم، فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرّمة، أو فاحشة وعدوان، لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلموا أنه يَحْكُمُ فيهم بحكم الله ورسوله، الذي أرسله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن.

وما كان من القسم الثاني: فإن كان الإنس لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يعتمد الأذىٰ لا يستحق العقوبة، وإن كان فعل ذلك في داره وملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز.

وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم، بل لكم ما ليس من مساكن

---

(١) آكام المرجان (١١٠-١١٢).

الإنس كالخراب والفلوات.

ثم قال والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أُخبروا بحكم الله ورسوله، وأقيمت عليهم الحجة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، كما يفعل بالإنس، لأن اللهَ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(١) وقال تعالىٰ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾(٢). اهـ ملخصًا(٣).

ويمكن تلخيص أسباب مسّ الجن للإنس فيما يلي:

١ ـ عشق الجني للإنسية، أو عشق الجنية للإنسي.

٢ ـ ظلم الإنسي للجني، بصب ماء ساخن عليه، أو بالوقوع عليه من مكان عال وغير ذلك.

٣ ـ ظلم الجني للإنسي، كأن يمسه دون سبب، ولا يتسنىٰ له ذلك، إلا في حالة من هذه الحالات الأربع:

١ ـ الغضب الشديد. ٢ ـ الخوف الشديد.

٣ ـ الانكباب علىٰ الشهوات. ٤ ـ الغفلة الشديدة.

كيف يدخل الجني في بدن الإنسي؟ وأين يستقر؟

الجن ريح، وجسم الإنسان به مسام، ولذلك يمكن للجّني أن يدخل من أي مكان في جسم الإنسان، والدليل علىٰ أن الجن ريح، قوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٥).
(٢) سورة الأنعام الآية (١٣٠).
(٣) رسالة الجن (٢٧).
(٤) سورة الرحمن الآية (١٥).

ويقول ابن عباس: من طرف اللَّهب، وطرف اللَّهب هو الهواء الساخن الخارج من النار.

وعندما يدخل الجنّي في بدن الإنسي يتوجه مباشرة إلى المخ، وعن طريق المخ يستطيع أن يؤثر على أي عضو من أعضاء الإنسان من مركزه في المخ، وقد أثبتت البحوث الطبية، أن مرضى الصرع لديهم ذبذبات أثرية غريبة مستقرة في المخ، ولقد أخبرني كثير من الجن: أنهم مستقرون في المخ، **وقال لي أحدهم**: أنا أستطيع أن أُؤثر على أي عضو من أعضاء هذا الإنسان. وقلت مرة لجنّي: أمسك هذا الذراع، فمد ذراعه، فقام ثلاثة من الشباب الأقوياء ليثنوا هذا الذراع، فلم يستطيعوا، فقلت له: اتركه، فتركه، فصار كما كان.

أعراض مس الجن للإنس:

مرض مسّ الجن للإنس كغيره من الأمراض له أعراضه الخاصة به، ولكن يجب التنبيه على أن هناك لبسًا بينه وبين بعض الأمراض العضوية، فقد جاءتني مريضة، فقلت لها: ما الذي يُؤلمك؟ فقالت: رجلي فقط، فظننت أنه روماتزم، ولكن قلت: نقرأ عليها القرآن تأكيدًا، فما هو إلا أن نطق عليها جني، وأخبرني بأنه يمسك رجليها، فأمرته أن يخرج طاعةً لله، فخرج، فقامت المرأة وقد ذهب ما بها من ألم، والفضل لله وحده.

ومعرفة الأعراض أمر مهم، بالنسبة للمعالج، وهذه الأعراض تنقسم إلى قسمين: أعراض في المنام، وأعراض في اليقظة:

فالأعراض التي في المنام هي[1]:

١ ـ الأرق: وهو أن لا يستطيع الإنسان أن ينام إلا بعد مدة طويلة من الاسترخاء.

٢ ـ القلق: وهو كثرة الاستيقاظ بالليل.

(١) هذه الأعراض عُرفت بالاستقراء، وليست توقيفية، ولذا قد يكون فها الصواب والخطأ كجميع أقوال البشر. ولقد وقفت على رسالة لأحد الطلبة في التعليق على هذه الأعراض، فقرأتها وتأملتها أكثر من مرة فلم أجد فيها شيئًا.

٣ ـ الكوابيس، وهي أن يرىٰ الإنسان في منامه شيئًا يضايقه وهو يريد أن يستغيث فلا يستطيع.

٤ ـ الأحلام المفزعة.

٥ ـ رؤية الحيوانات في المنام، كالقط، والكلب، والبعير، والثعبان، والأسد، والثعلب، والفأر.

٦ ـ القرض على الأنياب في المنام.

٧ ـ الضحك أو البكاء أو الصراخ في المنام.

٨ ـ التأوُّه في المنام.

٩ ـ أن يقوم ويمشي وهو نائم دون أن يشعر.

١٠ ـ أن يرىٰ في منامه: كأنه سيسقط من مكان عال.

١١ ـ أن يرىٰ نفسه: في مقبرة، أو مزبلة، أو طريق موحش.

١٢ ـ أن يرىٰ أُناسًا بصفات غريبة كأن يلاحظ عليهم طولاً مفرطًا، أو قصرًا مفرطًا، أو يرىٰ أناسًا سُودًا.

١٣ ـ أن يرىٰ أشباحًا في منامه.

الأعراض في اليقظة:

١ ـ الصداع الدائم بشرط أن لا يكون سببه مرضًا في العينين، أو الأذنين، أو الأنف، أو الأسنان، أو الحنجرة، أو المعدة.

٢ ـ الصدود: وهو الصدود عن ذكر الله، وعن الصلاة، وعن الطاعات كلها.

٣ ـ الشرود: ويقصد به الشرود الذهني.

٤ ـ الخمول والكسل.

٥ ـ الصرع: وهو ما يسمىٰ بالتشنجات العصبية.

٦ ـ ألم في عضو من الأعضاء عجز الطب البشري عن علاجه.

أنواع المس:

١ ـ مسّ كلي: وهو أن يمسّ الجنّ الجسد كله، كمن تحدث له تشنجات عصبية.

٢ ـ مسّ جزئي: وهو أن يمسك عضواً واحداً كالذراع، أو الرجل، أو اللسان.

٣ ـ مسّ دائم: وهو أن يستمر الجن في جسده مدة طويلة.

٤ ـ مسّ طائف: وهو لا يستغرق أكثر من دقائق كالكوابيس[١].

صفات المعالج:

لا يتسنىٰ لأي إنسان أن يعالج المصروع، ولذا يجب أن يتصف المعالج بالصفات الآتية:

١ ـ أن يكون معتقداً عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، تلك العقيدة الصافية النقية البيضاء الناصعة.

٢ ـ أن يكون محققًا للتوحيد الخالص في قوله وعمله.

٣ ـ أن يكون معتقداً أن لكلام الله تأثيراً علىٰ الجنّ والشياطين.

٤ ـ أن يكون عالمًا بأحوال الجن والشياطين.

٥ ـ أن يكون عالمًا بمداخل الشيطان، فانظر إلىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قال له الجن: أنا أخرج كرامة لك: قال: لا، ولكن طاعة لله ورسوله، فلو لا أن شيخ الإسلام عالم بمداخل الشيطان ما قال ذلك.

٦ ـ يستحب للمعالج أن يكون متزوجًا.

٧ ـ أن يكون مجتنبًا للمحرمات التي بها يستطيل الشيطان علىٰ الإنسان.

٨ ـ أن يكون مواليًا بالطاعات التي بها يرغم أنف الشيطان.

٩ ـ أن يكون ملازمًا لذكر الله العظيم ـ الذي هو الحصن الحصين ـ من الشيطان

---

(١) وهذا لا يسمىٰ مسًا في الحقيقة، بل هو مضايقة من الشيطان، ولو توضأ المسلم قبل النوم وذكر الله بالأذكار الواردة عند النوم لم يصبه شيء من هذا إن شاء الله.

الرجيم - ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الأذكار النبوية اليومية، وتطبيقها؛ كالذكر عند دخول المنزل والخروج منه، ودخول المسجد والخروج منه، وعند سماع صياح الديك، أو نهيق الحمار، وعند رؤية القمر، وركوب الدابة، وما شابه ذلك.

١٠ـ أن يخلص النية في المعالجة.

١١ـ أن يكون متحصنًا بالتحصينات المذكورة في الفصل السادس.

وبالجملة: كلما ازداد الإنسان من الله قُربًا ازداد من الشيطان بُعدًا، بل وازداد عليه قوة وتأثيرًا. واعلم أنك إذا قدرت على نفسك وشيطانك فأنت على غيرهما أقدر، وإذا عجزت عنهما فأنت عن غيرهما أعجز.

كيفية العلاج:

عملية العلاج تتكون من ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل العلاج:

١ - تهيئة الجو الصحيح، فتقوم بإخراج الصور من البيت الذي تعالج فيه؛ حتى يتسنَّى للملائكة أن تدخله.

٢ - إخراج ما مع المريض من حجاب، أو تميمة وحرقها.

٣ - خلو المكان من غناء، أو مزمار.

٤ - خلو المكان من مخالفة شرعية: كرجل يلبس ذهبًا، أو امرأة متبرجة.

٥ - إعطاء المريض وأهله درسًا في العقيدة، بمقتضاه تنزع تعلق قلوبهم بغير الله.

٦ - تقوم بالتفريق بين طريقتك في العلاج، وطريقة السحرة والدجالين، وتبين لهم أن القرآن فيه شفاء ورحمة، كما أخبر المولى عز وجل.

٧ ـ تشخيص الحالة: وذلك بعدة أسئلة تُوجهها للمريض، لكي تتأكد من توفر الأعراض، أو معظمها، مثل:

أ- هل ترى حيوانات في المنام؟ وكم حيوانًا ترى؟ وهل هو نفس الحيوان في كل مرة؟

ب - هل ترىٰ حيوانًا يطاردك في المنام؟

ج - هل ترىٰ أحلامًا مُفزعة؟

د - هل ترىٰ كأنك ستقع من مكان عال؟

هـ - هل ترىٰ كأنك تسير في طريق موحش؟

وتستمر في الأسئلة عن جميع الأعراض في المنام وفي اليقظة، حتىٰ تتأكد من وجود الحالة، ويمكن أن تستشف من هذه الأسئلة عدد الجن، ونوعه، فمثلاً: إذا كان يرىٰ في كل منام ثعبانين، فهذا يدل علىٰ أنه مقترن به جنان، وكذا لو رأىٰ في منامه رجلاً يلبس صليبًا وتكرر هذا الحلم، فهذا يدل علىٰ نوع الجِنّي الصارع(١) .

هذا إذا كانت الحالة غير ناطقة، أما إذا كانت ناطقة بمعنىٰ أن الجِنّي قد أفصح عن نفسه، ونطق علىٰ لسانها فلا داعي للتشخيص؛ لأن الحالة واضحة(٢) .

٨ - يستحب أن تتوضأ قبل البدء في العلاج، وتأمر من معك بالوضوء.

٩ - إذا كانت المريضة أنثىٰ لا تبدأ في علاجها، حتىٰ تتحشم وتغطي وجهها وتشد عليها ملابسها حتىٰ لا تتكشف أثناء العلاج.

١٠ - ولا تعالج امرأة إلا في وجود أحد محارمها.

١١ - ولا تُدخل معك أحدًا من غير محارمها.

١٢ - تسأل الله - عز وجل - أن يعينك علىٰ إخراج هذ الجِنّي، وينصرك عليه.

المرحلة الثانية: العلاج:

أولاً: تضع يدك علىٰ رأس المريض، وتقرأ هذه الآيات في أذنه بترتيل:

١ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

---

(١) وهذا علىٰ غلبة الظن.

(٢) مع التنبه إلىٰ أن الجني قد يكذب، فالجن فيهم كذب كثير.

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ١، ٧].

٢ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

٣ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

٤ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥، ٢٥٧].

٥ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

٦ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

٧ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤، ٥٦].

٨ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٨].

٩ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١، ١٠].

١٠ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٢].

١١ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣، ٣٥].

١٢ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢١، ٢٤].

١٣ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ١، ٩].

١٤ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

١٥ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق].

١٦ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ

بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس][1] .

فهذه الرقية تؤثر على الجني ، إما بطرد وإبعاد ، أو جذب وإحضار .

طرد وإبعاد: بمعنى طرد الجنّي من الجسد قبل أن ينطق، أو يتكلم فيكفيك الله شره .

وجذب وإحضار: بمعنى زلزلة الجنّي في الجسد، واضطراره إلى النطق والتحدث معك، ويجب على الراقي أن يَرقي بنيَة الطرد والإبعاد عملاً بقول النبي ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ»[2] وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [فاطر: ٦].

ثانيًا: فإذا حضر الجنّي فكيف تعرفه؟

تعرفه بعلامة من هذه العلامات :

١ ـ تغميض العينين، أو شخوصهما، أو طَرف العينين طرفًا شديدًا، أو وضع اليدين على العينين .

٢ ـ رعشة شديدة في الجسد، أو رعشة خفيفة في الأطراف .

٣ ـ انتفاضة شديدة .

٤ ـ صياح وصراخ .

٥ ـ التصريح باسمه .

ثالثًا: ثم تبدأ في مخاطبته بهذه الأسئلة:

أ ـ ما اسمك؟ وما ديانتك؟

ب ـ ما سبب دخولك في هذا الجسد؟

---

(١) وقد سبق أن الحديث الوارد فيها ضعيف، ومن هنا فلا يشترط التقيد بها، فلو رقى بغيرها فلا مانع فالقرآن كله شفاء .

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٠٢٥) في «الجهاد»، باب لا تمنوا لقاء العدو، ومسلم رقم (١٧٤٢) في الجهاد، باب كراهية تمني لقاء العدو .

ج - هل معك غيرك على هذا الجسد؟

د - هل تعمل مع ساحر؟

هـ - أين تسكن في الجسد؟

رابعًا: كيف تتعامل مع الجن المسلم؟

إذا كان مسلمًا تستخدم معه أسلوب الترغيب والترهيب وتعامله حسب سبب دخوله، فإن كان سبب دخوله ظلم الإنسي له: تعرِّفه أن الإنسي لم يره، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة.

وإن كان سبب دخوله عشق الإنسي: تبين له حرمة ذلك، وجزاء ما يفعله يوم القيامة، وتخوفه من عذاب الله وعقابه.

وإن كان سبب دخوله ظلمه للإنسي: تعرِّفه عاقبة الظالمين الوخيمة، وتبين له عقاب الظالمين يوم القيامة.

فإن استجاب وخرج، فالحمد لله، ولكن قبل أن يخرج لابد أن يُعاهد الله ويردد وراءك هذا العهد: (عاهدت الله تعالى أن أخرج من هذا الجسد، ولا أعود إليه مرة أخرى، ولا إلى أحد المسلمين، وإن نكثت في عهدي فعَلَيَّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، اللَّهم إن كنت صادقًا فسهل عليّ خروجي، وإن كنت كاذبًا فمكّن المؤمنين منّي. والله على ما أقول شهيد)[1].

خامسًا: ثم تقول له: من أين ستخرج؟ فإن قال لك من عينه، أو من حنجرته، أو من بطنه فقل له: لا، ولكن أخرج من فمه، أو من أنفه، أو أذنه، أو من أصابع يديه أو رجليه، وتقول له: بعد أن تجمع نفسك من الجسد وقبل أن تخرج: قل: السلام عليكم.

سادسًا: بعد أن يخرج تأكد من ذلك، لأن الجن فيهم كذب كثير، إلا من عصم الله، فلابد أن تقرأ عليه الرقية مرة أخرى، فإن تأثر الإنسان بالقرآن كأن ترتعد

(1) أو أي لفظ آخر شريطة ألا يحتوي على شرك.

أطرافه : فاعلم أن الجِنّي ما زال في الجسد، وإن لم يتأثر فاعلم أنه قد خرج.

كيف تتعامل مع الجن غير المسلم؟

أولاً: وقبل كل شيء تعرض عليه الإسلام عرضًا شاملاً، ثم تأمره بالإسلام - دون إكراه، فإن أسلم فتأمره بالتوبة، وتُعرِّفه أن من تمام التوبة الإقلاع عن هذا الظلم، والخروج من هذا الجسد.

ثانيًا: إن أصرَّ على الكفر فلا إكراه في الدين، ولكن تأمره بالخروج من الجسد فإن خرج فالحمد لله، وإن أصرَّ فلابد من التهديد، ويمكن أن تستخدم الضرب، ولكن لا يحل لأحد أن يستعمل الضرب، إلا إذا كان ذا خبرة تؤهله بأن يجزم بأن الضرب ينزل على الجِنّي، لأن هناك نوعًا من الجنّ يهرب عند الضرب، فينزل الضرب على الإنسي فيشعر به، والضرب يكون على الأكتاف والأرداف والأطراف.

ثالثًا: تلاوة السور التي تؤذي الجنّ كآية الكرسي، وسورة يس، وسورة الصافات، وسورة الدخان، وسورة الجِنّ، وآخر سورة الحشر، وسورة الهُمَزة، وسورة الأعلى.

وعمومًا كل آية فيها ذكر الشياطين، أو ذكر النار والعذاب تؤذي الجنّ وتؤلمه.

فإن استجاب فارفع عنه العذاب من قرآن، أو ضرب، وخذ عليه عهد الله، ثم مُره بالخروج.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد العلاج:

وهذه المرحلة حرجة؛ لأن الإنسي فيها معرض لرجوع الجِنّي له مرة أخرى، ولذا يجب أن تأمره بالآتي:

١ ـ المحافظة على الصلاة في جماعة.

٢ ـ عدم سماع الغناء، والتلفزيون، والموسيقى.

٣ ـ الوضوء قبل النوم، وقراءة آية الكرسي.

٤ ـ قراءة سورة البقرة في البيت كل ثلاثة أيام.

٥ - قراءة سورة الملك قبل النوم، أما الأميُّ فيكفيه أن يستمع إليها.

٦ - قراءة سورة يس في الصباح، أو الاستماع إليها كما سبق.

٧ - مصاحبة الصالحين، والبعد عن الفاسدين.

٨ - وإذا كانت امرأةً تأمرها بالحجاب الشرعي؛ لأن الشياطين أقرب للمتبرجة.

٩ - سماع ساعتين من القرآن المرتل يوميًا، أو تلاوة جزء.

١٠ - يقول بعد صلاة الفجر: **«لاَ إِلَهَ إلا الله وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير» ١٠٠ مرة**

١١ - البسملة عند كل شيء.

١٢ - عدم النوم وحده.

١٣ - ثم تعطيه من التحصينات المذكورة في الفصل السادس ما يناسبه.

ثم تراه بعد شهر، وتقرأ عليه الرقية مرة أخرى، فإن لم يعاوده فمُرهُ بالمحافظة على التحصينات، كي يكون في مأمن من الشياطين.

تنبيهات للمعالج:

أولاً: أحيانًا تقرأ الرقية فيشعر المريض بدوخة، أو ضيق، وخنقة، أو رعشة، ومع ذلك لا يحضر شيء، فكرِّر الرقية ثلاث مرات فإن لم يحضر شيء فأعطه هذه التعليمات.

١ - المحافظة على الصلاة في جماعة.

٢ - عدم سماع الغناء، والتلفزيون، والموسيقى.

٣ - الوضوء قبل النوم، وقراءة آية الكرسي.

٤ - عدم تعليق الصور التي فيها روح في البيت الذي يعيش فيه.

٥ - البسملة عند كل شيء.

٦ - الإكثار من قول «لا إله إلا الله».

٧ ـ يكثر من قراءة سورة الصافات، والدخان، والجن، أو يستمع إليها.

٨ ـ يكثر من قراءة سورة يس، والرحمن، والمعارج.

٩ ـ لا ينام وحده.

١٠ ـ المحافظة على أذكار الصباح والمساء، أو الاستماع إليها.

١١ ـ لبس الحجاب الشرعي، وعدم الخروج من البيت متعطرة، هذا إذا كانت امرأة.

١٢ ـ تسجيل هذه السور على أشرطه حسب ترتيبها في المصحف، ويستمع في كل يوم من أيام الأسبوع إلى شريط بين ٤ ـ ٦ مرات. وهذه السور هي:

الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران ـ الأنعام ـ هود ـ الكهف ـ الحجر ـ السجدة ـ الأحزاب ـ يس ـ الصافات ـ فصلت ـ الدُّخان ـ الفتح ـ الحجرات ـ ق ـ الذاريات ـ الرحمن ـ الحشر ـ الصف ـ الجمعة ـ المنافقون ـ الملك ـ المعارج ـ الجن ـ التكوير ـ الانفطار ـ البروج ـ الطارق ـ الأعلى ـ الغاشية ـ الفجر ـ البلد ـ الزلزلة ـ القارعة ـ الهُمزة ـ الكافرون ـ المسد ـ الإخلاص ـ الفلق ـ الناس.

وبعد شهر تقرأ عليه الرُّقية، إما أن تجد الجِنّي قد طُردَ من هذا الجسد، أو ما زال موجودًا.

ففي الحالة الأولى: قد كفاك الله شره. وتستدل على ذلك بشفاء الألم العضوي، وعدم رؤية الأحلام، وعدم التأثر بالرقية.

وفي الحالة الثانية: يكون الجني قد ضعف، فتقرأ عليه الرقية، فيأتيك صاغراً بإذن الله.

ثانيًا: أحيانًا يحضر الجني ويأبى أن يخرج، فتقرأ عليه السور التي تؤذيه وتؤلمه، فإن أصرّ فيمكن أن تستخدم الضرب، فإن أصرّ، فأعطه التعليمات السابقة يطبقها شهراً كاملاً.

ثالثًا: أحيانًا تقرأ على المريض فلا يزيد عن البكاء الشديد، ولكنه في كامل قواه العقلية، وإذا سألته عن سبب بكائه فيقول لك: أبكي رغم أنفي، ولا أستطيع أن

أمالك نفسي، فهذه الحالة ـ والله أعلم ـ حالة سحر وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فعليك بقراءة هذه الآيات في أذنه:

١ ـ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢].

٢ ـ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧ ، ١٢٢].

٣ ـ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

تقرأ كل آية من هذه الآيات في أذنه عدة مرات فإن زاد في البكاء فتأكد من أنها حالة سحر، وسنقوم إن شاء الله تعالى بشرح أنواع السحر وعلاج كل نوع منها في الكتاب الآخر[1].

رابعًا: أحيانًا يحضر الجنّي، يصيح ويصرخ ويهدد ويتوعد، فلا تخف، ولكن اضربه وأدبه، فسيسكن بإذن الله، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء: ٧٦].

خامسًا: أحيانًا يسبّك الجنّي ويشتمك، فلا تغضب لنفسك.

سادسًا: أحيانًا يقول لك الجني: أنت رجل صالح، وسأخرج كرامة لك، فقل له: أنا عبد ضعيف، واخرج طاعة لله ولرسوله.

سابعًا: أحيانًا تجد الجني الصارع معاندًا، ففي هذه الحالة تسجل له آية الكرسي على شريط مكررة لمدة ساعة، ويستمع لهذا الشريط خمس مرات يوميًا أو أكثر بالسماعات لمدة شهر، فسوف يتألم ويخرج إن شاء الله تعالى.

ثامنًا: إذا أردت أن تعرف عقيدة الجنّي دون أن تسأله فاقرأ عليه الآيات التي تخاطب أهل الكتاب كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومثلها من الآيات، فإن صرخ فاعلم أنه نصراني، ومثل قوله

(١) صدر الكتاب بعنوان (الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار) ولله الحمد والمنة.

تعالىٰ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة : ٣٠] .

تاسعًا: أحيانًا يهرب الجني عند العهد، ففي هذه الحالة تقرأ في أذن المريض : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ...﴾ ٤ آيات من سورة الرحمن وتكررها .

عاشرًا: أحيانًا يوهمك الجني أنه خرج وهو ما زال في الجسم، بل ربما يكون هو الذي يخاطبك فكيف تعرف ذلك؟

تضع يدك علىٰ رأسه، فستشعر برعشة خفيفة، وكذا لو وضعت يدك علىٰ ركبته أو علىٰ الودجين فستشعر بنبض غير عادي .

الحادي عشر: أحيانًا يوافق الجني علىٰ الخروج ولكنه لا يستطيع، إمّا لصغر سنه أو لقلة خبرته، وستجده يعترف بذلك، ويقول لك ساعدني في الخروج، في هذه الحالة تقرأ عليه سورة يس كاملة وتؤذّن في أذنه .

الثاني عشر: الرقية تكون بترتيل، وخشوع، وبصوت مسموع .

الثالث عشر: أحيانًا يشترط الجنّي شروطًا معينة، فإن كان فيها طاعة لله ورسوله كقوله ـ سأخرج منه بشرط أن يحافظ علىٰ الصلاة، أو سأخرج منها بشرط أن تتحجب، فلا بأس من تلبية هذه الشروط، ولكن تُعرِّفه أن فعل هذه الأمور لا طاعة له، وإنما طاعة لله وحده .

وإن أمر بمعصية فلا تُلَبِّ له طلبه . بل يعاقب علىٰ ذلك

الرابع عشر: إن صرفه الله عن المريض فمره ومن معه أن يسجدوا لله شكرًا علىٰ تَخَلُّصهم من هذا الظالم، وتسجد أنت أيضًا لله شكرًا علىٰ توفيقه إياك لرفع هذا الظلم .

الخامس عشر: إن صرف الله علىٰ يديك جنيًا فلا تقل : أخرجته أو صرفته، ولكن قل : صرفه الله، أو : أخرجه الله، وإياك والغرور فإنه من مداخل الشيطان الكبرىٰ(١) .

السادس عشر: ننصح من يقوم بعملية العلاج أن يقرأ هذه الكتب : «إغاثة اللَّهفان»، و«تلبيس إبليس»، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»،

---

(١) وننصح المعالج أن لا يتحدث عن نفسه وعن الحالات التي تم شفاؤها على يديه بل يخفي ذلك ليكون خالصًا لله .

و«رسالة الجن لابن تيمية»، و«عالم الجن والشياطين»، و«آكام المرجان» مع التنبيه على أن الكتاب الأخير به كثير من الأحاديث الضعيفة فكن منها على حذر.

كما ننصح بقراءة كتاب «بدء الخلق »من «صحيح البخاري »مع شرحه «فتح الباري»، وكتاب «الطب» من «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود» و«مجمع الزوائد» و«سنن ابن ماجه» وكذا كتاب «الطب النبوي» لابن القيم.

نماذج عملية

وإيمانًا منا بأن الناحية العملية لابد أن تتكاتف مع الناحية النظرية، لإعطاء الثمرة المرجوة رأيت أن أسوق لك بعض النماذج الواقعية باختصار(١).

النموذج الأول(٢):

قرأت على امرأة مريضة بعض آيات من الرقية، فارتعدت، فقلت: من معنا؟

قال: الشيخ محمد.

قلت: ما سبب دخولك في هذه المرأة يا محمد؟

قال: وقعت عليّ في الحمام.

قلت: اتركها طاعة لله.

قال: لا، لن أتركها.

قلت: إذًا، فاسمع، وقرأت عليه أول سورة الصافات، فتأذى وبكى، وقال: سأخرج.

قلت: اخرج الآن، فتلكأ.

قلت: إذًا، فاسمع، وقرأت عليه أول سورة الجن.

فقال: دعني وسأخرج، ثم قال: السلام عليكم وخرج، فلله الحمد والمنة.

(١) مع التنبية على أنني لا أفضل طول الحوار مع الجني إلا أنني اضطررت لوضع النماذج ليتدرب عليها المعالجون.

(٢) كما أنبه على أن هناك حالات وقفت أمامي لم أستطع علاجها، وحتى هذه الحالات التي تم شفاؤها كان ذلك توفيقًا من الله وتيسيرًا منه، وليست مهارة مني ولا فضلاً.

النموذج الثاني:

جاءتني امرأة مريضة ، فقرأت عليها الفاتحة ، فحضر الجني .

فقلت : ما اسمك؟

قال : محمد

قلت : إذًا مسلم؟

قال : نعم .

قلت : هل معك غيرك على هذا الجسد؟

قال : معي جني نصراني يدعى «صبحي» .

قلت : أحضره أكلمه ، فناداه فجاء .

فقلت : ما اسمك؟

قال : صبحي .

قلت : أمسلم أنت؟

قال : لا ، ولكني نصراني .

قلت : كم سنك؟

قال : ١٨ سنة .

قلت : هل تعمل مع ساحر؟

قال : نعم، أعمل مع ساحرة من دسوق[١] .

فعرضت عليه الإسلام، فأسلم .

فقلت : من لسانك أم من قلبك

قال : من قلبي ، وظل يبكي ويقول : لقد آذيت كثيراً من الناس .

---

(١) إحدى مدن محافظة كفر الشيخ بمصر .

فقلت: غفر الله لك، تُبْ توبة نصوحًا.

قال: ولكني لا أعلم الوضوء والصلاة.

فقلت له: هل تعرف جنيًّا مسلمًا؟

قال: أنا لا أعرف إلا النصارىٰ والكنائس فقط.

فقلت له: يمكنك أن تأتي إلىٰ مسجدنا هذا فتصلّي معنا، وتتعرف علىٰ إخوانك من الجن المؤمنين، وتتعلم منهم أمور الدين، فرحب بالفكرة.

ثم سألته مستدرجًا: هل ستظل تعمل مع الساحرة؟

قال: لا؛ لأن الإسلام قد حرّم السحر.

ثم عاهد الله وانصرف، نسأل الله أن يثبته علىٰ الإسلام.

ثم جاء محمد فقلت له: هل سمعت ما حدث؟ قال نعم.

فقلت: ما شعورك؟

قال: مسرور جدًا، لأنه دخل في الإسلام، ثم عاهد الله وخرج، والفضل لله وحده.

النموذج الثالث:

جاءتني فتاة تشكو من ألم في جسمها، فبعد ما شخصتُ المرض وتأكدت من وجود المسّ، قرأت عليها آيات الرقية، فشعرت بتخدير في ذراعها، فأعطيتها التعليمات السابقة، وأمرتها أن تأتيني بعد أسبوعين.

فجاءت، وأخبرتني أنها طبقت كل التعليمات، فقرأت عليها الرقية، فحضرت جنية اسمها «زينب عبد الموجود».

قلت: ما دينك؟

قالت: مسلمة.

قلت: وهل القرآن يؤثر في الجني المسلم؟

قالت: نعم.

قلت: ما السور التي تؤثر على الجن؟

قالت: السور التي أمرتها بقراءتها: يس ـ الدخان ـ الصافات ـ والجن.

قلت: وسورة البقرة؟

قالت: نعم تؤثر على الجن وتُحرقُه.

قلت لها: ماذا فعلت مع فلانة «الإنسية» بعد ما ذهبت إلى البيت في المرة الأولى؟

قالت: بعد ما طبقت التعليمات ضعُفتُ جدًا، لأنها تقرأ القرآن فيؤذيني، وتسمي عندما تأكل فلا أستطيع أن آكل معها، وإن نسيت في أول الأكل قالت: «بسم الله أوله وآخره»، فأتقيأ ما أكلت.

ثم قالت: اتركني. فقلت لها: من أين ستخرجين؟

قالت: من فمها.

ثم قالت: السلام عليكم وانصرفت. والفضل لله وحده.

النموذج الرابع:

ذهبت لمعالجة فتاة مريضة كان الجن قد نطق على لسانها قبل ذلك، فأمرت والدها أن يُنزل كل صورة معلقة في البيت، وأن يأمر ابنته بلبس الحجاب، فتمَّ تهيئة الجو الصحيح.

فذهبت لأقرأ عليها فحضرت الجنية قبل أن أقرأ، فأسمعتها آيات سورة الدُّخان، ثم سألتها: ما اسمك؟

قالت: «نجوى».

ما دينك؟

قالت: مسلمة.

هل معك أحد غيرك؟

قالت: والدتي «فاطمة».

أحضريها أُكلمها، فكلمتها ووعظتها ورهبتها من عذاب الله، فقالت: سأخرج فسألتها كم سنك؟

قالت: ٤٠ سنة.

قلت: هل لبست أحداً قبل فلانة؟

قالت: أربعة.

فبينت لها: أن هذا ظلم، ولا يجوز، وأمرتها بالتوبة، وعلمتها صلاة التوبة ثم أعطت العهد وانصرفت.

ثم جاءت «نجوىٰ»، فسألتها: أمتزوجة من الجن؟

قالت: لا

قلت: كم سنك؟

قالت: ٢٠ سنة.

قلت: هل ستتزوجين.

قالت: وهبت نفسي لله.

قلت لها: لا رهبانية في الإسلام، اذهبي فتزوجي من جِنّي صالح مؤمن تقي، فاقتنعت ثم أعطتني العهد، وانصرفت.

النموذج الخامس: (الجني الغواص)

جاءني رجل وقال: إن أبي به مس.

قلت: وما يدريك؟

قال: إذا سمع خُطبة الجمعة، وهو في المسجد، يُصْرَعُ ويظل هكذا حتىٰ تنتهي الخطبة، وكثيراً ما يصرع في الصلاة وليلة الإثنين من كل أسبوع، لا يدع أحداً يدخل عليه الغرفة ولا حتىٰ زوجته، وينام تلك الليلة وحده في الظلام.

فذهبتُ معه أنا وثلاثة من أصدقائي، فوجدنا ذلك الرجل المريض جالسًا وفي كامل قواه العقلية، وعمره حوالي خمسة وأربعون عامًا.

فسألته: ما أسمك؟

قال: «محمود».

قلت: ما يؤلمك؟

قال: أشعر كأن معي جنيَّة.

قلت: وهل تريد أن تُخرجها؟

قال: نعم إنها أتعبتني جداً، وكادت أن تفرق بيني وبين زوجتي.

قلت له: اذهب فتوضأ وتوضأتُ أنا ومن معي، ثم أمرت أحد أصدقائي بقراءة الرقية عليه، فقرأها وقبل أن تنتهي الرقية ارتعد الجسد، فعرفت أن الجني قد حضر.

فقلت: بسم الله، من أنت؟

فنطق صوت مغاير: أنا جنيَّة.

قلت: ما اسمك؟

قالت: (ستيفريوس) أو اسمًا يشبه ذلك لا أذكر.

قلت: ما ديانتك؟ فسكتت.

قلت: مسلمة؟

قالت: لا

قلت: نصرانية؟

قالت: لا.

قلت: كافرة.

قالت: نعم. . لا أعرف الأديان.

قلت: أين تسكنين؟

قالت: أنا من الجن الغواص الذي يعيش في الماء، وأنا أعيش في البحر الأحمر.

قلت: ولماذا دخلت في (محمود).

قالت: لأنتقم منه.

قلت: ماذا فعل؟

قالت: كان قريبنا في الجن قد مسّ رجلاً فمسكه (محمود) وضربه ضربًا عنيفًا حتى أذاه، و(محمود) جاهل لا يعرف كيف يُحصن نفسه منا معشر الجن، فقابلته في ليلة مظلمة وهو يمشي في الطريق وحده، ودخلت فيه.

قلت: منذ متى وأنت معه؟

قالت: من حوالي عشرين سنة.

قلت لها: أنا سأعرض عليك أمرًا إما أن توافقي، أو لا؟ أنت صاحبة الاختيار.

قالت: قل، فعرضت عليها الإسلام.

قالت: اتركوني أفكر.

قلت: كم؟

قالت: ثلاثة أيام.

قلت: لا.. أكثر ما عندنا أن نعطيك عشر دقائق تفكرين فيها.

وبعد العشر دقائق قالت: نعم أسلم، ولكن بشرط أن أظلّ مع (محمود) ولا أخرج منه.

قلت: هذه قضية أخرى، أنت لو أسلمت فإنَّما لتنجي نفسك من النار، وتفوزي بالجنة.

قالت: نعم أسلم.

قلت: إذًا فانطقي بالشهادة، فنطقت بها وأعلنت توبتها، وسمت نفسها (أم إبراهيم).

قلت: إذًا من تمام هذه التوبة أن تُقلعي عن الظلم.

قالت: أي ظلم

قلت: وجودك في جسد هذا الإنسي ظلم، فلابد من الخروج منه.

قالت: لن أخرج لسببين: الأول أنني أحبه حبا شديداً، ولكني لا أنام معه إلا ليلة واحدة في الأسبوع وهي ليلة الإثنين، ثم أترك لزوجته باقي الليالي.

فقلت لها: وهل تظهرين له في صورة امرأة؟

قالت: لا.

قلت: إذًا كيف تتم المعاشرة.

قالت: هو يراني في منامه كالحلم، يراني في صورة امرأة جميلة ويصبح فيجد نفسه قد احتلم، أما أنا فأتلذذ تمامًا... وأشعر بكل شيء.

قلت: هذا هو السبب الأول... فما الثاني؟

قالت: والسبب الثاني: أنني كنت متزوجة من ملك جان البحر الأحمر، ثم تُوفي وتركني، وما زال الملك مع أولادي.. وهم على الكفر فإن علموا بإسلامي قتلوني[1].

قلت: أما السبب الأول فباطل، لأنه لا يحبك، ولا يريد أن يتزوجك، وقد قال لي آنفًا: إنه يريد إخراجك، أما من ناحية أولادك فيمكن أن تهربي في أي مكان في المحيط الأطلنطي، أو الهادي، أو غيرهما، وتعيشين تعبدين الله هناك.

قالت: إذًا سأخرج أعطني ثلاث دقائق.

ثم أفاق الرجل من غيبوبته، وجلس معنا، فقال إخواني: هيا بنا لقد خرجت.

فقلت: لا.. كأني أراها في عينيه[2]، ثم وضعت يدي على كتفيه، وعلى ركبتيه فتأكدت أنها لم تخرج، وإنما هي مجرد حيلة.

فأمرت أحد إخواني فقرأ عليها الرقية مرة ثانية، فلم يكملها، وحضرت.

فقلت: هكذا يا أم إبراهيم تحتالين علينا.

قالت: صدقني أنا أحبه جدًا، وعاشرته عشرين سنة، ولا أريد أن أخرج منه.

قلت: إذًا قد انتهى بيننا عهد الودّ والملاينه، وبقيَ عهد العصا، والضرب والحرق

(١) كذا قالت: وقد تكون كاذبة.

(٢) لأنني رأيت زوغًا غير طبيعي في عينيه.

إما أن تخرجي، وإما أن أستعين بالله وأقرأ عليك آيات من القرآن فتحرقك أو أضربك.

قالت: لا .. سأخرج.

وظلت حوالي دقيقتين، أو ثلاث، تصيح بصوت محزون يا محمود، يا محمود، ثم خرجت، والفضل لله وحده فهو الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

النموذج السادس: (عائلة الجن).

مرضت امرأة مرضًا شديدًا، ودار بها زوجُها عند الأطباء، فلم تتحسن فذهب إلى شاب يقرأ القرآن ويعالج به من الجن، فذهب وقرأ على تلك المرأة فنطق عليها جنّيٌ اسمه «جرجس»، فأقنعه بالإسلام وأسلم، ثم أسكنه مع الجن المسلمين في أحد مساجد المدينة، وبعد حوالي شهرين، مرضت المرأة مرة ثانية، فجاءني زوجُها، فذهبت معه وقرأت عليها.

فنطق صوت جَهوَرِيّ: ماذا تريد منا؟

قلت: ما اسمك؟

قال: «يوحنا».

قلت: إذًا نصراني؟

قال: نعم.

قلت: ولماذا مسست تلك المرأة المسلمة؟

قال: لأنكم أخذتم ولدي «جرجس» وأدخلتموه في الإسلام، فجئت كي أنتقم.

قلت: سأعرض عليك الإسلام، فإذا قبلته مرحبًا، وإذا لم تقبله فلن أرغمَك عليه.

قال: الأفضل لك أن تريح نفسك وتسكت.

قلت: لماذا؟

قال: لأنني قسيس من قساوسة النصارى من الجن (يعني عالم علمائهم) فكيف أُسلم؟!

قلت: إذًا، اعرض أنت عليَّ النصرانية، ثم أعرضُ أنا عليك الإسلام، فأيُّنا أقنع الثاني فليأخذه معه، لكن بشرط ألا نتعصب للهوى، وأن نخلص النية، ونسأل الله أن يهدينا جميعًا للحق.

قال: أنصفت.. اعرض أنت أولاً الإسلام فبدأت حديثي في التشكيك في دين النصارى المحرف، وإظهار الخرافات التي يؤمنون بها، وهو يجادل ويناقش ثم يقتنع، ولا أنتقل من نقطة إلى أخرى حتى يقتنع بالأولى، ثم عرضت عليه الإسلام بمميزاته، وسماته، وصلاحيته لكل زمان ومكان وتمشيه مع العقل.

فقال: اقرأ عليَّ شيئًا من القرآن.

فقرأت قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥].

وبعدما انتهيتُ من الآيات إذا به يقول. آمنت.. آمنت.. آمنت.

قلت: هل آمنت من قلبك، أم خوفًا من أحد؟

قال: أنت لا تستطيع أن تُجبِرَني على شيء.. لقد آمنت بالله مخلصًا.

قلت: إذًا، فردد خلفي الشهادتين، ثم أعلن توبتك.

قال: ولكن لو علم الجن بإسلامي لقتلوني.

قلت: تستطيع أن تسكن في وسط الجن المسلمين، فيحمونك، ويدافعون عنك.

قال: ولكني أريد أن أرى ولدي محمدًا.

قلت: اذهب إلىٰ مسجد كذا، وناده فجاء محمد وسلَّم علىٰ والده، ونحن نسمع الصوتين يكلم أحدهما الآخر علىٰ الجسد الواحد!

قلت: كيف حالك يا محمد؟

قال: الحمد لله، أنا سعيد جداً منذ أسلمت أعيش في وسط إخواني المسلمين. فالإسلام سعادة وهناء وسرور، ثم إنه قد زادت سعادتي عندما علمت بإسلام والدي، بل إنني كنت أستمع الحوار الذي دار بينكما.

قلت: يا محمد هل تعرف أحداً من شباب الجن المسلمين؟

قال: نعم كثير.

قلت: نادِ لي أحدهم.

فجاء أحدهم وقال: السلام عليكم، فرددت السلام.

فقلت: هل تستطيعون أن تدافعوا عن أخيكم، وتحمونه من بطش النصارىٰ؟

قال: نعم بإذن الله، فنحن شباب كثير، لن نُسلمُه لهم أبداً ولو قُتلنا، ثم أخذوه وانصرفوا.

واستيقظت المرأة من غيبوبتها وما شعرت بشيء، والعجيب أن هذه المرأة لا تعتقد بأن الجن يمس الإنس.

وبعد حوالي شهر مرضت المرأة مرة أخرىٰ فذهبت مع زوجها، وقرأت عليها القرآن، فنطقت عليها جنيَّة.

فقلت: بسم الله ما اسمك؟

قالت: مريم.

قلت: لماذا دخلت في هذه المرأة؟

قالت: لأنتقم لزوجي وابني اللَّذيْن أدخلتموهما في دينكم.

قلت: إذًا نصرانية أنت؟

قالت: نعم.

قلت : اسمعي منّي كلمة واحدة .

قالت : ولا نصف كلمة .

قلت : هل علمت ما سأقوله؟

قالت : نعم ستعرض عَلَيَّ الإسلام .

قلت : وهل تعرفيني؟

قالت : نعم أنت وحيد، وقد أوصاني إخواني من الجن ألا أسمع منك شيئًا لأنك تسحر الناس فتدخلهم في الإسلام .

قلت : إذًا فاعرضي عليَّ النصرانية - أولاً - فإن اقتنعت دخلتُ معك . ثم أعرض عليك الإسلام بعد ذلك .

قالت : لماذا تغتسلون من الجنابة رغم أن المنيّ يخرج من عضو واحد؟

قلت : لأن المنيّ يعصر الجسم عصرًا، بل إنه يتولد من معظم أعضاء الجسم خاصة الصلب (العمود الفقَريّ) ولذلك يكون الجسم في حالة استرخاء تام فلابد من الاغتسال، حتى يعود إلى الجسم نشاطه، فسكتت .

قلت : ما عقيدتكم في عيسى ابن مريم؟

قالت : عيسى هو الله .

قلت : لماذا ترتدون صليبًا في رقابكم؟

قالت : لأن اليهود الملعونين قتلوا عيسى وصلبوه .

قلت : وهل يعجز الإله عن أن يحمي نفسه؟! فسكتت .

قلت : إذًا ليس بإله .

قالت : هو ابن الله .

قلت : وهل يعجز الإله أن يحمي ابنه؟! فسكتت .

قلت : إذًا ليس ابن الله .

قالت : وما عقيدتكم فيه؟

قلت: نحن لا نقول: هو ابن زنا كما قالت اليهود، ولا نقول: هو ابن الله كما قلتم، وإنما نقول: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، خلقه الله بكلمة (كن).

قالت: صحيح هذا كلام عقلي، ثم قالت اقرأ عليَّ القرآن:

فقرأت قوله تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه: ١-٦].

فقالت: أسلمت.. أسلمت.

ورددت خلفي الشهادتين وأعلنت توبتها، وجاء ولدها وزوجها فسلمت عليهما وسكنت معهما.

ثم قالت: أعرفكم أنَّ (فلانة) - الجسد الممسوس - لا تعتقد بأن الجن يمسّ الإنس، ثم قالت: سأقول لها هذا الكلام ثم تُسمِعُونها الشريط بعد ذلك، ثم ذكَرَت لها أدلة عقلية مقنعة علىٰ ذلك.

وقالت لها: لا تغضبي، حتىٰ لا يتمكن الجن منك مرة ثانية، ثم انصرفت.

وبعد حوالي شهرين مرضت المرأة مرة أخرىٰ.

فقلت لزوجها: إنها لم تلتزم بالتعليمات التي أمرتها بها من الذكر وقراءة القرآن وسماعه.. إلخ.

قال: نعم.. هي غير مقتنعة، ولذلك لا تلتزم بما ذكرت.

فقلت له: حاول أن تقنعها، وإلا فلن ينفع معها علاج.

وقرأت عليها فنطق جنيّ.

فقلت: بسم الله، ما اسمك؟

قال: «برسوم»؟

قلت: ما دينك؟

قال : النصرانية .

قلت : ولماذا لبست تلك المرأة؟

قال : جئت لأنتقم لعمي وزوجته وولده الذين أدخلتموهم في الإسلام .

قلت : هل أعرض عليك الإسلام؟

قال : لا . . ولكني سأعرض عليك النصرانية ، فقد جئت لأناقشك ، لأنني أعمل مدرسًا في الكنيسة .

قلت : سل ما بدا لك .

قال : أنتم تقولون : أنَّ عيسىٰ ليس ابنًا لله؟

قلت : نعم .

قال : فمن أبوه إذًا؟

قلت : لقد ضرب الله لنا أربعة أمثلة متغايرة ، حتىٰ نعلم أن الله علىٰ كل شيء قدير .

أولاها : خلق خلقًا بلا أب ولا أم .

ثانيها : خلق خلقًا من أب بلا أم .

ثالثها : خلق خلقًا من أم بلا أب .

رابعها : خلق خلقًا من أب وأم .

فالأول : آدم ، والثاني : حواء . والثالث : عيسىٰ ابن مريم ، والرابع : كل الناس .

فلو قلنا بأن عيسىٰ ابن الله ، لأنه لا يوجد له أب فنقول : إن حواء بنت الله أيضًا لأنها لا يوجد لها أم ، وهذا باطل قطعًا .

فاقتنع بتلك النقطة .

وظلت المناقشة من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتىٰ الساعة الرابعة بعد العصر ـ والمناقشة مستمرة ـ لا يقطعها إلا أداء الصلاة .

وأخيراً أعلن إسلامه وسمى نفسه (عليا) وقال: لابد أن أذهب إلى النصارى فأدعوهم إلى الإسلام حتى ولو عُذبت، فنصحته أن يقرأ ويتعلم ويطلع أولاً، ثم خرج بعدما التقى بعمه وزوجته وابنه.

وبعد أسبوع واحد مرضت المرأة، ونطق عليها جنيّ، وقال إنَّ عليا مأسور عند النصارى، فكلفت هذا الجنّي أن يأتيني بسبعة من شباب الجن الأقوياء، ثم أمَّرتُ عليهم أحدهم، وأمرتهم أن يذهبوا فيخلصوا عليا من أيدي النصارى، وأن يذكروا الله عليهم أثناء القتال، ويقرءوا آية الكرسي، وفي حوالي ربع الساعة، نصرهم الله، وأحضروا عليا، يتأوه ويقول: أنا مجروح، فقلت له: احتسب ذلك في سبيل الله.

ثم أمرتهم بالخروج وعدم العودة إلى جسد تلك المرأة، فخرجوا والحمد لله رب العالمين، فهو الموفق، وهو الهادي، وهو الشافي، وهو رب الإنس والجن أجمعين.

والحالات كثيرة، ولكني أكتفي بهذه النماذج؛ خشية الإطالة.

وأسأل الله أن يوفقني لإخراج مثل هذه النماذج في رسالة بعنوان (حوار مع الجن)(١) والله الموفق.

الطرق المحرمة في إخراج ا لجن:

١ ـ طريقة الزار: لقد أحدث الناس حفلات لم تكن من دأب سلفنا الأولين، ولكنها من مبتدعات هذا الزمن الذي راجت فيه المنكرات، وطغت فيه الماديات، والاستمتاع بكثير من الشهوات، ومن تلكم حفلات الزار الآثمة التي تقام بحجة شفاء المريض وإزالة ما ألَمَّ به من صرع، فيكثر فيها الفسادُ ويُمحى فيها الاحتشام، وينفق في سبيلها أموال طائلة، طالما سببت أزمات اقتصادية، ومساوئ خلقية، ومضار اجتماعية، وكم من ثروات أُبيدت؟! وكم من أسر انهار بناؤها وتلاشى عزّها؟! وكم من أعراض هُتكت من جراء هذه الحفلات الماجنة؟!

يلمُّ المرض بالمرأة، فيأتي إليها شياطين النساء، فيتجرنْ بعقلها ويُزينَّ لها أن ما

(١) ثم تبين لي قلة جدوى مثل هذه الرسالة، فضربت عنها صفحًا

دهاها صرع من الجن، وفي استطاعتهن أن يذهبن هذا المرض، فيطلبن طلبات يعزُّ وجودها، ويثقل كاهل زوجها، من حُلي تعددت أنواعه، ومن الدَّجاج والخِراف أصنافًا، وتارة تتعالىٰ في الطلب فتطلب جملاً أو عجلاً عندما تأنس منهن ثروة.

فإذا أُقيم الحفل يسمين المريض عروسًا، ويخلعن عليها من الثياب غالية الثمن قصيرة الأجل قليلة الغَناء، ثم يُركبن هذه العروس الجمل أو الفحل ويوقدون حوله الشموع، ويضربن بالدفوف ويصحن بالأغاني التي تستهوي الأفئدة، وهنالك يعتري المريضة هذه الابتهاجُ من آثار الدفوف والغناء، وتدب في جسمها نشوة الفرح بهذا المهرجان العظيم.

ولكنها بعد بُرهة من الزمن يعود إليها المرض، فيتدرج عفْريتها في الطلبات حتى إذا ما خوىٰ البيت، ونفذ ما في الجيب، قضىٰ المريض نحبه وترك العيون دامية، والديار بلاقع، وصدق القائل:

ثَلاثَةٌ تَشْقَى بِهِنَّ الدَّارُ ... العُرْسُ وَالمَأْتَمُ ثُمَّ الزَّارُ

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل من النساء من يتخذن هذه الحفلة، لأغراض غير شريفة يجتمع النساء والرجال سرًا وجهرًا للاستمتاع بالشهوات وكثير من اللذات، وفي ذلك يكون المصاب أعظم، فيالله من الإفك والتضليل اهـ[1]. مختصرًا.

قلت: وهذه طريقة محرمة بلا أدنىٰ ريب.

٢ ـ طريقة الاسترضاء:

وفي هذه الطريقة يقوم المعالج باسترضاء الجنيِّ الصارع، فيُلبي له جميع طلباته، فأحيانًا يطلب منه ذبح حيوان أو لبس ذهب أو شرب دخان أو غيرها من الأمور المحرمة وقد رأيت هذا كثيرًا.

وسبب حرمة هذه الطريقة ـ والله أعلم ـ عدة أمور:

١ ـ إعانة الظالم علىٰ ظلمه.

٢ ـ طاعة الجِنيِّ في معصية الله، كرجل يلبس ذهبًا، ويشرب دُخَانًا، أو ما شابه

---

(١) كشف الستار (١٦٤).

ذلك.

٣ ـ تلبية هذه الرغبات تزيد الجني طُغيانًا وكُفراً وعتواً وتمرداً، وغالبًا ما ينكث الجنيُّ عهده معهم، ويعاود المريض مرات ومرات.

٣ ـ طريقة الاستعانة:

وهذه الطريقة لا يقوم بها إلا ساحر، فيستعين بالجنيِّ الذي يخدمه؛ لاستخراج الجنيِّ الصارع للمريض، فأحيانًا يكون جنيُّ الساحر أضعف فلا يستطيع وأحيانا يكون أقوىٰ فيستطيع، وقد قدمنا أسباب تحريم الاستعانة بالجن.

٤ ـ طريقة الإقسام:

وفي هذه الطريقة يقوم الساحر بالإقسام علىٰ الجنيِّ الصارع بسيده من الجن؛ لأن الجن قبائل وعشائر، فمنهم القويُّ والضعيف، ومنهم السيد والمسود، ومنهم العظيم والحقير، فيقوم الساحر بالتعرف علىٰ قبيلة الجنيِّ الصارع وذلك بمساعدة الجنيِّ المساعد للساحر، ثم يقسم علىٰ الجنيِّ بعظيم هذه القبيلة وسيدها فيخاف الجنيُّ ويخرج، وهذا فيه من الشرك ما لا يخفىٰ.

٥ ـ طريقة سجن الجنيِّ الصارع:

يقوم الساحر بالتقرب إلىٰ رؤساء هذه القبيلة بأنواع معينة من الشرك، ثم يطلب منهم سجن هذا الجني حتىٰ لا يصرع هذا الآدمي فيقومون بسجنه.

٦ ـ طريقة تعذيب الجني وقتله:

هذه الطريقة مثل الطريقة السابقة ولكن الشرك فيها أعظم.

٧ ـ طريقة حرق الجنيِّ الصارع:

وهذه الطريقة مثل سابقتيها، ولكن الشرك فيها يكون أعظم، ولولا خشية الفتنة لشرحت هذه الطريقة شرحًا مفصلاً، وكتبت الطلاسم التي يستخدمونها، وبينت مواطن الشرك فيها، ومواطن الاستعانة وغيرها، ولكن يكفيك أن تعرف أن أيَّ جنيٍّ لا يخدم إنسيا مهما صغر شأنه إلا بعد ما يتأكد من شركه، وهذا الشرك ربما

يكون ظاهراً وربما لا يكون ظاهراً، بل يكون مبثوثًا في تلك العزائم والطلاسم، أو الأفعال التي يطلبها الجنيُّ من الساحر الخادم له.

تنبيه: من تلبيس الجني على الساحر أن العزائم التي يأمرونه بها يكون فيها بعض آيات من القرآن، وذلك ليفهم الساحر أن طريقته صحيحة لأنها بالقرآن، فيغتر المسكين، ويستمسك بها.

وهناك طرق كثيرة غير هذه: كطريقة تكتيف الجنيِّ واستنطاقه، وطريقة العهد، وغيرها أضربت عنها صفحًا لأنها تدخل تحت ما قدمناه.

وبالجملة: فكل طريقة تشتمل على شرك أو محرم فهي حرام.

نصائح للوقاية من الصرع:

١ - المحافظة على الأذكار النبوية، وسنفرد لها فصلاً في آخر هذا البحث إن شاء الله.

٢ - إذا قفزت من مكان عالٍ فسمِّ الله.

٣ - إذا ألقيت ماءً ساخنًا في الأرض فسمِّ الله.

٤ - إذا دخلت حجرة مظلمة فسمِّ الله.

٥ - لا تؤذ كلبًا أو قطة.

٦ - لا تنم وحدك، فإذا اضطررت فعليك بالوضوء وأذكار النوم.

٧ - لا تتبول أو تتبرز في جحر[1].

٨ - لا تقتل حية من الحيات التي تظهر في البيوت، وهذا فيه تفصيل:

أولاً: إذا رأيت حية في البيت تؤذنها ثلاثة أيام، وقدمنا قصة الفتى الأنصاري

---

(١) حسن: رواه النسائي (١/ ٣٣) بسنده عن قتادة عن عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ قال: «لاَ يَبُولُ أَحَدُكُمْ فِي جُحْرٍ» قالوا لقتادة: وما يكره من البول في الجحر؟ قال: يقال: إنها مساكن الجن.
والحديث إسناده حسن إن سلم من تدليس قتادة، وقد أثبت أبو زرعة وأبو حاتم سماع قتادة من عبد الله بن سرجس. ولذلك صححه الحاكم (١/ ١٨٦) ووافقه الذهبي.

وفيها قال النبي ﷺ «إنَّ لِهَذِه البُيُوت عَوَامر، فَإذَا رَأيْتُمْ شيئًا منهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْها ثَلاثًا، فإنْ ذَهَب، وَإلاَّ فَاقْتُلُوهُ، فإنه كَافرٌ»(١) وفي رواية أخرى لمسلم: «فآذنُوهُ ثَلاثَةَ أيَام فَإنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلكَ فَاقْتُلُوهُ، فَإنَّهُ شَيْطَانٌ»(٢).

أما صفة التحريج، فقد قال النووي رحمه الله، قال القاضي: روى ابن حبيب عن النبي ﷺ أنه يقول: «أنْشُدُكُمْ بالعَهْد الذي أخَذَهُ عَلَيْكُم سُلَيْمَانُ بْن دَاود أنْ لاَ تُؤذُونَنَا ولاَ تَظْهَرُونَ لَنَا»(٣)، وقال مالك: يكفي أن يقول: «أحرِّج عليكَ بالله واليوم الآخر أن لا تبدو لنا ولا تؤذوننا». اهـ.

قلت: الحديث المذكور في صفة التحريج ضعيف، ولذلك تكفيَ أي صيغة في التحريج.

ثانيًا: إذا رأيتها بعد ثلاثة أيام تقتلها فهي إما شيطانة أو جني يهودي أو نصراني أو جن مسلم متعد أو حية حقيقية.

ثالثًا: إذا رأيت في البيت حية (ذا طفيتين) أو حية بتراء فاقتلها ولا تؤذنها، وذو الطفيتين: هي حية لها خطان أبيضان - وقيل: أسودان - على ظهرها. والحية البتراء: هي حية قصيرة الذيل، عن أبي لبابة رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن عوامر البيوت وأمر بقتل الأبتر وذي الطفيتين. متفق عليه واللفظ لمسلم(٤).

رابعًا: إذا رأيت حية خارج البيت فاقتلها أيًا كان نوعها، فالنهي مخصوص بالعوامر كما في «صحيح مسلم».

خامسًا: إذا وجدت حية في المسجد فاقتلها، وهذا قول الإمام مالك رحمه الله.

٩ - لا تتوغل وحدك في الصحراء بالليل.

١٠ - إذا رميت شيئًا ثقيلاً على الأرض، فسم الله.

(١، ٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٢٣٦) في «السلام»، باب قتل الحيات.

(٣) ضعيف: أبو داود رقم (٥٢٦٠) في «الأدب»، باب في قتل الحيات، والترمذي رقم (١٤٨٥) في الأحكام، وقال الترمذي: حسن غريب وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود».

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٩٨) في «بدء الخلق»، باب قول الله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ومسلم رقم (٢٢٣٣) في «السلام» باب قتل الحيات.



الفصل الثالث

تعرض الشيطان للأنبياء



تعرضُ الشيطان للأنبياء

تعرض إبليس لنوح عليه السلام:

روىٰ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: لما ركب نوح عليه السلام في السفينة رأىٰ فيها شيخًا لم يعرفه، فقال نوح، ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك، فتكون قلوبهم معي، وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام: اخرج يا عدو الله . فقال إبليس: خمسٌ أهْلكُ بهن الناس، وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين.

فأوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ نوح عليه الصلاة والسلام: أنه لا حاجة لك إلىٰ الثلاث، مُرْه يحدثك بالاثنتين، فقال: بهما أهلك الناس: الحسد والحرص، فبالحسد لُعنتُ وجُعلت شيطانًا رجيمًا، وبالحرص أبيحت لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأُخرج من الجنة[1] .

تعرضه لموسى عليه السلام:

روىٰ أبو بكر القرشي بسنده، إلىٰ ابن عمر رضي الله عنه قال: لقي إبليس موسىٰ فقال: يا موسىٰ، أنت الذي اصطفاك الله برسالته، وكلمك تكليمًا، وأنا من خلق الله أذنبت، فأنا أريد أن أتوب، فاشفع لي عند ربك - عز وجل - أن يتوب عليَّ، فدعا موسىٰ ربه فقيل: يا موسىٰ قد قضيت حاجتك، فلقي موسىٰ إبليس فقال: قد أُمرتَ أن تسجدَ لقبر آدم، ويُتاب عليك فاستكبرَ، وغضب. وقال: لم أسجد لهَ حيا أأسجد له ميتًا؟! ثم قال إبليس: يا موسىٰ، إن لك حقا بما شفعت إلىٰ ربك، فاذكرني عند ثلاث ولا تهلك فيهن: اذكرني حين تغضب؛ فإن وحيي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرىٰ الدم، واذكرني حين تلقىٰ الزحف - أي الجهاد - فإني آتي ابنَ آدم حين يلقىٰ الزحف، فأذكره ولده وزوجته وأهله حتىٰ يولِّي.

وإيّاك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم، فإني رسولها إليك، ورسولك إليها[2] .

---

(١) تلبيس إبليس (٢٩).

(٢) آكام المرجان (٢٠٧).

* وروى القرشي بسنده، عن عبد الرحمن بن زيادة رضي الله عنه قال: بينما موسى - عليه السلام - جالس في بعض مجالسه، إذ أقبل إبليس، وعليه برنس له يتلون فيه ألوانًا، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه، ثم أتاه وقال له: السلام عليك يا موسى، فقال له موسى - عليه السلام - من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: فلا حيّاك الله، ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك؛ لمنزلتك عند الله تعالى، ومكانك منه.

قال: فما الذي رأيته عليك؟

قال: به أختطف قلوب العباد.

قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه.

وأحذرك ثلاثًا: لا تخلون بامرأة لا تحلّ لك قط، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها. ولا تعاهد عهدًا إلا وفيت به، فإنه ما عاهد اللهَ أحدٌ إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به.

ولا تُخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخر رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها.

ثم انصرف وهو يقول: يا ويله - ثلاثًا - علم موسى ما يحذِّرُ به بني آدم[1].

تعرض الشيطان ليحيى بن زكريا عليهما السلام:

* روى عبد الله بن محمد بن عبيد بسنده، عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن الخبيث إبليس تَبَدَّىٰ ليحيى بن زكريا، فقال: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت، أنت لا تنصحني، ولكن أخبرني عن بني آدم، قال: هم عندنا على ثلاث أصناف:

أما أول صنف منهم: فهم أشدّ الأصناف علينا، نُقبلُ عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود فيعود، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا، فنحن من ذلك في عناء.

وأما الصِّنفُ الآخرُ: فهم في أيدينا بمنزلة الكُرَةِ في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف

---

(١) تلبيس إبليس (٣٠).

شئنا قد كفونا أنفسهم.

وأما الصِّنْفُ الأخير، فهم مثلك معصومون، لا نقدر منهم على شيء.

قال يحيى - عليه السلام - على ذلك هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعامًا تأكل، فلم أزل أُشهيه لك، حتى أكلت منه أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة، فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها.

فقال له يحيى: لا جرم لا شبعت من طعام أبدًا.

قال الخبيث: لا جرم لا نصحت آدميًا بعدك(١).

* روى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن ثابت البناني قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معاليق من كل شيء.

فقال يحيى: يا إبليس، ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم.

قال يحيى: فهل لي فيها شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر.

قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا.. والله.

قال له يحيى - عليه السلام - لله عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبدًا.

قال إبليس: ولله عليّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا(٢).

* روى ابن أبي الدنيا بسنده، عن عبد الله بن خيبق قال: لقي يحيى بن زكريا - عليهما السلام - إبليسَ فقال له: يا إبليس، أخبرني، ما أحب الناس إليك، وما أبغض الناس إليك؟ قال: أحب الناس إليَّ المؤمن البخيل، وأبغضهم الفاسق السخي.

قال يحيى: وكيف ذلك؟

قال: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في

---

(١) آكام المرجان (٢١٢).

(٢) آكام المرجان (٢١٣).

سخائه فيقبله، ثم ولَّىٰ وهو يقول: لولا أنك يحيىٰ ما أخبرتك[١].

تعرض الشيطان لأيوب عليه السلام:

* روىٰ ابن أبي حاتم في «تفسيره»، عن ابن عباس قال: قال الشيطان: يا رب، سلطني علىٰ أيوب، قال الله تعالىٰ: قد سلطتك علىٰ ماله، وولده، ولم أسلطك علىٰ جسده، فنزل وجميع جنوده فقال لهم: قد سلطت علىٰ أيوب فأروني سلطانكم فصاروا نيرانًا ثم صاروا ماء، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفةً منهم إلىٰ زرعه، وطائفةً إلىٰ إبله، وطائفةً إلىٰ بقره، وطائفةً إلىٰ غنمه.

وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالصبر، فاتتوا بالمصائب بعضها علىٰ بعض فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب، ألم ترَ إلىٰ ربك؟! أرسل علىٰ زرعك نارًا فأحرقته، ثم جاء صاحب الإبل فقال له: يا أيوب، ألم تر إلىٰ ربك؟! أرسل علىٰ إبلك عدوًا فذهب بها، ثم جاء صاحب الغنم فقال له: يا أيوب، ألم تر إلىٰ ربك؟! أرسل علىٰ غنمك عدوًا فذهب بها؟

وتفرد هو لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت الريح فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم.

فجاء الشيطان إلىٰ أيوب بصورة غلام في أذنيه قرطان قال: يا أيوب، ألم ترَ إلىٰ ربك؟ جمع بنيك في بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون، إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم بطعامهم وشرابهم.

فقال أيوب له: فأين كنت أنت؟! قال كنت معهم، قال: وكيف انفلت؟ قال: انفلت قال أيوب: أنت الشيطان.

ثم قال أيوب: أنا اليوم كهيئتي يوم ولدتني أمي، فقام فحلق رأسه ثم قام يصلي فرنَّ إبليس رنَّة سمعها أهل السماء وأهل الأرض، ثم قرع إلىٰ السماء فقال: أي رب، قد اعتصم فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك. قال: قد سلطتك

(١) آكام المرجان (٢١٢).

علىٰ جسده، ولم أسلطك علىٰ قلبه، قال: فنزل فنفخ تحت قدميه نفخة قرح ما بين قدميه إلىٰ قرنه فصار قرحة واحدة، وألقي علىٰ الرماد حتىٰ بدا بطنه.

فكانت امرأته تسعىٰ عليه حتىٰ قالت له: أما ترىٰ يا أيوب، قَدَرُ الله نزل بك من الجهد والفاقة، ما أن بعت قروني برغيف فأطعمك، فادعُ الله أن يشفيك. قال: ويحك كنا في النعماء سبعين عامًا فاصبري حتىٰ نكون في الضراء سبعين عامًا، فكان في البلاء سبع سنين[1].

* روىٰ ابن أبي حاتم أيضًا، عن يزيد بن ميسرة، أنه قال: لما ابتلىٰ اللَّهُ أيوبَ عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد ولم يبقَ شيء له أحسن الذكر.

ثم قال: أحمدك رب الأرباب الذي أحسنت إليَّ، أعطيتني المال والولد فلم يبقَ من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي، فليس يحول بيني وبينك شيء، ولو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني، قال: فلقي إبليس من ذلك منكرًا[2].

تعرض إبليس لعيسى عليه السلام:

* روىٰ أبو بكر الباغندي، عن سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ قال: لقي عيسىٰ ابن مريم إبليسَ، فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك، أنك تكلمت في المهد صبيا ولم يتكلم أحد من قبلك؟!

قال: بل الربوبية والعظمة للإله الذي أنطقني، ثم يميتني، ثم يُحييني.

قال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحييّ الموتىٰ؟

قال: بل الربوبية لله الذي يميتني، ويميت من أحييت، ثم يحييني.

قال له إبليس: والله إنك لإله من في السّماء وإله من في الأرض، فصكه جبريل بجناحه، فما تناهىٰ دون قرن الشمس[3].

---

(١) آكام المرجان (٢١١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٨).

(٣) آكام المرجان (٢١٣).

تنبيه:

ما ذكرته في هذا الفصل من الأخبار إنما هو من الإسرائيليات المأذون لنا في التحدث بها، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١) .

والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: قسم كذَّبه القرآن فنحكم بكذبه، وقسم صدَّقه القرآن فنحكم بصدقه، وقسم لم يحكم القرآن عليه بصدق أو كذب فهذا لا نصدقه ولا نكذبه، ويجوز لنا أن نرويه ولعل هذا القسم هو المقصود بقول رسول الله ﷺ: «لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ»(٢).

ولقد بين ابن عباس - رضي الله عنهما - سبب ذلك فقال: «لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم فتكَذِّبوا بحق أو تصدِّقوا بباطل» قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق بسند حسن(٣) .

قال ابن بطال، عن المهلب: هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنىً عن سؤالهم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا والإخبار عن الأمم السالفة. اهـ(٤) .

تعرض الشيطان للنبي ﷺ:

* روى مسلم في «صحيحه» عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «أَعُوذُ بالله منْكَ» ثم قال: «أَلْعَنُكَ بلَعْنَة الله» - ثلاثًا - وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك. قال: «إِنَّ عَدُوَّ الله

---

(١) صحيح: رواه البخاري: رقم (٣٤٦١) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي (٢٦٧١) في العلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، والدارمي (١/ ١٣٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري: رقم (٧٣٦٢) في «الاعتصام»، باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

(٣) «الفتح» (١٣/ ٣٣٤). (٤) فتح الباري (١٣/ ٣٣٤).

إبليسَ جاءَ بشهابٍ مَنْ نارٍ ليجعلَه في وَجْهي، فقُلتُ: أعُوذُ بالله منكَ - ثلاثَ مرَّات - ثُمَّ قُلتُ: ألعَنُكَ بلعْنَةِ الله التَّامّة فلَمْ يَستأخرْ - ثلاثَ مرَّات - ثُمَّ أردْتُ أخْذَهُ، واللهِ لَوْلا دَعْوَةُ أخينا سُلَيْمَانَ لأصْبَحَ مُوثَّقًا يَلْعَبُ بِهِ ولدانُ أهْلِ المَدينَةِ»(١) .

* وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الشَّيطَانَ عَرَضَ لي، فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلاَةَ عليَّ فَأمْكَنَني اللهُ منهُ فَذَعَتُّه، ولَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أُوثِقَهُ إلى سارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنظُرُوا إليْه فَذَكَرتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْه السَّلاَمُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا»(٢) .

قال النضر بن شميل: «فَذَعَتُّهُ» أي خنقته(٣) .

عن أبي التياح قال قلت لعبد الرحمن بن خنبش التميمي وكان كبيرًا، أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع ليلة كادته الجن والشياطين؟ قال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق وجه رسول الله ﷺ.

فَهَبَطَ إلَيْه جبْرائيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، قُلْ. قَالَ: «مَا أقُولُ؟» قَالَ، قُلْ: أعُوذُ بكَلمَات الله التَّامّة منْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرأ وبرَأ، وَمنْ شَرِّ مَا ينزلُ منَ السَّماء، وَمنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فيهَا، وَمنْ شَرِّ فتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَار، وَمَنْ شَرِّ كُلِّ طارقٍ إلاَّ طَارقًا يَطرُقُ بخَيْرٍ يا رَحْمَنُ.

قال: فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى.

قال الحافظ: رواه أحمد وأبو يعلى بسندين جيدين محتج بهما، ورواه مالك في «الموطأ»(٤) ، عن يحيى بن سعيد مرسلاً، وأخرجه النَّسائي من حديث ابن مسعود بنحوه. اهـ(٥) .

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم: رقم (٥٤٢) في المساجد، باب جواز لعن الشيطان.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٢١٠) في الصلاة، باب ما يجوز من العمل في الصلاة، ومسلم رقم (٥٤١) في المساجد، باب جواز لعن الشيطان.

(٣) فتح الباري (٣/ ٨٠).

(٤) في الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ.

(٥) مختصر الترغيب والترهيب (٨٤).



الفصل الرابع

علاقة الشيطان بالإنسان



علاقة الشيطان بالإنسان

ما الشيطان؟

يقول ابن جرير الطبري: الشيطان في كلام العرب، كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء.

قال: وكذلك قال ربنا جل ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن، ثم ساق بسنده عن أسلم العدوي رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه ركب بِرْذَوْنًا فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا، فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي.

قلت: وسنده حسن، والبِرْذَوْنُ: هو الدابة[١].

قال: وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانًا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبعده عن الخير. اهـ[٢].

البداية:

عندما خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا جميعًا لأنهم: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣] ولكن كان هناك مخلوق يتعبد معهم وليس من جنسهم؛ إذ أنهم خُلقوا من نور، وهو خُلق من نار؛ فخانه أصله ساعة الابتلاء، فأبى أن يسجد لآدم متعللاً بأنه أشرف من آدم فقارن بين الأصول ولم يلتفت إلى الأمر بالسجود فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٤].

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٥٢).

(٢) جامع البيان (١/ ٤٩).

(٣) سورة التحريم الآية (٦).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٢).

ويا للعجب: إنه يقرُّ بأن الخالق هو الله، ويقرُّ بأن المحيي والمميت هو الله حيث قال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١) ولكن هل ينفع العلم بدون العمل؟ كلا، ثم كلا، بل يكون وبالاً على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة. وهنا صدر الأمر الإلهي بالطرد واللعن: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٢) ومن هنا تأصلت العداوة بينه وبين آدم، ففكر في الانتقام والتشفّي.

التخطيط العاجل:

وهنا فكر في خطة ماكرة خبيثة، فنطق على عجل ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٣) قال الأستاذ سيد قطب: لقد طلب النظرة إلى يوم البعث، لا ليندم على خطيئته في حضرة الخالق العظيم، ولا ليتوب إلى الله ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده؛ لربط لعنة الله له بآدم، ولا يربطها بعصيانه لله. اهـ(٤).

الأهداف المنشودة:

وبعد ما اطمأن لبقائه إلى يوم البعث، حين قال الله له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾(٥) بدأ يسرد تفاصيل الخطة، ويفصح عن الأهداف المنشودة غير خائف ولا هيَّاب فقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٦).

* قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -: وبذلك حدَّد إبليس ساحة المعركة إنها الأرض ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وحدد عدته فيها: إنه التزيين، تزيين القبيح وتجميله، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه، وهكذا لا يجترح الإنسانُ الشرَّ إلا وعليه من الشيطان مسحة تُزيِّنه وتجمِّله، وتظهره في غير حقيقته وردائه، فليفطن الناس إلى عُدة الشيطان، وليحذروا كلمَا وجدوا في أمرٍ تزييناً، وكلما وجدوا من

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٤).
(٢) سورة الحجر الآية (٣٤، ٣٥).
(٣) سورة الحجر الآية (٣٦).
(٤) الظلال (٤/ ٢١٤١).
(٥، ٦) سورة الحجر الآية (٣٧، ٤٠).

نفوسهم إليه اشتهاءً ؛ ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك ، إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فليس للشيطان - بشرطه هو - على عباد الله المخلصين من سبيل : ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ . اهـ(١) .

الهجمة الأولى:

لقد أخذ الشيطان على نفسه عهدًا ، ليُعَادينَّ بني آدم أجمعين ، ومن هنا يقوم بالهجمة الأولى على الآدمي لحظة ولادته ؛ لينذره بالحرب ، فلا صُلْح ولا هوادة ، إنما هي حرب ضروس .

* فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الحِجاب**»(٢).

ولذلك يستهلُّ المولود صارخًا من طعنة الشيطان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**» ثم قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(٤) .

ولكن هل عيسى وحده هو المعصوم من طعنة الشيطان ، أم كل الأنبياء كذلك؟ .

قال النووي - رحمه الله -: قال القاضي عياض : إن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . اهـ .

الفرق بين عداوة الشيطان وعداوة الإنسان:

* قال تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ**

---

(١) الظلال (١٤/ ٢١٤١) .

(٢) **صحيح**: رواه البخاري : رقم (٣٢٨٦) في «بدء الخلق» ، باب صفة إبليس وجنوده .

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٥٤٨) في «التفسير» ، باب ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ ومسلم رقم (٢٣٦٦) في «الفضائل» ، باب فضائل عيسى عليه السلام .

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم رقم (٢٣٦٧) في «الفضائل» ، باب فضائل عيسى عليه السلام .

الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٣) .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل. اهـ(٤) .

التشكيك في التوحيد:

إن التوحيد هو أساس الإسلام وصَرْحه الشامخ، وهو السر في انتصارات المسلمين الأُوَل، وعليه قامت الإمبراطورية الإسلامية؛ لأنه هو الذي يصنع الرجال، وعليه مدار الإسلام، ولهذا كانت معظم هجمات الشيطان موجهة نحو هذا الأساس وذلك الصرح.

* ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ»(٥) اللفظ للبخاري.

عُقد الشيطان، وكيفيةُ حلها:

* روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٩٩ ـ ٢٠٠). (٢) سورة المؤمنون الآية (٩٦، ٩٧).

(٣) سورة فصلت الآية (٣٤ ـ ٣٦). (٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٣).

(٥) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٧٦) في «بدء الخلق»، باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (١٣٤) في الإيمان، باب بيان الوسوسة من الإيمان.

«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ - إِذَا هُوَ نَامَ - ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انحلت عقدةٌ، فإن توضأ انحلت عقدةٌ، فإن صلى انحلت عُقَدُه كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»(١)

قال النووي رحمه الله: واختلف العلماء في هذه العقد، فقيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(٢) .

فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر، وقيل: يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه، فكأنه يوسوس في نفسه، ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام، وقيل هو مجازي كُني به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل. اهـ(٣) .

قال الحافظ: وقوله «يضرب»: أي بيده على العقد تأكيدًا وإحكامًا لها قائلاً ذلك. اهـ(٤) .

قلت: ولذلك يسمي بعض الناس هذا الحديث حديث الضرب على القفا، وهذه الصفعات الثلاث لا ينالها إلا الغافل الذي ينام دون أن يذكر الله، أو دون أن يقرأ آية الكرسي.

فإن قال قائل: إن لفظ الحديث عام في الغافل وغيره.

نقول: إن عموم هذا الحديث مخصص بحديث أبي هريرة في قراءة آية الكرسي عند النوم، وإلى هذا مال الحافظ فقال: يمكن أن يقال: يختص بمن لم يقرأ آية الكرسي لطرد الشيطان. اهـ(٥) .

قال النووي: «**فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ**» معناه: لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ووعده من ثوابه، مع ما يبارك له في نفسه وفي تصرفه في كل أموره، مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه. اهـ(٦) .

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٦٩) في «بدء الخلق»، باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٧٧٦) في «المسافرين» باب ما روي فيمن نام الليل أجمع.
(٢) سورة الفلق الآية (٤)
(٣) مسلم (٦/ ٥٦ بشرح النووي)
(٤) فتح الباري (٣/ ٢٥).
(٥) فتح الباري (٣/ ٢٧).
(٦) شرح مسلم (٦/ ٦٦ نووي).

قال الحافظ: والذي يظهر أن في صلاة الليل سرًا في طيب النفس، وإن لم يستحضر المصلي شيئًا من ذلك. اهـ[١] .

قلت: وهو الحق، ولا يشعر بذلك إلا من ذاق حلاوته، وآنس قرب الله في هذه اللحظات.

قال النووي: «وإلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ» معناه: لما عليه من عقد الشيطان، وآثار تثبيطه، واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه.

قال: وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة: وهي الذكر والوضوء والصلاة، فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان. اهـ. [٢]

قال الحافظ: ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين في «شرح الترمذي» أن السر في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد الشيطان. اهـ[٣] .

قلت: وهذا ملحظ جيد، لولا ما يعكر عليه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشر ركعة، يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا»[٤] .

وهدف الشيطان من هذا كله تثبيط العبد عن قيام الليل، وضَرب الكسلَ عليه، حتى يتمكن من الاستيلاء عليه طوال يومه، وهذه من المكائد الخبيثة التي يكيد بها الشيطان للإنسان ،**ولكن كيف تُبطل هذه المكيدة؟**

١ ـ بالوضوء قبل النوم لما ثبت في «الصحيحين» أنَّ رسول الله ﷺ قال للبراء بن عازب: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ**»[٥] .

---

(١) فتح الباري (٣/ ٢٦).
(٢) شرح مسلم (٦/ ٦٧) بشرح النووي.
(٣) فتح الباري (٣/ ٢٧).
(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٣٥٦٩) في «المناقب»، باب كان النبي لا تنام عينه، ومسلم رقم (٨٣٧) في «المسافرين»، باب صلاة الليل.
(٥) متفق عليه: البخاري رقم (٢٤٧) في «الوضوء»، باب فضل من بات على الوضوء ومسلم رقم (٢٧١٠) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم.

٢ - أن تُوتِرَ قبل النوم لما جاء عن ابن عمر: أنه قال: «**مَا أَصْبَحَ رَجُلٌ عَلَى غَيْرِ وترٍ إلاَّ أَصْبَحَ عَلَى رَأْسِهِ جَرِيرٌ قَدْرَ سَبْعِينَ ذِرَاعًا**».

قال الحافظ: رواه سعيد بن منصور بسند جيد[١]، أما إذا كنت تقوم قبل الفجر فتوتر فيها ونعمت، والجرير: هو الحبل الذي يُخطم به البعير[٢]، فكأن الشيطان أمسك بزمامه فهو يوجهه حيثما شاء.

٣ - تجمع كفيك، وتقرأ فيها المعوذات، ثم تنفث فيهما ثم تمسح بهما ما استطعت من جسدك بادئًا برأسك، وهذا ثابت في «صحيح البخاري» من حديث عائشة[٣].

٤ - تقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة لما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[٤].

قال النووي: قيل معنى «**كفتاه**»: كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان، وقيل: من الآفات، ويحتمل الجميع. اهـ.[٥] قال ابن القيم - رحمه الله - الصحيح: كفتاه شر ما يؤذيه. اهـ[٦].

قلت: وهل هناك أذى للإنسان أعظم من تسلط الشيطان عليه فيتناوله من باب أولى.

٥ - تقرأ آية الكرسي بتَدبُّر وتَفَهُّم، فهي تحفظك من الشيطان حتى تصبح، وهذا ثابت في «البخاري» من حديث أبي هريرة وفي الترمذي من حديث أبي أيوب، وابن حبان من حديث أبي بن كعب.

٦ - تسبح ثلاثًا وثلاثين، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتكبر أربعًا وثلاثين، وهذا ثابت في «الصحيحين» من حديث علي رضي الله عنه[٧].

---

(١) فتح الباري (٣/ ٥٢).   (٢) لسان العرب (١/ ٥٩٢).

(٣) البخاري رقم (٥٠١٧) في «فضائل القرآن»، باب فضل المعوذات.

(٤) **متفق عليه:** البخاري رقم (٤٠٠٨) في «المغازي»، باب (١٢) ومسلم رقم (٨٠٧) في «المسافرين»، باب فضل الفاتحة.

(٥) شرح مسلم (٦/ ٩١) بشرح النووي.   (٦) الوابل الصيب (٩١).

(٧) **متفق عليه:** البخاري رقم (٦٣١٨) في الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، ومسلم رقم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار.

٧ ـ تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن، وتنام على جنبك الأيمن، وتقول «باسْمك ربِّي وَضعْتُ جَنْبِي وَبكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وإنْ أرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بمَا تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالحين»(١).

٨ ـ ثم تقول: «بسْم الله وَضَعتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذَنْبِي، وأخْسئْ شَيْطَاني وَفُكَّ رِهَاني، وَاجْعَلْني في النَّديِّ الأعْلَى»(٢).

٩ ـ ثم تذكر الله حتى يغلبك النوم، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا أوىَ الإنْسَانُ إلى فرَاشه ابْتَدَرَهُ مَلكٌ وشيْطَانٌ فَيَقُولُ المَلَك: اخْتمْ بخَيْر، ويَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتمْ بشَر، فَإذَا ذَكَرَ اللهَ حَتَّى يغلبه ـ يعْني النَّوم ـ طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ، وبَاتَ يَكْلَؤُهُ ـ أي يَحْرسُه ـ فَإذَا استَيْقَظَ ابْتَدرهُ مَلكٌ وَ شَيْطَانٌ فَيَقُولُ المَلَكُ: افْتَحْ بخَيْر، ويَقُولُ الشَّيْطَانُ: افْتحْ بشَر، فَإنْ قَالَ: الحَمْدُ لله الذي أحْيَا نَفْسي بَعْدَ مَوْتهَا، ولَمْ يُمتْهَا في مَنَامهَا، الحَمْدُ لله الذي يُمْسك الذي قَضَى عَلَيْهَا المَوْت ويُرسلُ الأخْرَى إلى أجَل مُسمًى، الحَمْدُ لله الذي يمْسكُ السَّمَوَات والأرْض أنْ تَزُولاَ، وَلَئنْ زَالَتَا مَا أمْسَكَهُمَا منْ أحدٍ منْ بَعْده، الحَمْدَ لله الذي يُمْسكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلى الأرْض إلاَّ بإذنه. طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ وَظَلَّ يَكلَؤهُ» صححه الحاكم، ووافقه الذهبي (١/ ٥٤٨).

استهزاء الشيطان بمن أهمل قيام الليل:

إذا نام الإنسان حتى يصبح، ولم يَقُمْ شيئًا من الليل ازداد عليه الشيطان تسلطًا، ويتضح ذلك مما ورد في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْه ـ أو قَالَ: في أذنه»(٣)

قال الحافظ: واختُلفَ في بول الشيطان، فقيل هو على حقيقته. قال القرطبي وغيره: لا مانع من ذلكَ إذ لا إحالة فيه، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول.

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٦٣٢٠) في «الدعوات»، باب التعوذ والقراءة عند المنام، ومسلم رقم (٢٧١٤) في «الذكر والدعاء»، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) صحيح: أبو داود (٥٠٥٤) في «الأدب»، باب ما يقال عند النوم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٤) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٤٩).

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٧٠) في كتاب «بدء الخلق»، باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٧٧٤) في «المسافرين»، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

* وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة، حتى لا يسمع الذكر.

وقيل: معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل، فحجب سمعه عن الذكر، وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به، وقيل إن الشيطان استولى عليه واستخف به، حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه. اهـ[(١)].

وروى الإمام أحمد، عن الحسن البصري قال: «إن بولَهُ والله لَثقيلٌ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه «حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح، وقد بال الشيطان في أذنه» رواه محمد بن نصر، وقال الحافظ: صحيح الإسناد[(٢)].

تنغيص النوم وتحزين المسلم.

ومن مكائده - أعاذنا الله منه - أن يُريَ الإنسان في منامه أحلامًا مزعجة؛ كي يحزنه ويؤلمه فقد روى مسلم في «صحيحه»، عن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على إثره، فقال: رسول الله ﷺ للأعرابي: **«لاَ تُحَدِّث النَّاس بتَلَعُّب الشيْطَان بكَ في مَنَامكَ»**[(٣)].

* وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«الرّؤْيَا ثَلاَثَةٌ، فَرُؤْيَا الصَّالحة بُشْرَى منَ الله، وَرُؤْيَا تَحْزينٌ منَ الشَّيْطَان، وَرُؤْيَا ممّا يُحَدّثُ المَرْءُ نَفْسَهُ، فَإنْ رَأى أحَدُكُمْ مَا يَكرهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»**.

* وفي «الصحيحين» من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الرُّؤْيَا الصَّالحةُ منَ الله، والحُلْمُ منَ الشّيْطَان، فَمَنْ رَأى شَيئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفثُ عَنْ شَماله ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوّذْ منَ الشَّيْطَان، فَإنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ»**[(٥)].

---

(١) فتح الباب (٣/ ٢٨). (٢) فتح الباري (٣/ ٢٩).

(٣) **صحيح**: مسلم رقم (٢٢٦٨) في «الرؤيا»، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٧٠١٧) في «التعبير»، باب القيد في «المنام»، ومسلم (٢٢٦٣) في «الرؤيا» في فاتحته واللفظ له.

(٥) **متفق عليه**: البخاري (٦٩٩٥) في «التعـ[illegible]ـب الرؤيا من الله، ومسلم (٢٢٦١) في «الرؤيا» في فاتحته.

وبجمع طرق هذا الحديث يتبين أن للرؤيا آدابًا يستحب للمسلم اتباعها:

إذا كانت الرؤيا صالحة: يحمد الله عليها، ويستبشر بها، ويتحدث بها لمن يحب دون من يكره.

وإذا كانت الرؤيا مكروهة: يتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وأن يتفل عن يساره ثلاثًا، . ولا يذكرها لأحد، ويتحول عن جنبه، ويقوم فيصلي.

قال الحافظ: وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور، فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح وهي مشروعة عند كل أمر يُكره، وأما الاستعاذة من الشيطان فلما وقع في بعض طرق الحديث أنها منه، وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه.

وأما التفل فقال عياض: أمر به طردًا للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرًا له واستهزاءً، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجوء إليه. اهـ مختصرًا[1].

أما صفة الاستعاذة فقد قال إبراهيم النخعي: «إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: أعوذ بما عاذت به ملائكةُ الله ورسلُه من شر رؤياي هذه، أن يصيبني منها ما أكره في ديني ودنياي» قال الحافظ: أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة[2].

قال النووي: وأما قوله: «فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ» معناه: أن الله - تعالى - جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة وقاية للمال وسببًا لدفع البلاء. اهـ[3].

الشيطان يضحك من المتثائب:

وذلك لأن التثاؤب ينشأ عن الكسل، فيكون المتثائب في حالة لا يستطيع معها أن يؤدي الطاعات على أكمل وجه، ومما يضحك الشيطان أن المتثائب يكون في منظر

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٧١) (٢) فتح الباري (١٢/ ٣٧١)
(٣) شرح مسلم (١٥/ ١٨)

غير جميل، ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «إِنّ الله يُحبُّ العُطاسَ، وَيَكرَهُ التَّثَاؤُب، فَإِذَا عَطَس فَحَمدَ الله فَحقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِم سَمعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطان فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قال: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمسكْ بِيَده عَلَى فيه، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ»(٢) .

قال الحافظ: يحتمل أن يراد به الدخول حقيقة، وهو - إن كان الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم - لكنه لا يتمكن منه مادام ذاكراً لله تعالىٰ، والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة، ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه، لأنه من شأن من دخل في شيء أن يكون متمكنًا منه. اهـ(٣) .

قال النووي: قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد علىٰ الفم، لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضحكه منه. اهـ(٤) .

ومن الجميل هنا أن نذكر ما رواه ابن أبي شيبة، والبخاري في «التاريخ»، من مرسل يزيد ابن الأصم قال: ما تثاءب النبي ﷺ قط(٥) .

أين يبيت الشيطان؟

* في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامه فَلْيَسْتَنْثر ثَلاَثَ مَرَّات، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشيمه»(٦). اللفظ لمسلم و«الخيشوم»: الأنف، «الاستنثار»: هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه.

---

(١) **متفق عليه:** البخاري (٦٢٢٣) في «الأدب»، باب ما يستحب من العطاس، ومسلم (٢٩٩٤) في «الزهد والرقائق»، باب تشميت العاطس.

(٢) **صحيح:** مسلم رقم (٢٩٩٥) في «الزهد»، باب تشميت العاطس، وأبو داود (٥٠٢٦، ٥٠٢٧) في «الأدب» باب ما جاء في التثاؤب، والدارمي (١/ ٣٢١) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٩١٩) وأحمد في «المسند» (٣/ ٣١).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٦١٢)

(٤) شرح مسلم (١٨/ ١٢٣). (٥) فتح الباري (١٠/ ٦١٣).

(٦) **متفق عليه:** البخاري رقم (٣٢٩٥) في «بدء الخلق»، باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٢٣٨) في «الطهارة»، باب «الإيتار في الاستنثار والاستجمار».

والمقصود هو تنظيف الأنف من الداخل .

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: يحتمل أن يكون قوله ﷺ: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يبيتُ عَلَى خَيَاشِيمه» على حقيقته ، فإن الأنف أحدُ منافذ الجسم التي يتوصل إلى القلب منها قال : ويحتمل أن يكون على الاستعارة فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان . اهـ(١) .

قال الحافظ: ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ، ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن لم يحترز من الشيطان بشيء من الذكر ، كحديث أبي هريرة الذي فيه : «فَكَانَتْ لَهُ حرْزًا من الشيطَان» وحديث آية الكرسي وفيه : «ولاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ» ويحتمل أن يكون المراد بنفي القرب هنا : أنه لا يقرب من المكان الذي يوسوس فيه وهو القلب فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ . اهـ(٢) .

بعث الشيطان جنوده لفتنة الناس:

روى مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ: «إنّ إبْليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاء، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاه، فَأَدْنَاهُمْ منهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فتْنَةً، يجيء أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجيءُ أحُدُهُم فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بيْنَه وبَيْنَ امْرأته، قَالَ: فَيُدْنيه منه ويقُولُ: «نعْم أنْتَ!» قال الأعمش : أراه قال : «فَيَلْتَزِمهُ»(٣) .

وعن أبي موسى الأشعري قال ﷺ: «إذَا أَصْبَحَ إبْليسُ بَثَّ جُنُودَهُ في الأَرْض فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ مُسْلمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ. فَيَقُولُ لَهُ القَائلُ: لَمْ أَزَلْ بفُلاَن حَتَّى طَلَّقَ امرأتَهُ قالَ: يُوشكُ أنْ يَتَزَوّجَ، وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أزَلْ بفُلاَن حَتَّى زَنَى. قَالَ: أَنْتَ، وَيقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بفُلاَن حَتَّى شَربَ الخَمْرَ، قَالَ: أَنْتَ، قَالَ: وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزلْ بفُلاَن حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ»(٤) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني .

---

(١) شرح مسلم (٣/ ١٢٧ نووي) . (٢) فتح الباري (٦/ ٣٤٣) .

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨١٣) في صفة إبليس وجنوده، باب تحريق الشيطان .

(٤) **صحيح:** أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٨٠) .

الوسوسة دليل عجز الشيطان:

إن الشيطان يتلاعب بالكافر تلاعبًا، ويغويه ويقُودُه إلىٰ الفساد في الأرض، ويريد أن يفعل ذلك بالمؤمن فيعجز، ولا يستطيع إلا الوسوسة لا يزيد عليها، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال: «تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ»(١).

وجاء أناسٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قالوا نعم قال: «ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ»(٢).

قال النووي ـ رحمه الله ـ «ذاك صريح الإيمان»، و«محض الإيمان»: معناه استعظامكم الكلام به، هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا، وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققًا وانتفت عنه الريبة والشكوك اهـ(٣).

الوسوسة في الصلاة:

* روىٰ مسلم في «صحيحه»، عن أبي العلاء: أن عثمان بن أبي العاص، أتي النبي ﷺ فقال: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يُلبسها عَليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ(٤)، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بالله مِنْهُ، واتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا» قال ففعلت فأذهب الله عني(٥).

تنبيه: أورد الغزالي في «الإحياء»(٦)، هذا الحديث، عن عمرو بن العاص، وتبعه علىٰ ذلك الدكتور السيد الجميلي(٧)، وهو غلط فتنبه.

* وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَّسَ عَلَيْهِ، حَتَّى لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»(٨).

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (١٣٣) في «الإيمان»، باب بيان الوسوسة من الإيمان.
(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٣٢) في «الإيمان»، باب بيان الوسوسة من الإيمان.
(٣) شرح مسلم (٢/ ١٥٤ بشرح النووي).
(٤) خنزب: يجوز في الخاء الثلاثة أوجه بالفتح والكسر والضم، راجع النهاية (٢/ ٨٢) وشرح مسلم برقم (٢٢٠٣).
(٥) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٢٠٣) في «السلام»، باب التعوذ من شيطان الوسوسة.
(٦) الإحياء (١٣٨/٣). (٧) في كتاب السحر وتحضير الأرواح / ٨٥.
(٨) متفق عليه: البخاري (٦٠٨) في «الأذان»، باب فضل التأذين، ومسلم (٣٨٩) «المساجد»، باب=

واعلم أن الشيطان يدخل على المصلي من بابين لا ثالث لهما:

المدخل الأول: ما يتعلق بالحواس الظاهرة، كمن يصلي وهو يسمع صوتًا عاليًا فيشغله عن صلاته، ومن يقع نظره أثناء الصلاة على شيء يعجبه كزخرف وغيره، وهذا الباب إنما يسد بقطع تلك العلائق والشواغل، ولذلك لما لَبِسَ رسولُ الله ﷺ الخميصة التي أهداها إليه أبو جهم، وعليها عَلَم وصلى بها، نزعهَا بعدَ صلاته، وقال: «**اذْهَبُوا بها إلى أبي جَهْم، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنفًا عنْ صَلاَتِي، وَأْتُونِي بِأنبجَانِيَّة أبِي جَهْم**» (١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

* وروى النَّسائي من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان على المنبر وفي يده خاتم فرماه وقال: «**شَغَلَنِي هَذَا عَنْكُمْ مُنْذُ اليَوْمَ، إليْه نَظرةٌ وإليكُم نَظرَةٌ**»(٢) ثم ألقاه.

ولذلك كره العلماء زخرفة المساجد، لأنها تلهي المصلي عن الصلاة فقد روى ابن خزيمة وصححه: أن عمر أمر ببناء المساجد فقال: «أكِنّ الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس» وعلقه البخاري - رحمه الله - وقال الإمام أحمد: ولا يُكتب في القبلة شيء، لأنه يشغل قلب المصلي. اهـ(٣).

أما المدخل الثاني: فهو ما يتعلق بالقلب، فمن أُشرب قلبه حب الدنيا فلا يمكن أن يتخلص منها، لا في الصلاة ولا في غيرها، لأن من أحب شيئًا أكثر التفكير فيه، فتراه في الصلاة يقوم ويقعد وينحني، ويسجد وقلبه بالدنيا مشغول، وعليها ملهوف، يطير به الشيطان من واد إلى واد ومن فكرة إلى أخرى.

ولعمر الله إن هذا لمدخل عظيم لا يكاد ينفك عنه إلا من وفقه الله، وليس له علاج إلا معرفة قدر الدنيا وحقارتها وأن تكثر من قول: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر

= السهو في الصلاة.

(١) **متفق عليه:** البخاري (٣٧٣) في «الصلاة»، باب إذا صلى في ثوب له أعلام، ومسلم (٥٥٦) في «المساجد»، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام.

(٢) **صحيح:** النسائي (٨/ ١٩٥) في «الزينة»، باب طرح الخاتم، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٢٢) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) المغني (٢/ ٧٣).

همنا ولا مبلغ علمنا) وأن تتذكر هيبة الله أثناء الوقوف أمامه، فهو الذي قصم ظهور الفراعنة، وانحنت له رقاب الجبابرة.

النسيان من الشيطان:

قال الدكتور عمر الأشقر: ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[(١)] وقال صاحب موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾[(٢)].

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو أحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله، ولكن الشيطان قد يُنسي الإنسان مراد ربه منه، فيجالس هؤلاء المستهترين ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[(٣)].

وطلب نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ إلى السجين الذي ظن بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه، فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبي الله يوسف فمكث يوسف في السجن بضع سنين: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[(٤)].

وإذا تمكن الشيطان تمكنًا كليًا فإنه ينسيه الله بالكلية: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[(٥)].

والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية، وسبيل التذكر هو ذكر الله، لأنه يطرد الشيطان، ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[(٦)]. اهـ[(٧)].

---

(١) سورة طه الآية (١١٥).
(٢) سورة الكهف الآية (٦٣).
(٣) سورة الأنعام الآية (٦٨).
(٤) سورة يوسف الآية (٤٢).
(٥) سورة المجادلة الآية (١٩).
(٦) سورة الكهف الآية (٢٤).
(٧) عالم الجن والشياطين (٧٠).

إشعال العداوة بين الناس:

وهذا هدف من أهداف الشيطان الخبيثة، يسلك إليه كل طريق ويستخدم له كل وسيلة، ومن هذه الوسائل، الخمر فإنها تزيل العقل، وتفقد التوازن، وعندئذ يتمكن الشيطان من الإنسان فيقوده إلىٰ ما يريد.

* فقد رویٰ البيهقي بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:

اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة، فدخل معها، فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتىٰ أفضىٰ إلىٰ امرأة وضيئة عندها غلام وباطية الخمر، فقالت: إني والله مادعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر، فسقته كأسًا فقال: زيدوني، فلم يرم حتىٰ وقع عليها وقتل النفس[1].

* ومن هذه الوسائل أيضًا الميسر «القمار»، لأنها توقع العداوة بين الناس وتورث الحقد في النفوس، ومنها الأنصاب التي تُعبد من دون الله وهي وسيلة كبرىٰ لتسلط الشيطان علىٰ الإنسان فيلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة.

*ومن هذه الوسائل أيضًا الأزلام: أي القداح التي كان يستقسم بها الكفار في الجاهلية، وهي تساوي في زماننا هذا ما يسمونه «الحظ» وكذا «الاستفتاح» وهو فتح المصحف ثم النظر فيه فالآية التي يقع نظره عليها يظن أنها حظه.

وهذا كله من عمل الشيطان، ولذلك حذرنا الله منه بقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2].

* ومن تلك الوسائل أيضًا: الكلمة فإنها أحيانًا تحمل علىٰ غير معناها، فتوقع

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٧)، وصحح ابن كثير سنده.
(٢) سورة المائدة الآية (٩٠-٩١).

العداوة والبغضاء، ولذلك أمرنا الله بالقول الحسن فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[١].

قال سيد قطب: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ على وجه الإطلاق وفي كل مجال. فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، بذلك يتقون أن يُفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تَفْلتُ، وبالرد السيئ يتلوها، فإذا روح الود والمحبة والوفاق، يشوبها الخلاف، ثم الجفوة، ثم العداء.

والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، وتُندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم. اهـ[٢].

وإذا انتقل بنا الحديث إلى الآداب النبوية وجدنا رسول الله ﷺ يسد كل ثغرة يدخل منها الشيطان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أخيه بالسلاح، فإنَّه لا يَدْرِي لعلَّ الشَّيطَانَ يَنْزِعُ في يَده، فَيَقَعُ في حُفْرة منَ النَّار»[٣].

وقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بشقِّ تَمْرَة، فَمَنْ لَمْ يَجِـدْ فَبِكَلِمَة طَيِّبَة»[٤] متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وهذا كله إنما هو لسد باب عظيم من أبواب الشيطان الرجيم، ألا وهو التحريش بين المسلمين، وإشعال نار الفتنة بينهم.

* فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِس أنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلّونَ في جَزيرة العرَب، ولَكنْ في التَّحريش بَيْنَهُمْ»[٥].

(١) سورة الإسراء الآية ٥٣.

(٢) الظلال (٤/ ٢٢٢٣٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٠٧٢) في «الفتن»، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» ومسلم رقم (٢٦١٧) في «البر والصلة»، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٣٥٩٥) في «المناقب»، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم رقم (١٠١٦) في «الزكاة»، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.

(٥) صحيح: مسلم رقم (٢٨١٢) في «صفة القيامة والجنة»، باب «تحريش الشيطان»، والترمذي (١٩٣٨) في «البر والصلة» باب ما جاء في «التباغض»، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٣-٣٥٤).

مكان الشيطان في الإنسان:

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي من ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدّمِ»(١).

وفي رواية أخرى: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ منْ ابنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ»(٢).

وقال الحافظ: قيل هو على ظاهره، وأن الله - تعالى - أقدره على ذلك، وقيل: هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه، وكأنه لا يفارق كالدم فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة. اهـ(٣).

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. اهـ(٤).

ومن هنا يتبين لنا أن الشيطان يستطيع أن ينفذ في جسم الإنسان ولذلك يختار القلب مكانًا له؛ لأنه هو القائد، والأعضاء جنوده، فإذا سيطر الشيطان على القلب خضعت الجوارح.

* ولذلك يقول النبي ﷺ: «أَلاَ وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(٥).

ولكن هناك قلوبًا تحيط بها أسوار الإيمان وحصون التقوى، وعليها حراس

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٠٣٨) في «الاعتكاف» باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، ومسلم رقم (٢١٧٤) في «السلام»، باب: بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٠٣٥) في «الاعتكاف»، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه، ومسلم رقم (٢١٧٥) في «السلام»، باب: بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة.

(٣) فتح الباري (٤/ ٢٨٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥).

(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٢) في «الإيمان»، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

الذكر، فلا يستطيع الشيطان أن يدخلها، إلا خِلْسةً، فإذا دخلها قام حراس الذكر فطردوه خارج الحصون مذمومًا مدحورًا.

قوة الإيمان تُضْعفُ الشيطان:

* قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «**وَالذي نَفْسِي بِيَدِه، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فجًا إلاَّ سَلَكَ فَجا غير فَجِّكَ**»[(١)].

قال الحافظ: فيه فضيلة عظيمة لعمر، تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته بحسب ما تصل إليه قدرته فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك في طريقه فأولى ألا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له، فيمكن أن يكون حُفظ من الشيطان.

قال: ووقع في حديث حفصة، عند الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَلْقَى عُمَرَ مُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ إلاَّ خَرَّ لوجهه**». اهـ[(٢)].

فانظر أخي المسلم إلى قوة الإيمان كيف تؤثر في الشيطان، حتى تصل إلى درجة الخوف والهروب.

* وقال أحد الصحابة: كنت ردف النبي ﷺ على حمار، فَعثرَ الحمار، فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «**لاَ تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيطَانُ، فَإنَّكَ إذَا قُلْتَ: تَعِسَ**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٦٨٣) في «فضائل أصحاب النبي ﷺ» باب مناقب عمر بن الخطاب ومسلم رقم (٢٣٩٦) في «الفضائل»، باب فضل عمر بن الخطاب.

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٧).

الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِه، وقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ تَصَاغَرَتْ إليهِ نَفْسُهُ، حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ»(١) .

مزامير الشيطان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ»(٢).

ولما كانت الشياطين تصحب الجرس، تخلت الملائكة عن الرفقة التي معها الجرس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَصْحَبُ المَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فيهَا كَلْبٌ أَوَ جَرَسٌ»(٣) .

الأسواق معركة الشيطان:

قال سلمان: «لا تكونن - إن استطعت - أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها؛ فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته»(٤) .

قال النووي - رحمه الله - شبه السوق، وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم، بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل، كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسوم على سومه وبخس المكيال والميزان.

قال: وقوله: «وبها ينصب رايته» إشارة إلي ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه. اهـ(٥) .

---

(١) صحيح: أبو داود رقم (٤٩٨٢) في «الأدب»، باب (٨٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ص(٣٧٣) وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩ - ٧١) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي والألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٢٨)، (٣١٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢١١٤) في «اللباس والزينة»، باب كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٢١١٣) في «اللباس والزينة»، باب كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٤) رواه مسلم، رقم (٢٤٥١) في «فضائل الصحابة»، باب فضائل أم سلمة.

(٥) شرح النووي (١٦/ ٧) .



الفصل الخامس

مداخل الشيطان لإفساد القلوب



أهمية القلب:

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبيﷺ: «**ألاَ وإنَّ في الجَسد مُضْغَةً، إذَا صَلَحَت صَلحَ الجَسَدُ كُلُّه**»[1] فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القَابلَة لما يأتيها من هدايته ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتىٰ تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته. اهـ. [2].

ولذا كان القلب هو محل الاختبار والابتلاء، وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفتَنُ عَلَى القُلُوب كَعَرْض الحَصير عُودًا عُودًا، فَأيُّ قَلْب أشْربَهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأيُّ قَلْب أنْكَرَهَا نُكتَتْ فيـه نَكْتَةٌ بَيْضَـاءُ، حتَى تَصـيرَ عَلَىَ قَلْبَيْن: قَلْبَ أبْيَضُ مـثْل الصفَـا، فَلاَ تَضرُّهُ فـتْنَةٌ مَا دَامت السَّمَـوَاتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْباداً كـالكُوز مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرفُ مَعْـرُوفًا، وَلاَ يُنْكرُ مُنْكرًا، إلاَّ مَا أشربَ منْ هَوَاهُ**»[3]

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى:

فشبه عَرْضَ الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا ـ كعرْض عيدان الحصير وهي طاقاتها شيئًا فشيئًا، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلىٰ قسمين: قلب إذا عُرضت عليه فتنة

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٢) في «الإيمان»، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم رقم (١٥٩٩) في «المساقاة»، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٤٤) في «الإيمان»، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

أُشربها، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تُعرض عليه حتى يسود وينتكس، وهو معنى قوله: «كالكُوزِ مُجَخِّيًا»، أي مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسْود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران متراميان به إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض، حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، والحق باطلاً، والباطل حقًا.

الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به النبي ﷺ وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته.

والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. اهـ[(١)] .

ولذلك يجب على المسلم أن يراقب قلبه ويتعرف أحواله ويتخوله بالموعظة بين الحين والآخر، وليعلم أنه بصلاحه تكون السعادة الأبدية، وبفساده يكون الشقاء والبلاء والخسران المبين.

واعلم أنه كلما ازداد إيمان القلب، وقوي يقينه، زاد نوره الذي يميز به بين الحق والباطل والهدى والضلال، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**القُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فيه مثلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غلافِه، وَقلبٌ مَنْكوسٌ، وَقَلْبٌ مُصفحٌ. فَأَمَّا القَلْبُ الأَجْرَدُ فَقَلْبُ المُؤمنِ سِرَاجُهُ فيه نوره، وَأَمَّا القَلْبُ الأَغْلَفُ فَقَلْبُ الكَافر، وَأَمَّا القَلْبُ المَنْكُوسُ فَقَلْبُ المُنَافق عَرَفَ ثمَّ أَنْكَرَ، وأَمَّا القَلْبُ المُصْفَحُ فَقَلْبٌ فيه إيمَانٌ وَنفَاقٌ، فمثلُ الإيمَانِ فيه كَمثْلِ البَقْلَة يمُدُّهَا المَاءُ الطَّيِّبُ، وَمثْلُ النِّفَاق فيه كَمثْلِ القُرحَة يَمُدُّهَا القَيحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ المَادَّتَيْنِ غَلَبَ عَلَى الأُخْرَى غَلَبَ عَلَيْه**»[(٢)] .

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٣): رجال أحمد رجال الصحيح، والحديث عند الطبراني في «الصغير»، (٢/ ١١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٤٨٥).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

فقوله: «قَلْبٌ أَجْرَدُ» أي متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق و«فيه سِرَاج يزْهر» وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، بحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان، وأشار «بالقلب الأغلف» إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكيًا عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾(١)، وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، وهذه الغشاوة هي الأكنة التي ضربها الله عز وجل على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله:

فهي أكنة على القلوب، ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٢) فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولَّى أصحابُها على أدبارهم نفورًا.

وأشار بالقلب المنكوس - وهو المكبوب - إلى قلب المنافق كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾(٣) أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة، وهو شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقًا ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، فالله المستعان.

وأشار بالقلب «الذي له مادتان» إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يظهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع. اهـ(٤).

---

(١) سورة البقرة الآية (٨٨).
(٢) سورة الإسراء الآية (٤٥ - ٤٦).
(٣) سورة النساء الآية (٨٨).
(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١٢).

ومن هنا يتبين لنا : أن مدار الأعمال على القلب ، فهو القائد ، والجوارح جنوده ، يوجهها حيث أراد .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه أجلب عليه بالوساوس ، وأقبل بوجود الشهوات إليه ، وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده عن الطريق ، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ، ونصب له من المصايد والحبائل ، فإن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق ، فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى ، والتعرض لأسباب مرضاته ، والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته ، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[١] فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين ، وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين وإشعار القلب إخلاص العمل ودوام اليقين ، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] . اهـ .[٣] .

ونقاء القلب وإخلاصه يرفع صاحبه درجات ؛ فقد روى ابن ماجه ، عَنْ عَبْد الله ابْن عَمْرو قَالَ : قِيلَ لِرَسُول الله ﷺ : أيُّ النَّاس أفْضَل؟ قَالَ : «**كُلُّ مَخْمُوم الْقَلْب صَدُوق اللِّسَان**» قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسان نَعْرِفُهُ ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْب؟ قَالَ : «**هُوَ التَّقِي النَّقِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ**»[٤] .

---

(١) سورة الإسراء الآية (٦٥) .
(٢) سورة الحجر الآية (٤٠) .
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٦) .
(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٩)، حديث رقم (٤٢١٦) في «الزهد»، باب: الورع والتقوى، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١٣٦٤)، إسناده صحيح، وقال البوصيري في «الزوائد»، هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

كيفية الوسوسة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - :

الوسواس (فعلال) من وسوس، وأصل الوسوسة الحركة، أو الصوت الخفي الذي لا يُحَس فيحترز منه.

فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من أُلْقِي إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد. اهـ(١) .

وقال أيضًا - رحمه الله - في الوسوسة:

هي مبدأ الإرادة فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيُصوِّر لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها له ويخيلها في خيال تميل نفسه إليه فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويُمنِّي ويشهي وينسي علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والْتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث جنوده في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مددًا ولهم عونًا، فإن فَتَرُوا حرَّكهم، وإن وَنَوْا أزعجهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (٢) أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا، كلما فَتَرُوا أو وَنَوْا أزعجتهم الشياطين، وأزتهم وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب وتنظم شمل الاجتماع، بألطف حيلة وأتم مكيدة.

وقد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم، وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم آدم فلا اعتز بتلك النخوة ولا فاز برضاه أن يصير قوّادًا لكل من عصى الله كما قال بعضهم:

عَجِبْتُ من إبليسَ في تيهه ... وقُبْحِ ما أظهَرَ مِنْ نخوته
تاهَ على آدمَ في سجدة ... وصارَ قوادًا لذريته

---

(١) التفسير القيم (٦٠٠).

(٢) سورة مريم الآية (٨٣).

فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة .

كيف يدخل الشيطان على الإنسان؟

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى :ـ وإنما يدخل على الناس بقدر ما يُمكنُهُ، ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم، وغفلتهم، وجهلهم، وعلمهم .

واعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم ـ أي نوافذ ـ وساكنه العقل والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبيه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وُكِّلَ بحفظه، وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة، فإن العدو لا يفتر .

قال رجل للحسن البصري : أينام إبليس؟

قال : لو نام لوجدنا راحة .

وهذا الحصن مستنير بالذكر، مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمرّ به، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان، فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس، فيخرج، وربما دخل فعاث ـ أي أفسد ـ وربما أقام لغفلة الحارس ـ وربما كدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، فيمرّ الشيطان ولا يدري به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم، وأقام يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته وربما صار كالفقيه في الشر .

قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لي : كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم ! وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاَّها، فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأثره .

وأقوى القيد الذي يُوثَقُ به الأسرى: الجهل، وأوسطه في القوة: الهوى، وأضعفه: الغفلة، وما دام درع الإيمان على المؤمن فإن نَبْلَ العدو لا يقع في مقتل. اهـ[١].

ثم ساق بسنده، عن الأعمش قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعبًا. اهـ.

واعلم أخي المسلم: أن الشيطان لا يدخل إلا على ذي القلب الخالي من الذكر والتقوى والإخلاص واليقين، فيلقي وساوسه فتجد المحل خاليًا فتتمكن منه وتستقرّ فيه كما قيل:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وأما إذا كان القلب عامراً بالإيمان مُسربلاً بالتقوى، مُحصنًا بالذكر، فلا يكون للشيطان عليه سلطان، ولا إليه سبيل.

والطامة الكبرى: فيما إذا كان القلب محشوا بالهوى والشهوة، فهما قوت الشيطان فلا يمكن دفعه، وهذا كمثل كلب جائع مر برجل بين يديه لحم، فكلما زجره لم ينتهِ، فإذا رفع اللحم من بين يديه يئس الكلب وانصرف، كذلك صاحب القلب المليء بالشهوات فلا بد أن يطهره أولاً منها، ثم يعمره بالتقوى، وفي هذه الحالة عندما يقول: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم؛ انصرف عنه الشيطان.

ومَنْ فَهِمَ هَذا عَرفَ سبب قلة جدوى الاستعاذة عند كثير من الخلق، فليست الاستعاذة مانعة للشيطان إلا إذا كان قلب المستعيذ خاليًا من قوت الشيطان وعامراً بالتقوى والإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢] فهذه الآية خاصة بالمتقين دون غيرهم.

مراتب الإغواء:

الشيطان يتعقب الإنسان ويتتبعه، ولا يبرد أنينه إلا إذا أغواه وأفسده، وضمه إلى

(١) تلبيس إبليس (٣٨).
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠١).

حزبه الخاسرين، وقد جمع ابن القيم رحمه الله تعالى مراتب إغواء الشيطان للإنسان فقال:

المرتبة الأولى:

الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم بَرَدَ أنينه، واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتى ينال منه، فإذا نال ذلك صيَّرة من جنده وعسكره، واسْتَنَابَهُ على أمثاله وأشكاله، فصار من دعاة إبليس ونوابه.

المرتبة الثانية:

وهي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي، لأن ضررها في نفس الدين، هو ضرر متعدٍّ، وهي ذنب لا يُتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به. وهي باب الكفر والشرك، فإذا نال منه البدعة، وجعله من أهلها بقي أيضًا نائبه، وداعيًا من دعاته، فإذا أعجزه من هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة، ومعاداة أهل البدع والضلال نقله إلى:

المرتبة الثالثة:

وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشد حرصًا على أن يوقعه فيها ولا سيما إذا كان عالمًا متبوعًا: فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه، ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه في الناس، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينًا وتقربًا - بزعمه - إلى الله تعالى وهو نائب إبليس ولا يشعر، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾[1] هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها، لا نصيحة منهم، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه.

كل ذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع بعلمه، وذنوب هذا لو بلغت عنان السماء أهون عند الله لأنه إذا تاب قَبِلَ الله توبته، وبَدَّلَ سيئاته حسنات، وأما ذنوب أولئك فظلم للمؤمنين، وتتبع لعوراتهم، وقصد لفضيحتهم.

(١) سورة النور الآيه (١٩).

والله سبحانه بالمرصاد، لا تخفى عليه كمائن الصدور، ودسائس النفوس، فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى:

المرتبة الرابعة:

وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها. قلت: روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بِبَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَذَا بِعُودٍ حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْه**»[1].

قال الحافظ: سنده حسن

وروى الدارميُّ وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**»[2].

وروى أسد بن موسى في «الزهد»، عن أبي أيوب الأنصاري قال: «إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها، وينسى المحقرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فيكون منها مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا»[3].

قال ابن القيم: فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى:

المرتبة الخامسة:

وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها (قلت: وهذه المباحات مثل: كثرة النوم، والطعام والشراب، واللباس، والسهر فيما لا يفيد»، قال: فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظًا لوقته شحيحًا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٢، ٤٠٣)، وصحح إسناده الشيخ محمد شاكر.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٤٣)، في «الزهد» باب ذكر الذنوب، والدارمي (٢/ ٣٠٣) رقم (٢٧٢٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥١٣).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٠).

المرتبة السادسة:

وهو أن يشغله بالعمل المفضول عن الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويُحَسِّنه له، إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من ينتبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا ومحركًا إلى نوع الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بالخير، ويرى أن هذا خير، فيقول هذا الداعي من الله، وهو معذور ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوِّت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأفضل[1] .

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله - عز وجل - يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله تعالى، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه ولعباده المؤمنين، - خاصتهم وعامتهم - ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة، وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك، فلا يخطر ذلك بقلوبهم، والله يمُنُّ بفضله على ما يشاء من عباده.

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيا عليه، يُسلطُ عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتحذير منه وقصد إخماده وإطفائه ليشوش عليه قلبه، ويشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه لا يفتر ولا يني[2] . اهـ[3] .

وهذا واضح في مجتمعنا، فما من عبد التزم بدينه، واستمسك بهدي نبيه وسنته، وسار على نهجه إلا وجد الصدود والعناد والسخرية والاستهزاء من

---

(١) مثل الانشغال بتلاوة القرآن بين الأذان والإقامة، ولكن الدعاء أفضل كما صح عن النبي ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة» فقد يحضه الشيطان على التلاوة في هذا الوقت بالذات ليشغله عن الدعاء.

(٢) ولايني: ولا يضعف ولا يفتر.

(٣) التفسير القيم (٦١٤).

الأقارب والأباعد والأصدقاء والأعداء، فليس له ملجأ إلا إلىٰ الله، وهذا شاب جرت له هذه المحنة فانبرىٰ يقول:

عَبْدٌ سَرَى في لَيْلَةٍ ظَلْمَاء ... هَرَبًا بتقواهُ منَ الفَحْشَاء
هَرَبًا من الفتنِ التي حَاطَتْ به ... مِنَ فتنة السَّرَّاء والضَّرَّاء
عَبْدٌ فتى في مُسْتَهَلِّ شَبَابه ... عَرَفَ الْهُدَى وَطَريقَهُ بصَفَاء
قَرأَ القُرآن تَفَهُّمًا وتَدبُّرًا ... وكَذَا اهْتَدَى للَسُّنَّة الغَرَّاء
وَرأى حَيَاةَ الصَّالحين سَعيدَةً ... بالخَير في الإصبَاحِ والإمْسَاء
فَتَشَوَّقَت نَحْوَ السَّعَادة نَفْسُهُ ... وغَدَا يُهَدْهدُ شَوْقَهُ بخَفَاء
حَتَّى إذَا التَزَمَ الْهُدى بعَزيمة ... لله خَالصَةً منَ الأهْواء
نَادتْ به فتنُ الضَّلالة جَهْرَةً ... وَدَعَتْهُ بالتَّزْيينَ والإغْرَاء
وَتَزَيَّنَتْ دُنيَاهُ فَي أثوابها ... بمباسم ونَواظر كَحْلاء
وَغَدَتْ تَغُرُّ النَّاسَ في إغوائهَا ... حَتَّى أضَلَّتْ أكْثَرَ الدَّهْمَاء
وَنَشَا بمجْتَمَعٍ به اختَلطَ الهُدى ... بقُوَى الرَّدَى والنُّورُ بالظَّلْمَاء
والنَّاس تَأخُذُ منْهُ ما يُرضي الهَوَى ... فَإذَا تَعَارَضَ فَهْوَ في إقْصَاء
إنْ جئْتَ بالحقِّ الصَّريح تُقيمُهُ ... وَصَدَعْتَ فيه بسُنَّة بَيْضَاء
لَمْ يَعْرفُوهَا قَبْلَ ذا منْ جَهْلهم ... أوْ لَمْ تَردْ بوَصيَّة الآبَاء!
قَامَتْ قيامَتُهُم وَرُوِّعَ جَمْعُهُم ... وَرَأوْك مُبْتَدعا وَذَا إغْوَاء
أتُريدُ تَبْديلاً لدين شُيوخنَا ... وَطَريقَة الْعُظَمَاء والْوُجَهَاء
ومَتَى عَرفْتَ هُدَى النَّبي وَدَينَهَ؟ ... بالأمس كُنْتَ فَتىً مَعَ الجُهَلاء!
فَإذَا أقَمْتَ عَلَيْهمُ حُجَجَ الهُدَى ... وَدَمَغْتَ بَاطلَهُم بدُون خَفَاء
قَالُوا هَذَاكَ مُنَفِّرٌ وَمُشَدِّدٌ ... وَإذَا به اسْتَمْسَكْتَ أنْتَ مُرائي!
لما أتَاهُم بالْهُدىَ هَذَا الْفَتَى ... نَفَرُوا نُفُورَ الحُمر والحَمْقَاء
واسْتَهْزَؤوا بسُلُوكه وَبديِنه ... وَعَنِ الْهَدَى فَتَنُوه بالإيذَاء
وَإذا رَأوْهُ يَلينُ أوْ طَمعُوا بأنْ ... يُصْغي لَهُمْ فَتَنُوه بالإغْرَاء
فِتَنٌ عَلَى دَرْبِ الْهُدَى تُغْرِي الفَتَى ... وآخرُهُنَّ لفتْنَة السَّرَّاء

فَتَضَايَقَتْ أَخْلاقُه منْ حاله ... كَتَضَايق الإيمَان في الأهْوَاء
وَجَدَ الدِّرَاسَةَ حَيْثُ كَانَ قُوامُهَا ... أخْلاطَ سُوءٍ شَاعَ في الجُلَسَاء
بَذَلَ النَّصيحَةَ جَهْرَةً وَبخُفْيَة ... لذَويه وَالأصحَاب وَالزُّمَلاَء
لا سيَّمَا في أهْله وقَرَابَةٍ جَهلُوا ... فَنَادَاهُمْ بِلُطْف نداَء
لَكنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ الهدَى ... لَّما أتَى منْ أصْغَر الأبنَاء
بَلْ حَاربوه بكلِّ أمْر مُنْكَر ... وَرَمَوْهُ بالتَّعْقيد والإعْيَاء
لَمْ يَنْقمُوا منْهُ سوى أنْ قَالَها ... اللهُ رَبِّي جَهْرتي وخَفَائي
وأتاهُ ضيقًا بَعْدَ ضيق فالتجَا ... يَشْكُو إلَى المولَى عَظيم بَلاَء
وَيَقُولُ يا رَبَّاهُ عَبْدُكَ مُؤْمنْ ... ءبي لأخشَى فتْنَةَ الدَّهْماء
إنَّي أخَافُ منَ الضَّلال وإنَّني ... أدْعُوكَ فَاقْبَلْني وَضَعْفَ دُعَائي
أنْقذْ غَريقًا في الدُّجَى قَدْ رَاعَهُ ... مَوْجٌ يَهيجُ وَوَحْشَةُ الظَّلْمَاء
الموْجُ عَاصفَةُ الضَّلال ظلاَمَهَ ... إنَّ الهُدَى مُتَلَبِّسٌ بخَفَاء
كَيْفَ المقَامُ وكَيْفَ لي أنْ أكْتُمَ ... الحَقَّ الصَّريحَ لرَهْبَة وَرَجَاء
وَبَيَانُهُ لابدَّ فيه منَ السِّلا ... ح العلْمُ أفْلَقَ حُجَّةَ الجُهلاَء
أعْني بذاك أولي الحديث وحزبهُ ... العَاملين بهَدْيه الوَضَّاء
هَذي حكَايةُ حَال أصْحَاب الهدى ... في غَمْرة الإغراء والإغْوَاء
يارب فاحفظهم وثبتهم على ... نصر الهدى والسُّنَّة البَيْضاء
وَارْزُقْهُمُ إحْيَاءهَا ببَصيرة ... وَارْزُقْهُمُ صَبْرًا عَلَى الإخْيَاء
وَاجْعَلْ لَنَا فيهَا نَصيبًا وَافرًا ... يَا رَبِّ وانْصُرْنَا عَلَى الأعْدَاء

فهذا حال الملتزمين بالإسلام ظاهرًا وباطنًا وهم الغرباء الذين بشرهم النبي ﷺ بقوله: «طُوبَى للْغُرَبَاء»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (١٤٦)، في «الإيمان»، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا.

طرق الشيطان في إضلال الإنسان

لو أن إنسانًا مارس عملاً معينًا خمسين عامًا - مثلاً - لأصبح فيه مُحنكًا بمداخله وطرقه وخفاياه. فهذا إبليس - عليه لعنة الله - من يوم طَرْده من الجَنّة - حتَّىٰ الآن ليس له عمل إلا إضلال الخلق وإغواءهم، فهذه المدة الطويلَةَ، وتلك الخبرة المديدة، جعلته يخترع أفانين في الإغواء والإضلال؛ فمن هذه الحيل:

١ - تزيين الباطل:

إن الباطل له صورة قبيحة ورائحة منتنة، ولذلك يعمد الشيطان إلىٰ هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل، ويلبسه رداءً حسنًا، ثم يزينه ويحسنه، ثم يبدأ في إغواء العبد به، وما علمنا ذلك إلا من قول الشيطان نفسه حين قال لربه: ﴿ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] فالتزيين أولاً، ثم الإغواء

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -:

ومن مكايده: أنه يسحر العقل دائمًا حتىٰ يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره، حتىٰ يُخيل إلَيه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء، حتىٰ يخيل له أنه يضره.

فلا إله إلا الله - كم فتن بهذا السحر من إنسان؟! وكم حال بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان؟! وكم جلّىٰ الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة؟! وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة؟! وكم بهرج من الزيوف علىٰ الناقدين؟! وكم روَّجَ من الزغل علىٰ العارفين؟! فهو الذي سحر العقول حتىٰ ألقىٰ أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزيَّن لهم عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك

---

(١) سورة الحجر الآية (٣٩).

في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالىٰ وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلىٰ الناس، وحسن الخلق معهم، والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[١] والإعراض عما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - في قالب التقليد - والاكتفاء بقول من هو أعلم منه، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس. اهـ[٢].

٢ - تسمية المعاصي بأسماء محببة:

ومن صور هذا التزيين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محببة إلىٰ النفوس لكي يخفىٰ خبثها وفحشها، فهو الذي سمَّىٰ الشجرة بشجرة الخلد ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[٣] يقول ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ: وقد ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسمّوا الخمر بأم الأفراح[٤].

فَهُم الذين يسمون الرِّبا بالفائدة، ويسمّون التبرج الفاضح بحرية المرأة، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن، ويسمون المغنية الفاسقة الفاجرة فنانة، ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفن، كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلىٰ فحشهم وخبثهم.

٣ - تسمية الطاعات بأسماء منفرة:

إن الحق تكون عليه مسحة من نور، وتعلوه إشراقة وضاءة، فلو ظل كما هو دون تشويه أو تقبيح لتهافتت إليه النفوس، وصغت إليه الأسماع وركنت إليه القلوب، ولذا كان دَوْر الشيطان الأول هو تقبيح صورة الحق، وتشويهها، وتسميته بأسماء منفرة.

فهو الذي: أوحىٰ إلىٰ أوليائه من الكفار من قوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٥].

وهو الذي: أوحىٰ إلىٰ أوليائه من كفار مدين أن يقولوا للناس: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ

---

(١) سورة المائدة الآية (١٠٥).
(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١١٠).
(٣) سوره طه الآية (١٢٠).
(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١١٢).
(٥) سورة الأعراف الاية (٦٦).

شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾(١).

وهو الذي: أوحىٰ إلىٰ أوليائه من كفار قوم فرعون بتسمية موسىٰ وهارون ساحرين: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾(٢).

وهو الذي: أوحىٰ إلىٰ أوليائه من كفار قريش بتسمية رسول الله ﷺ بالساحر، والكاهن، والشاعر، والمسحور، والمجنون وغيرها من الأسماء المنفرة: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾(٣) ولكن الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ نفىٰ كُلَّ ما نُسِبَ إلىٰ رسول الله ﷺ من زور وبهتان، فقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾(٤).

وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٥).

وهو الذي أوحىٰ إلىٰ أوليائه من كفار قريش بتسمية أتباع النبي ﷺ بالصابئين.

ومازال الشيطان يسير في نفس الخطة وبتلك الوسائل حتىٰ زماننا هذا.

فهو الذي أوحىٰ إلىٰ أوليائه بتسمية المتمسكين بهدي النبي ﷺ، والمستنين بسنته ظاهراً وباطنًا بالمتطرفين والمتعصبين.

كما يسمون البعد عن المعاصي ودور الفسق والفجور انغلاقًا، ويسمون الحجاب الشرعي خيمة، ويسمون المرأة التي التزمت بأمر ربها وجلست في بيتها رجعية، ومتخلفة، كل ذلك من وحي الشيطان إليهم.

ولكن أنادي أهل الحق: لا تجعلوا هذا يَثْني من عزمكم فتتراجعوا عن سنة نبيكم، بل ازدادوا تمسكًا وقولوا:

---

(١) سورة الأعراف الآية (٩٠).
(٢) سرة طه الآية (٦٣).
(٣) سورة الفرقان الآية (٨).
(٤) سورة الطور الآية (٢٩).
(٥) الحاقة الآية (٤١ ـ ٤٣).

لاَ تَلمـزونا يَا خَـفَـافـيشَ الدُّجَى ... بِتَطَرُّف وَتَسَـرُّع وَتَشَـدُّدِ
لا تَقْـذفُـونَـا بالشُّـذُود فَـإنَّنَا ... سِـرْنَـا عَلَى نهْج الخَـلِيلِ مُـحَـمَّـدِ
ولِكُلِّ قَـوْل نَسْـتَـبْـدلُ بآيَـة ... أوْ بالحَـديث المسْتَـقـيم المسْنَد
وَالنَّسْخَ نَعْرِفُ وَالعُمُـومَ وَإنَّنَا ... مُتَـفَطِّنُونَ لمطلق وَمُـقَـيَّـد
ونُصُـوص وحي الـله نُتْقنُ فَـهْـمَـهَـا ... لا تحسَـبُون الـفَـهْمَ كـالرَّأي الرَّدي
وإذَا تَعَارَضَت النُّصُـوصُ فَـإنَّنَا ... بأصُـول سَـادَتِنَا الأئمَّـة نَـهْـتَـدي

٤ ـ دخوله إلى النفس من أحب الأبواب إليها:

إن عدو الله لا يدخل على النفس إلا من الباب الذي تحبه وتهواه، لأنه بذلك يحقق مراده وهواها، فيجد الشيطان من النفس عونًا، ومن الهوى مددًا.

يقول ابن القيم: «وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطه، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا، أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يُخْذلُ عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مصدود». اهـ[١].

٥ ـ التدرج في الإضلال:

إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: افعل هذه المعصية أو ارتكب هذه الفاحشة. وإنما يقربه منها خطوة خطوة، وقديمًا قالوا: «نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء» وهنا يقع المحظور، فلذلك حذرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ من اتباع خطوات الشيطان فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٢).
(٢) سورة النور الآية: ٢١.

فهذا نداء شفقة ورحمة من الرءوف الرحيم إلىٰ عباده، محذّرًا لهم من اتباع طرق الشيطان ومسالكه، ومنبهًا علىٰ أنه يجب علىٰ العبد أن يغلق باب الطريق من أوله كي لا يندرج معه في الغواية والضلال.

ومن فهم مقاصد الشريعة تبين له ذلك بوضوح، فما قاعدة «سد الذرائع» إلا من هذا القبيل، وكذا تحريم الخلوة بالأجنبية وغض البصر، فكن متيقظًا أخي المسلم لخطط الشيطان وحبائله.

ويُروىٰ عن وهب بن منبه قال: كان عابد في بني إسرائيل، وكان أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث علىٰ ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها.

قال: فاجمع رأيهم علىٰ أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل - وكان ثقة في أنفسهم - فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلىٰ أن يرجعوا من غزاتهم فأبىٰ ذلك وتعوذ بالله - عز وجل - منهم، ومن أختهم.

قال: فلم يزالوا به حتىٰ أطاعهم فقال: أنزلوها في بيت حيال صومعتي، قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا، يَنزلُ إليها بالطعام من صومعته، ثم يأمرها، فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من طعام.

قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتىٰ تضعه علىٰ باب بيتها كان أعظم لأجرك قال: فلم يزل به حتىٰ مشىٰ إليها بطعامها، ووضعه علىٰ باب بيتها، ولم يكلمها قال: فلبث علىٰ هذه الحالة زمانًا.

ثم جاءه إبليس، فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه، وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتىٰ تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك: قال: فلم يزل به حتىٰ مشىٰ إليها بالطعام، ثم وضعه في بيتها، فلبث علىٰ ذلك زمانًا.

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل به حتى حدَّثها زمانًا يطلع إليها من فوق صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها، فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا زمانًا يتحدثان.

ثم جاءه إبليس، فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك، ثم جلست قريبًا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل حتى فعل، قال: فلبثا زمانًا.

ثم جاءه إبليس - عليه لعنة الله - فرغبه في الخير وفيما له عند الله - سبحانه وتعالى - من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل، فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبث ذلك حينًا.

ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت معها البيت فتحدثها، ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبَّلها فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه، ويسول له حتى وقع عليها، فأحبلها فولدت له غلامًا.

فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟! لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلي ابنها فاذبحه، وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل، فقال أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها؟! قال: خذها واذبحها وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليها صخرة عظيمة وسوى عليها، وصعد

إلىٰ صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما يشاء الله أن يمكث، حتىٰ أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوا عنها، فنعاها لهم وترحم عليها، وبكاها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتىٰ إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها، فأقاموا علىٰ قبرها أيامًا، ثم انصرفوا إلىٰ أهاليهم.

فلما جن عليهم الليل، وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم علىٰ صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أخته، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه أحبل أختكم وولدت له غلامًا فذبحه وذبحها معه فزعًا منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعًا.

وأتىٰ الأوسط في منامه فقال له: مثل ذلك، وأتىٰ أصغرهم فقال له: مثل ذلك، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأىٰ كل واحد منهم، فأقبل بعضهم علىٰ بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت الليلة عجبًا، فأخبر بعضهم بعضًا بما رأىٰ.

فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم: والله لا أمضي، حتىٰ آتي إلىٰ هذا المكان فأنظر فيه، فانطلقوا جميعًا حتىٰ أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب، وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحيْن في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما.

فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته وقُدِّم ليُصلب، فلما أوثقوه علىٰ الخشبة أتاه الشيطان، قال له: قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنك بالمرأة حتىٰ أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلّصتك مما أنت فيه، قال: فكفر العابد بالله، فلما كفر بالله - تعالىٰ - خلّىٰ الشيطان بينه وبين أصحابه، فصلبوه[1].

---

(١) تلبيس إبليس (٢٦).

قال المفسرون: في هذا وأمثاله نزلت: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[1].

هكذا خطط له الشيطان ودبّر، حتى نال منه ما يريد، وما وقع هذا العابد فيما وقع فيه إلا من جهله بمداخل الشيطان وخطواته، فلو أنه امتنع عليه من أول خطوة لرده خاسئًا.

روى ابن الجوزي بسنده إلى وهب بن منبه قال: كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام، فأراده إبليس فلم يقدر عليه، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه، فأتاه متشبهًا بالمسيح، فناداه: أيها الراهب أشرفْ عليَّ أكلمك، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري. فقال أشرف عليَّ فأنا المسيح: فقال: إن كنت المسيح فما لي إليك حاجة، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة، انطلق لشأنك فلا حاجة لي منك، فانطلق اللعين وتركه[2].

انظر إلى كلا العابدين: الأول: أضله الشيطان بسبب جهله، والثاني: عُصم من الشيطان بسبب علمه، ولذا قال النبي ﷺ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي**» رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال: حسنٌ صحيحٌ[3].

٦ ـ الصد عن الحق:

أخذ الشيطان على نفسه عهدًا، ليُضلنَّ بني آدم، وليغوينهم أجمعين إلا من اعتصم منهم بالله ـ تعالى ـ وتحصن بحصن الإخلاص، فذلك لا سبيل للشيطان إليه.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[4].

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بالصدّ عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك.

---

(١) سورة الحشر الآيتان (١٦ـ١٧). (٢) تلبيس إبليس (٢٩).

(٣) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٦٨٦) في «العلم»، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٣).

(٤) الأعراف: ١٦ـ١٧.

قال: والصراط المستقيم هو الطريق إلى الجنة . اهـ[(١)] .

قال الحكم بن عتيبة: ﴿مَنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من آخرتهم ﴿وعن أيمانهم﴾ يعني: حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم.

قال النحال: وهذا قول حسن وشرحه: أن معنى ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من دنياهم حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من آخرتهم حتى يكذبوا بها، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: في حسناتهم وأمور دينهم، ويدل على هذا قوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم، أي يتبعون الشهوات، لأنه يزينها لهم، ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: أي موحدين طائعين مظهرين الشكر . اهـ.[(٢)]

وصح عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال:

ولم يقل من فوقهم؛ لأنه علم أن الله من فوقهم.

قال قتادة: أتاك الشيطان يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله[(٣)] .

قال شقيق: «ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[(٤)] وأما من خلفي فيخوفني الضيعه على من أخلفه فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(٥)]ومن قبل يميني يأتيني من قبل النساء فأقرأ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٦)] ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[(٧)(٨)] .

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٧٥).
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٦٧).
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٣).
(٤) سورة طه آية (٨٢).
(٥) سورة هود آية (٦).
(٦) سورة الأعراف الآية (١٢٨).
(٧) سورة سبأ آيه (٥٤).
(٨) إغاثة اللهفان.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير، فإنه تارة يأخذ عن جهة يمينه، وتارة عن شماله، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها رصداً له، فإن سلكها في طاعة وجده عليها يثبطه عنها ويقطعه، أو يعوقه ويبطئه، وإن سلكها لمعصية وجده عليها حاملاً له وخادماً ومعيناً وممنياً، ولو اتفق له الهبوط إلى أسفل لأتاه هناك. اهـ[(١)].

روى الإمام أحمد، والنسائي من حديث سبرة بن أبي الفاكه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابن آدَمَ بأطْرُقه، فَقَعَدَ لَهُ بطَرِيق الإسلاَم، فَقَالَ: أتُسْلُم وتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بطريق الهجْرَة فَقَالَ: تُهَاجرُ، وتَدَعُ أرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وإنَّمَا مَثَلُ المُهَاجر كَمَثَل الفرَس في الطِّوَل فَعصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بطَرِيق الجهاد، فَقَالَ: تُجَاهدُ وَهَو جَهْد ـ أي تلف ـ النَّفْس وَالمَال، فَتُقَاتلُ فَتُقتَلُ فتُنْكَحُ المَرْأةُ ويُقَسَّمُ المَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَد فَمَنْ فَعَلَ ذَلكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ قُتلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أنْ يُدخلهُ الجَنَّةَ، وإنْ غَرقَ كَانَ حقًّا عَلَى الله أنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ، وإنْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ**»[(٢)].

٧ ـ إظهار النصح للإنسان:

إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: افعل كذا من المعاصي لكي تنال العذاب الأليم، وإنما يأتيه في صورة الناصح الأمين، وبهذه الحيلة تمكَّن من إغواء أبوينا وإخراجهما من الجنة: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[(٣)] ولذلك حذرنا الله من هذه الفتنة وتلك الحيلة قائلاً: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ﴾[(٤)].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٤).

(٢) صحيح. النسائي (٦/ ٢١، ٢٢)، في «الجهاد»، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٣) وابن حبان في «صحيحه» (١٦٠١ ـ موارد) وهو في «صحيح الجامع» (١٦٥٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (٢١). (٤) سورة الأعراف الآية (٢٧).

كما رُوي عن بعض السلف: أنه قال: إذا جاءك الشيطان في الصلاة، فقال: إنك ترائي فزدها طولاً، فلا نجاة إلا بمخالفة الشيطان ولو أظهر النصح للإنسان.

٨ ـ الاستعانة بشياطين الإنس:

إن من الناس من تخالط بشاشة الإسلام قلبه، فيقوىٰ إيمانه، ويعلو يقينه، ويخالط الإسلام لحمه ودمه، فلا يسير إلا علىٰ هديه، ولا يستضيء إلا بنوره، ولا يقتدي إلا برسوله ﷺ فهو ملتزم بالإسلام في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياته، وهذا الصِّنف من الناس ـ وهم قليل ـ يأتيهم الشيطان بكل شاردة وواردة فلا يستطيع أن يغويهم، فبعد ما تعجزه الحيل معهم يستنجد بأوليائه من شياطين الإنس ليعاونوه في تلك المهمة.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[1] فنجد الشاب إذا هداه اللَّه للالتزام بالإسلام التزامًا كاملاً والسير علىٰ نهج خير الأنام ﷺ جاءته الفتن من كل جانب تكشر عن أنيابها، فإذا استعصم بحبل الله وصبر وتغلب علىٰ شياطين الجن وانتصر عليها، جاءه أصدقاء السوء وأتراب الفسوق يثبطون من عزيمته، ويوهنون من قوته في الحق ويقولون له: «ما لك قد حرمت نفسك من متع الحياة، فلم تعد تنظر إلىٰ الفتيات الجميلات، ولا تشاهد الأفلام والمسرحيات، ولا تستمع إلىٰ الفنانين والفنانات، وتركت الحفلات والسهرات، وتركت الربا في المعاملات، وأصبحت تقول: هذا حلال وهذا من المحرمات؟! إنا نراك قد ضيعت شبابك، وفاتك كثير من اللذات...».

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٢١).

فقل لهم :

إنِّي أخَافُ منَ الضّلال وإنَّني ... أمشي علَى نَهْج الحَبيب مُحَمَّد
عزَفَتْ نَفْسي عَن الدُّنْيَا وزينتها ... ورَغبتُ فيمَا عند ربِّي الأمْجَد
ورَغبتُ عَنْ سُبُل الضَّلالة كُلِّها ... فَأنَا بغَير مُحَمَّد لا أقْتَدي
وأدعُوكَ إلَى هَذَا الطَّريق فَإنَّهُ ... طَريقُ المَجْد والهُدَى والسُّؤدُد

فربما لا يستجيب لك من أول وهلة فقل له :

إنّي رأيْتُ عَواقبَ الدُّنْيَا ... فَتَركْتُ مَا أهْوى لما أخْشَى
فَكَّرتُ في الدُّنيا وَعَالَمهَا ... فَإذَا جَميعُ أُمُورهَا تَفْنَى
ولَقَد مَرَرْتُ عَلَى القُبور فَمَا ... مَيَّزْتُ بَيْنَ العَبْد والمولى

فإن شعرت منه لينًا فزده

مَنْ كَانَ يعلمُ أنَّ الموْتَ مُدْركُهُ ... والقَبْر مَسْكَنُه والبَعْثَ مَخْرَجُهُ
وأنَّهُ بَيْنَ جنَّات ستُبْهجُهُ ... يَوْمَ القيَامَة أوْ نَار ستُنْضجُهُ
فَكُلُّ شَيْء سوَى التَّقوَى به سَمجٌ ... ومَا أقَامَ عَلَيه منْهُ أسْمَجُهُ
تَرَى الَّذي اتَّخذ الدُّنيَا لَهُ وطَنًا ... لمْ يَدْرِ أنَّ المَنَايَا سَوْفَ تُزْعجُهُ

فإن وجدته أسيرًا لغفلة فذكّرهُ بقولك !

نهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... ولَيْلُك نَومٌ والأسَى لَكَ لازمُ
تُسَرُّ بمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بالمُنَى ... كَمَا سُرَّ باللذَّات في النَّوْم حَالمُ
وَشُغْلُكَ فيمَا تَكْرَهُ غبَّهُ ... كَذَلكَ في الدُّنْيَا تَعيْشُ البَهَائمُ

فإن وجدته مغروراً بفتوته وشبابه فقل له :

نَعَمْ أنْتَ الشُّجَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أنَّ لا بَقَاءَ للإنْسَان
لَيْسَ فيمَا بَدَا لَنَا منْكَ عَيْبٌ ... كَانَ في النَّاس غَيْرُ أنَّكَ فَان

ثم ذكره بقولك:

نَسِيرُ إلَى الآجَالِ في كُلِّ سَاعَةٍ ... وأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ

ولَمْ نَرَ مِثْلَ الموْتِ حقًا كأنَّهُ ... إذا مَا تَخَطَّتْهُ الأمَانِيُّ بَاطِلُ

تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا بزَادٍ مِنَ التُّقَى ... فَعُمْرُكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ

ثم قل له ناصحًا:

يا خَادمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بخِدمَتِه ... لتطْلُبَ الرِّبْحَ مِمَّا فيْه خُسْرَانُ

أقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ واسْتَكْمِل فضَائلَهَا ... فَأنْتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنْسَانُ

فإن قبل نصحك وعمل بقولك فالحمد لله، وإن أصر على أن يأخذك معه في طريق الغواية والضلال، فاحذره فإنه من شياطين الإنس.

قال مالك بن دينار: «إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيَجُرُّني إلى المعاصي عيانًا»[1].

فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن، ونسأله سبحانه أن يقينا شرهم، ويكفينا مكرهم.

* * *

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).



١ ـ الجهل:

وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان، ولا نبالغ إذا قلنا بأن كل مداخل الشيطان منه تبدأ، عليه تعتمد وبه تقوىٰ؛ لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدها، ولا مكائده فيبطلها، ولا شباكه فيتجنبها. فيجتذبه الشيطان بسهولة، ويتغلب عليه بأدنىٰ حيلة.

كما أن الجاهل لا يعرف خير من الشر، ولا السنة من البدعة، فربما أوقعه في الشر وهو يحسب أنه الخير، وربما أوقعه في البدعة وهو يظنها سنة، وبهذا يكون من الخاسرين: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[1].

والجهل يطمس القلب ويُعمي البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان غرضًا فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات، فيُرديه قتيل الهوىٰ أسير الشهوة، فإذا وصل إلىٰ تلك الغاية اتخذه الشيطان جندًا ينشر به الفساد في الأرض، ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير من حزب الشيطان **﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[2].

ولذا قيل:

وَفي الجَـهلِ قَبْلَ الموتِ موْتٌ لأهْله ... فَأَجْسَامُهُمْ قَـبْلَ القُـبُور قُـبُورُ
وَإن امـرُؤٌ لَمْ يَحْـيَ بَالعـلمِ مَـيتٌ ... فَلَيس لَـهُ حَـتَّى النُّشُـور نُشُـورُ

ومن مداخل الشيطان علىٰ الجاهل أنه يصده عن طلب العلم، ويقول له:

(١) سورة الكهف الآية (١٠٣).
(٢) سورة المجادلة الآية (١٩).

أيجمل بك أن تجلس أمام العالم جلسة الطالب وأنت قد كبرت؟! فيرضى بالجهل.

قال أبو الحسن الماوردي: وربما امتنع الإنسان عن طلب العلم لكبر سنه، واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسومًا به وآثره على العلم أن يكون مبتدئًا به. وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان منه والابتداء بالفضيلة فضيلة، ولئن يكون شيخًا متعلمًا أولى من أن يكون شيخًا جاهلاً. اهـ[1].

وقد قيل: لئن تموت طالبًا للعلم، خير من أن تعيش قانعًا بالجهل.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك».

فإن وَجدَ من الجاهل رغبة في العلم، قال له: إن تعلمت العلم ولم تعمل به كان حجة عليك، فأجمل بك أن لا تتعلمه لكي تخفّ مؤنتك ويقوىٰ عذرك، وما علم المسكين أن العلم هو الذي يكشف عنه تلك الظلم، ويزيح عنه تلك المحن، فهو المرشد والمعين، كما قال أحد العلماء: «طلبنا العلم لغير الله، فأبىٰ العلم أن يكون إلا الله».

وقال رجل لأبي هريرة: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال: كفىٰ بترك العلم إضاعة.

ومن العجب أن الشيطان يخيل لبعض الجهال أنه عالم، وهذا منتهىٰ التلبيس وقمة الغرور، وقد قسم الخليل بن أحمد الناس من حيث العلم إلىٰ أربعة أقسام فقال: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالمٌ فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناسٍ فذكِّروه، ورجل لا يدري ويدري

---

(1) أدب الدنيا والدين (٢٦).

أنه لا يدري فذلك مسترشدٌ فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهلٌ فارفضوه.

وقال أبو القاسم الآمدي:

إذا كُنت لا تدري ولم تكُ بالذي يُسائلُ من يدري فكيف إذًا تدري
جَهلتَ ولَمْ تَعْلَمْ بأنك جاهلٌ فَمَنْ لي بأنْ تَدْري بأنَّكَ لاَ تَدْرَي
إذا جئْتَ في كلِّ الأمُور بغُمّة فكُنْ هكَذَا أرْضًا يدُسك الذي يَدْري
ومن أعْجَب الأشياء أنّك لاَ تَدْري وأنّك لا تدري بأنّك لا تدري

ومداخل الشيطان على الجاهل كثيرة لا نستطيع إحصاءها، ويكفيك أن تعرف أن كل المداخل منها تتفرع.

٢ ـ الغضب:

الغضب من مداخل الشيطان الكبرى ومكائده العظمى؛ لأن الشيطان يلعب بالغضبان كما يلعب الأطفال بالكرة، والمشاهدة أكبر دليل على ذلك.

يقول أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «يتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستوى على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بها، وتسود عليه الدنيا بأسرها، ويكون دماغه مثل الكهف الذي اضطرمت فيه نار فاسود جوّه وحمي مستقره وامتلأت بالدخان جوانبه، وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظًا.

ومن آثار هذا الغضب في الظاهر: تغير اللون وشدة ارتعاد الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمر الأحداق، وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته، لسكن غضبه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، هذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام، الذي يستحيي منه ذو العقل، ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ .

وأما أثره على الأعضاء : فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه، أو فاته بسبب، وعجز عن التشفي ؛ رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوبه، ولطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض، وقد يضرب الجمادات ويتعاطى أفعال المجانين .

أما أثره في القلب مع المغضوب عليه : فالحقد، والحسد، وإضمار السوء، والشماتة بالمسيئات، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر وهتك الستر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح . اهـ. ملخصاً[١] .

وكلما فتر الغضب أثاره الشيطان بمثل قوله هو مستهزئ بك : لابد أن تنتقم، وغير ذلك مما يثير الغضب، ومن هنا وجب على المسلم العاقل أن يغلب شيطانه ويكظم غيظه ويلتمس العذر لغيره .

روى البزار عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر على قوم يصطرعون فقال : «**مَا هَذَا؟**» قالوا : فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه، قال : «**أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟ رَجُلٌ كَلَّمهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ وغَلب شَيْطانَه وَغَلَبَ شَيْطَانَ صَاحِبِهُ**» قال الحافظ : سنده حسن[٢] .

فالقوة الحقيقية هي التحكم في النفس عند الغضب، فلا ينطق بسوء ولا يتلفظ بفحش، ولا يمضي غيظه، كما قال النبي ﷺ : «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَة، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الذي يَمْلكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣] .

(١) الإحياء (٦٤٣).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٥١٩).
(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٦١١٤) في «الأدب»، باب: الحذر من الغضب، ومسلم رقم (٢٦٠٩) في «البر والصلة»، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب.

و(الصُّرعة) بضم الصاد وفتح الراء: الذي يصرع الناس ويغلبهم، وهو المقصود هنا. «وأما الصُّرْعة» بسكون الراء فهو الضعيف الذي يصرعه الناس ويغلبونه. ولذلك رغب النبي ﷺ في كظم الغيظ وترك الغضب، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: «دُلني على عمل يدخلني الجنة» قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الجَنَّةُ**»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني ؟ قال: «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال: «**لاَ تَغْضَبْ**»[٢] رواه البخاري، وزاد أحمد في رواية: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ما قال: فإذا الغضب يجمع الشر كله.

وعن عبد الله بن عمرو قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: ماذا يباعدني من غضب الله؟ قال ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ**» قال الحافظ العراقي: رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق»، وابن عبد البر في «التمهيد» بإسناد حسن[٣] .

ولا يمكن لآدمي معتدل الخُلُق أن يتخلىٰ عن غريزة الغضب التي عليها جُبل وبها طبع، ولكن عليه أن يقطع الآثار المهيجة للغضب كعزة النفس والكبر وغير ذلك.

قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فقال عمر: أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا، انصرف رحمك الله[٤] .

---

(١) صحيح: قال الحافظ المنذري رواه الطبري بإسنادين أحدهما صحيح [الترغيب: ٥/ ١١٥] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧٤) وعزاه لابن أبي الدنيا والطبراني.

(٢) البخاري: رقم (٦١١٦) في «الأدب»، باب الحذر من الغضب، والترمذي (٢٠٢١) في «البر والصلة»، باب: ما جاء في كثرة الغضب، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٦) في «حسن الخلق» وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢، ٤٦٦).

(٣) حسن: أخرجه أحمد في «المسند»، (٢/ ١٧٥)، وفيه ابن لهيعة، وهو لين الحديث وبقية رجاله ثقات وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٧٤٧).

(٤) أدب الدنيا والدين (٢٣٣).

تسكين الغضب:

فإذا غضب فعليه أن يُسكن غضبه، ويهدئ من ثورته، وذلك بعدة أمور:

الأول: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فعن سليمان بن صُرد رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب، ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إنِّي لأعْلَمُ كَلمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهبَ عَنْهُ مَا يَجدُ: أعُوذُ بالله منَ الشَّيْطَان الرَّجيم**» فقام إلى الرجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: هل تدري ما قال رسول الله ﷺ آنفًا؟ قال: لا، قال: «**إنِّي لأعْلَم كَلمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ عنه مَا يَجدُ: أَعُوذُ بالله منَ الشَّيْطَان الرَّجيم**» فقال الرجل: أمجنون تراني[١]؟!

الثاني: أن يتذكر ثواب كظم الغيظ وأجره العظيم، فيكظم غيظه رغبة فيما عند الله تعالى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا منْ جُرْعَة أعْظَمُ أجرًا عنْدَ الله منْ جُرْعَة غَيْظ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتغَاءَ وَجْه الله**»[٢]. رواه ابن ماجه قال المنذري: ورواته محتج بهم في الصحيح.

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه كلهم من طريق عبد الرحيم بن ميمون عن سهل بن معاذ عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادرٌ عَلَى أنْ يُنْفذَهُ، دَعَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رءوس الخَلائق حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ منَ الحُور العين مَا شَاءَ**»[٣].

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٦٠٤٨) في «الأدب»، باب: ما ينهى من السباب واللعن، ومسلم رقم (٢٦١٠) في «البر والصلة»، باب، فضل من يملك نفسه عند الغضب.

(٢) صحيح: ابن ماجه رقم (٤١٨٩) في «الزهد»، باب الحلم، قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٣) حسن: أبو داود، (٤٧٧٧) في «الأدب»، باب: من كظم غيظًا، الترمذي (٢٠٢١) في «البر والصلة» وابن ماجه (٤١٨٦) في «الزهد»، وأخرجه أحمد في «المسند»، (٣/٤٣٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٨).

الثـالث: أن يسكن؛ لأنه يكون أقرب إلىٰ الخطأ في هذه الحالة فالسكوت أسلم كما قيل:

إذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلاَ تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إجَابَتِه السُّكُوتُ
سَكَتُّ عَن السَّفِيهِ فَظَنَّ أنِّي عَيِيتُ عَن الجَوَاب وَمَا عَيِيتُ

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمن بالله واليَوْمِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ ليَصْمُتْ**»(١).

وروىٰ أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**إذَا غضبَ أحَدُكُمْ فليسْكُتْ**»(٢).

الرابـع: أن يجلس، أو يضطجع، لما رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، عن أبي ذر مرفوعًا: «**إذَا غَضِبَ أحَدُكُم وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ، وإلاَّ فَلْيَضْطَجعْ**»(٣).

الخـامس: أن يتفكر في قبح منظره عند الغضب، فإن هذا مما يسكنه، أما أحاديث الوضوء عند الغضب فلا يصح منها شيء، فيما أعلم.

السـادس: أن يتذكر جزاء الصفح وثوابه عند الله ـ تعالىٰ ـ فيدفعه ذلك إلىٰ تحمل جهل الجاهل وسفه السفيه ابتغاء مرضات الله وما عنده من الثواب العظيم.

قال تعالىٰ في صفة المتقين: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٤) فالمسلم عندما يكظم غيظه يضع نفسه في عداد المتقين، فإذا عفا

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٠١٩) في «الأدب»، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومسلم رقم (٤٨) في «الإيمان»، باب الحث علىٰ إكرام الجار.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٩) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر وهو في «صحيح الجامع» (٦٩٣).

(٣) **صحيح**: أبو داود (٤٧٨٢) في «الأدب»، باب ما يقال عند الغضب، ابن حبان في «صحيحه» (١٩٧٠) «موارد» وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٢) وهو في «صحيح الجامع» (٦٩٣).

(٤) سورة آل عمران: (١٣٤).

وسامح ارتفع إلىٰ درجة المحسنين.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله تعالىٰ: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن**﴾ [فصلت: ٣٤]: الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله وخضع لهم عدوهم. ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به[١].

ورُوي عن الحسن البصري: أنه قال: من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكَيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنىٰ، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وصبر في شدة، ولا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقتصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل، ولا يبذر، ولا يسرف، ولا يقتر، يغفر إذا ظلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء، والناس منه في رخاء.

السابع: أن يترفَّع بنفسه عن السباب، والقذف، واللعن، والشتم؛ لأن ذلك من صفات السفيه.

كما روي عن سلمان أنه قال لَمَّا شتمه رجل: إن خفَّت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

ورُوي أن رجلاً سب أبا بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر: ما ستر الله عنك أكثر.

ورُوي أن امرأة قالت لمالك بن دينار: يا مراء فقال: ما عرفني غيرك.

وروي عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدىٰ ثلاث: إن كان أعلىٰ مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه.

---

(١) رواه البخاري - كتاب التفسير - سورة فصلت.

فأخذه الخليل فنظمه شعرًا:

سألزم نفسي الصفحَ عَنْ كُلِّ مُذنب ... وإنْ كثُرتْ منهُ إليَّ الجرائمُ
فما النّاسُ إلا واحدٌ منْ ثلاثة ... شريفٌ ومشْرُوفٌ ومثْلٌ مقاوِمُ
فأمّا الّذي فوْقي فأعْرفُ قدْرهُ ... وأتْبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازِمُ
وأمّا الّذي دُوني فأحْلُمُ دائبًا ... أصُونُ به عرْضي وإن لام لائمُ
وأمّا الّذي مثْلي فإنْ زلّ أوْ هفا ... تفضّلتُ، إنّ الفضْلَ بالفخرِ حاكمُ

وقال بعضهم:

وفي الحلْمِ ردْعٌ للسّفيه عن الأذى ... وفي الخرق إغْراءٌ فلا تكُ أخْرقا
فتنْدمَ إذْ لا ينْفعُكَ ندامةٌ ... كما ندمَ المغْبُونُ لمّا تفرّقا

وقال غيره:

أحبُّ مكارمَ الأخْلاق جهْدي ... وأكْرهُ أنْ أعيبَ وأنْ أعابا
وأصْفحُ عنْ سبابِ النّاسِ حلْمًا ... وشرُّ الناسِ منْ يهْوى السِّبابا
ومَنْ هابَ الرِّجالَ تهيّبُوهُ ... ومنْ حقرَ الرِّجالَ فلَنْ يُهابا

واعلم أن الغضب نوعان: إما أن يكون الغضب للنفس وهذا مذموم، وقد تقدم بيانه، وإما أن يكون لله وهذا محمود بل مندوب، فقد كان النبي ﷺ وهو الرءوف الرحيم إذا ما رأى مخالفة شرعية غضب، واحمرَّ وجهه، ولم يسكت، حتى يغيرها.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ: وفي بيتي قرام - أي ستر - فيه صورة فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال: «**مِنْ أشدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الذِينَ يُصَوِّرُون هَذه الصّوَرَ**»(١).

ورأى رسول الله ﷺ في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده وتغيظ وقال: «إنَّ

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٦١٠٩) في «الأدب»، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ومسلم (٢١٠٧) في «اللباس والزينة»، باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاة، فَإِنَّ اللهَ حيَال وَجْهِه، فَلاَ يَتَنَخَّمَنَّ حيَالَ وَجْهه فِي الصَّلاَة»(١) ، ومن هنا يتبين لنا أن رسول الله ﷺ كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

٣ ـ حب الدنيا:

لقد زين الشيطان الدنيا وزخرفها في قلوب كثير من الناس، فركنوا إليها واطمأنوا بها، بل وعضوا عليها بنواجذهم، ونشبوا فيها أظفارهم، ففيها يعادون، وعليها يتنافسون، ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون، ونفذ فيهم إبليس خطته حيث قال: ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢) ويا أسفاه لقد اتبعوه وأطاعوه إلا من اعتصم بالله ولجأ إليه، ورمى الدنيا خلف ظهره: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) .

ولو عرف الناس حقيقة الدنيا ما أقاموا لها وزنًا، ولا جعلوا لها في قلوبهم مكانًا، ولا على ألسنتهم ذكرًا، والله خالقها قد بيّن حقيقتها فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٤) .

فالحياة لعب ولهو وزينة، والعاقل من جعلها مزرعة للآخرة، ولذلك نادانا الله تعالى بعد هذه الآية قائلاً: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾(٥) وكما حذرنا الله من الدنيا حذرنا منها رسول الله ﷺ أيضًا.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول ﷺ الله قال: «إِنَّ الدُّنْيَا

(١) متفق عليه: البخاري (٦١١١) في «الأدب»، باب ما يجوز من الغضب، ومسلم رقم (٥٤٧) في «المساجد»، باب النهي عن البصاق في المسجد.
(٢) سورة الحجر الآية (٣٩).
(٣) سورة سبأ الآية (٢٠).
(٤) سورة الحديد الآية (٢٠).
(٥) سورة الحديد الآية (٢١).

حُلوةٌ خضـرة، وإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفَكُمْ فِـيهَا، فَـيَنْظرَ كَيْفَ تَعْـمَلُونَ، فَاتقـوُا الدّنْيَا، واتْقُوا النِّسَاء»[١] .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ،وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّـهُم اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَـمّد قُوتًا»[٣] وفي رواية: «كَفَـافًا» رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ .

قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَـالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابن آدَمَ مِنْ مَالكَ إِلاَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أوَ تَصَدَّقْتَ فَأَمضَيْتَ؟»[٤] .

وعن جـابر رضي الله عنه: أن رسـول الله ﷺ مَـرَّ بالسـوق، والناس كنَفَتَه، فَمرَّ بجدي أسك مَيّت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكُمْ يُـحبّ أَنّ هَذَا لَه بدرهَم؟» فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال: «أتُحبّون أنّهُ لَكُمْ؟» قَالوا: والله لو كان حيًا لكان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: «فوَ الله لَلدّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله ـ عزّ وجَلْ ـ مِنْ هَذَا عَلَيْكُم»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدُّنْيَا

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) في «الذكر والدعاء»، باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٠٥٤) في «الزكاة»، باب الكفاف والقناعة، والترمذي رقم (٢٣٤٩) في «الزهد»، باب ما جاء في الكفاف، وابن ماجه (٤١٣٨)، في «الزهد»، باب القناعة، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٨، ١٧٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٣).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٦٠) في «الرقاق»، باب: كيف كان يعيش النبي ﷺ، ومسلم (١٠٥٥) في «الزكاة»، باب: في الكفاف والقناعة.

(٤) رواه مسلم، رقم (٢٩٥٨) في «الزهد» في فاتحته.

(٥) رواه مسلم، رقم (٢٩٥٧) في «الزهد» في فاتحته، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٥).

مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَـا فيهَا، إلاَّ ذكرَ الله وَمَا وَالاَهُ، وَعَـالمٌ أوْ مُتَعَلّمٌ»(١) رواه ابن مـاجـه والبيهقي والترمذي.

وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فوَالله مَا الفقْرَ أخْشَى عَلَيكُمْ ولَكنْ أخْشَى أنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَـمَا بُسطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فتُهْلككُم كَمَا أهْلَكَتْهُمْ**»(٢) رواه البخاري ومسلم.

ولقد طغىٰ حب الدنيا في قلوب بعض الناس حتىٰ عبدوها من دون الله!!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تَعسَ عَبْدُ الدِّينَار، وَعَبْدُ الدِّرْهَم، وَعَبْدُ الخَميصَة، إنْ أُعْطيَ رَضيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ سخطَ**»(٣).

ولو عرفوا قيمتها بالنسبة للآخرة لرفضوها وطلبوا الآخرة.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا الدّنْيا في الآخرَة إلاّ مثْلُ مَـا يَجْعَل أحَدُكمْ إصْبَعَهُ هَذه في اليَمِّ**». وأشار يحيىٰ بن يحيىٰ بالسبَّابة، «**فلينْظر أحَدُكُمْ بمَ يَرْجع؟**»(٤).

وفي «صحيح البخاري» عن سهل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَوْضعُ سَوْط في الجنة خَير منَ الدُّنْيا وَمَا فيهَا، ولَغدْوَةٌ في سَبيل الله أوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ منْ الدُّنْيَا وما فيهَا**»(٥).

وَرُوي عن الحسن البصري أنه قال: رحم الله أقوامًا، كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلىٰ من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافًا.

وقال أيضًا ـ رحمه الله ـ: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره، ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: من جُمعَ فيه

---

(١) حسن: الترمذي (٢٣٢٢)، في الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا، وابن ماجه (٤١١٢)، في «الزهد»، باب مثل الدنيا وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤١٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣١٥٨)، في «الجزية والموادعة» باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ومسلم رقم (٢٩٦١) في الزهد في فاتحته.

(٣) صحيح: رواه البخاري رقم (٢٨٨٧) في «الجهاد والسير»، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله.

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٨٥٨) في «الجنة»، باب: فناء الدنيا.

(٥) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٤١٥) في «الرقاق»، باب: مثل الدنيا في الآخرة، وروىٰ آخره مسلم رقم (١٨٨٠) في «الإمارة»، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله.

ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا، ولا عن النار مهربًا: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

وقال أيضًا في وصف الدنيا: هي دارٌ من صح فيها سقم، ومن أمِنَ فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب.

وقال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همُّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هَم الدنيا من قلبك.

وقال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذَهبتْ إلى ذا أو ذهبت إلى ذا.

وقال بعضهم: يا بن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوفت بعملك كأن منفعته إلى غيرك.

وقال الحسن: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه.

وقال أبو سليمان: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة.

وقال مالك بن دينار: اصطلحنا على حبِّ الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضًا، ولا ينهى بعضنا بعضًا، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري! أي عذاب الله ينزل علينا؟!

وقال الشافعي رحمة الله عليه: الدنيا دار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر

مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله وارضَ برزق الله، لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك، فإن عيشك ظل زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، واقصر من أملك.

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: أوصيكم بتقوى الله، والترك للدنيا التاركة لكم إن كنتم لا تحبون تركها، المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقًا وكأنهم قد قطعوه، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع، ولا تمرحوا لمتاعها ونعمائها فإنها إلى زوال، عجيب لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وقد قيل:

نَسِيرُ إلَى الآجَالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَأيَّامُنَا تَمْضِي وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأنَّهُ ... إذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأمَانِيُّ بَاطِلُ
وَمَا أقْبَحَ التَّفْرِيطَ في زَمَنِ الصِّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ للرَّأسِ شَاغِلُ
تَرَحَّلْ من الدُّنْيَا بزَادٍ منَ التُّقَى ... فَعُمْرُكَ أيَّامٌ وَهُنَّ قَلائِلُ

وقال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ:

اغْتَنِم فِي الفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسَى أنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَة
كَمْ منْ صَحِيحٍ مَاتَ منْ غَيْرِ سَقَمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَة[1]

وقيل أيضًا:

ألا إنَّمَا الدُّنْيَا كَأحْلامِ نَائِمٍ ... وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لاَ يَكُونُ بِدَائِمِ
تَأمَّلْ إذَا مَا نِلْتَ بالأمْسِ لَذَّةً ... فَأفْنَيْتَهَا هَلْ أنْتَ إلا كَحَالِمِ!

واعلم أن حب الدنيا إذا طغى على القلب، فتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو:

٤ ـ طول الأمل:

فإن العبد إذا طال أمله سوَّف في عمله، وعمَّرَ دنياه، وخرَّب أخراه.

(١) انظر هدي الساري (٤٨١).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**لاَ يَزَالُ قَلبُ الكَبِيرِ شَابًا في اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وطَولِ الأمل**»[١].

قال البخاري: قال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. هكذا رواه معلقًا[٢].

وقد قيل:

إنَّا لنَفْرَح بالأيَّام نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْم مضَى يُدْني منَ الأجَلِ
فَاعْمَلْ لنَفْسكَ قَبْل المَوْت مُجتَهداً ... فَإنَّمَا الرِّبْحُ وَالخُسْرَانُ في العَمَل

وقيل أيضًا:

مَضَى أمْسُكَ المَاضي شَهيداً مُعَدَّلا ... وَأعْقَبَهُ يَوْمٌ عَلَيْكَ جَدِيدُ
فَإنْ كُنْتَ بالأمْس اقْتَرَفْتَ إسَاءةً ... فَثَنِّ بإحْسَان وَأنْتَ حَميدُ
فَيَوْمُكَ إنْ أعْقَبْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ ... عَلَيْكَ وَمَاضي الأمْسِ لَيْس يَعُودُ
ولا تُرج[٣] فعْلَ الخَيْرِ يَوْمًا إلَى غَد ... لَعَلَّ غَدًا يأتي، وَأنْتَ فَقِيدُ

وقال الحسن البصري: نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلتك.

وقال الجاحظ: وُجد مكتوبًا في حجر: يا بن آدم، لو أريت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلّت بك قدمك، أسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٢٠) في «الرقاق»، باب من بلغ ستين سنة، ومسلم رقم (١٠٤٦) في «الزكاة»، باب كراهة الحرص على الدنيا.
(٢) فتح الباري (١١/ ٢٣٥).
(٣) الإرجاء: التأخير.
(٤) أدب الدنيا والدين (١٠٢).

وقال بعضهم:

ألا إنَّمـــا الدنيـــا مَـــقـــيلٌ لـراكب قَـــضَى وَطَـــرًا منْ مَنْزِل ثُمَّ هَـجَّـــرا
فَــــراحَ ولاَ يَدْري عَـــلامَ قُـدُومُـــهُ ألا كُلُّ مَـــا قَـدَّمْتَ يَبْقَـى مُـوَفَّـــرا

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[(١)] .

ففي هذا الحديث بين لنا رسول الله ﷺ أن المسلم في الدنيا غريب عن وطنه الأصلي، ألا وهو الجنة التي أخرج أبوه آدم منها فلابد أن يجتهد ليعود إليه.

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم - رحمه الله:

فَـحَيِّ عَلَى جَنَّات عَـدْن فَـــإنَّهَـا مَنَـازِلُكَ الأولَى وَفـيـهَـا المُخَـيَّـمُ
ولَكِنَّنَا سَبْيُ العَــــــدو فَهَل تُرَى نَعُـــــودُ إلَى أوْطَانِنا وَنَسْلَمُ
وَقَـدْ زَعَـمُـوا أنَّ الغَــــرِيبَ إذَا نَأى وَشَطَتْ به أوْطَانُـهُ فَـهْـــوَ مُـغْـــرَمُ
وأيُّ اغْـتَـراب فَـوْقَ غُـــرْبَتِنَا الَّتِي لَهَـا أضْـحَت الأعْـدَاءُ فـينَا تَحَكَّمُ[(٢)]

وكان عطاء السُّلمي يقول في دعائه: اللَّهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غداً بين يديك.

وقال بعضهم:

سَبِـيلُكَ فِي الدُّنْيَا سَبِـيلُ مُسَـافِرِ وَلاَبُدَّ منْ زَاد لِكُلِّ مُسَــــافِرِ
وَلاَبُدَّ للإنْسَـــانِ منْ حَـمْلِ عُـدَّةٍ ولا سيَّـمَـاً إنْ خَافَ صَـوْلَةَ قَـاهِرِ

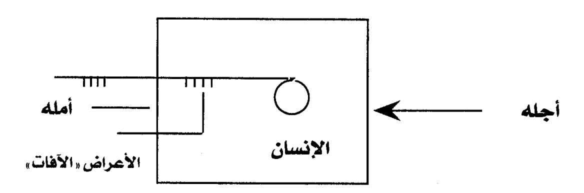
وروى الحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خمسًا قَبلَ خمسٍ: شَبَابَكَ قَبلَ هرَمكَ، وصِحَّتكَ قَبلَ سقَمِكَ، وَغنَاكَ قَبلَ فَقْرِكَ

(١) رواه البخاري: رقم (٦٤١٦) في «الرقاق»، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب..».
(٢) حادي الأرواح (٨).

وَفَرَاغَكَ قَبلَ شُغلكَ، وَحَيَاتَك قَبلَ مَوتكَ» قال الحافظ : وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» بسند صحيح، من مرسل عمرو بن ميمون[1] .

وهذا رسول الله ﷺ بيَّن للصحابة قصر أجل الإنسان، مع طول أمله مستعينًا في ذلك بالرسم الهندسي . ففي «صحيح البخاري» [2] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خُطُطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «**هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا ، اجله محيطٌ به ـ أوَ قد أحَاطَ به ـ وَهَذَا الذي هُوَ خَارِجٌ أَملُهُ، وَهَذه الخطط الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**».

قال الحافظ : وهذه[3] صفته .



فإياك أخي المسلم وطولَ الأمل، فإنه يورث سوءَ العمل، بل ويفتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو :

٥ ـ الحرص:

والحرص مفسدة للدين أي مفسدة؟! فعن كعب بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**مَا ذئْبَانِ جَائعَانِ أرسلاَ فِي غَنَمٍ بأَفْسَدَ لَهَا منْ حرْصِ المَرْءِ**

(١) فتح الباري (١١/ ٢٣٥) وهو في «صحيح الجامع» برقم (١٠٧٧) .
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٤١٧) في «الرقاق»، باب : في الأمل وطوله .
(٣) فتح الباري (١١/ ٢٣٧) .

عَلَى المَال وَالشَّرف لدينه»(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وصححه ابن حبان.

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّ لكُلِّ أُمَّة فتْنَةً، وَفتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»**(٢).

وقد قيل:

حَتَّى مَتَى أنَا في حِلٍّ وَتَرْحَال ... وَطُول سَعْيٍ وَإِدْبَار وَإِقْبَال
وَنَازحُ الدَّار لا أبقيكَ مُغْتَربًا ... عَن الأَحبَّة لا يَدْرُونَ مَا حَالي
بمَشْرِق الأرْض طَوْرًا ثُمَّ مَغْربها ... لاَ يَخْطُرُ المْوتُ منْ حرْصي عَلَى بَالي
وَلَوْ قَنَعْت أتَاني الرِّزْقُ في دَعَة ... إنَّ القَنُوعَ الغنَى لاَ كَثْرَةُ المَال

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **«لَيْس الغنَى عَنْ كَثْرَة العَرَض، ولَكنَّ الغنَى غنَى النَّفْس»**(٣).

قال القرطبي(٤): معنى الحديث أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفّت عن المطامع فعزت، وعظمت، وحصل لها من الحظوة، والنزاهة، والشرف، والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه؛ فإنه يورطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصْغُر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل. والحاصل: أن المتصف بغنى

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٣٦٧) في «الزهد»، باب (٤٣)، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠) وهو في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٢٣٦) في «الزهد»، باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٨) وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٩٢).

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٤٤٦) في «الرقاق»، باب: الغني غني النفس، ومسلم رقم (١٠٥١) في «الزكاة»، باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(٤) القرطبي هذا هو صاحب المفهم في شرح صحيح مسلم، وهو شيخ القرطبي صاحب التفسير.

النفس يكون قانعًا بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أُعْطي، بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني.

ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله ـ تعالى ـ والتسليم لأمره ـ علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب، وما أحسن قول القائل:

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ ... فَإِنْ زَادَ شيئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقرًا

اهـ(١)

وقد قيل:

أَرَاكَ يَزِيدُكَ الإِثْرَاءُ حِرْصًا ... عَلَى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ لاَ تَمُوتُ
فَهَلْ لَكَ غَايَةٌ إِنْ صِرْتَ يَوْمًا ... إِلَيْهَا قُلْتَ: حَسْبِي قَدْ رَضِيتُ

فإياك أخي المسلم والحرص، فإنه يذهب الدين والشرف معًا، ويفتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو:

٦ ـ البخل:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) فالشيطان يخوف الإنسان من الفقر كي لا ينفق مما في يده في سبيل الله ويخيل إليه أنه إذا أنفق افتقر واحتاج، ولكن الله يُطمئن كل مؤمن موقن بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ مبينًا أن فضل الله لا منتهى له، ورزق الله لا حد له، وخزائنه ملأى لا تنفد أبدًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ

(١) فتح الباري (١١/ ٢٧٢).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٦٨).

يُؤَدِّ زكاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالهُ يَوْم القيامَة شُجَاعًا أقْرَعَ لَهُ زَبيبتَان، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القيامَة ثُمَّ يَأخُذُ بلهزمتَيْه - يَعْنِي بِشَدْقَيْه - ثُمَّ يَقُولُ: أنَا مَالُكَ، أنَا كَنْزُكَ» ثُمَّ تَلاَ النَّبيُّ ﷺ هذه الآيــة: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠](١).

ولقد بين الله - تبارك وتعالىٰ - أن الفوز والفلاح في ترك البخل والشح فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَان يَنْزلاَن، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ، اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٢).

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا عَبْدي أنْفقْ أنْفقْ عَلَيْكَ وَقَالَ: يَدُ الله مَلأى لاَ تَغيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْل وَالنَّهَار، أرَأيْتُم مَا أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّموات وَالأرْضَ؟!، فإنَّهُ لَمْ يَغضْ مَا بيَده، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءَ، وَبيَده الميزَانُ يَخفضُ ويَرفعُ»(٣).

رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَا بن آدَم، إنَّكَ إنْ تَبْذُل الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وإنْ تُمْسكهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَاف، وَابْدَأ بمَنْ تَعُولَ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ من اليَد السُّفْلَى»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (١٤٠٣) في «الزكاة»، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٤٤٢) في «الزكاة»، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿فأما من أعطىٰ واتقىٰ﴾، ومسلم رقم (١٠١٠) في الزكاة، باب: في المنفق والممسك.

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٦٨٤) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وكان عرشه علىٰ الماء﴾ ومسلم رقم (٩٩٣) في «الزكاة»، باب الحث علىٰ النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٠٣٦)، في الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلىٰ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَيُّكُمْ مَالُ وارثه أَحَبُّ إلَيْهِ منْ مَاله؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا منَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إلَيْه منْ مَالَ وارثه، قَالَ: «فَإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، ومَالَ وَارثه مَا أخَّرَ»[١] رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْن، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرآنَ فَهُوَ يَقومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَار، ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهوَ يُنْفقُ منْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَار»[٢].

والمراد بالحسد هنا الغبطة، وهي تمنّي مثل ذلك، وهذا لا بأس به، بل ربما يكون طاعة، أما الحسد المذموم فهو تمنّي زوال النعمة وهو حرام.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «إذَا أَنْفَقَت المَرأةُ منْ طَعَام بَيْتهَا غَيْرَ مُفْسدَة كَانَ لَهَا أجْرُهَا بمَا أنْفَقَتْ، ولزَوجهَا أجرُهُ، وللخَادم مثْلُ ذَلكَ، لا ينْقُصُ بَعضُهُمْ منْ أجْر بَعض شَيْئًا»[٣].

٧ ـ الكبر:

الكبر من مداخل الشيطان، وبه يستذل الإنسان، ويحمله على رد الحق، والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ولا حقيقة ربه، لأنه لو عرف نفسه حق المعرفة لعلم أنه كان نطفة تشمئز منها النفس، ثم علقة ثم مضغة، ثم كان مولودًا صغيرًا ضعيفًا فعلام التكبر؟!

ولما كان الكبر داءً مهلكًا، حذَّر الله ـ تعالى ـ منه فقال سبحانه ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٤] وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[٥].

وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٦] وقال: ﴿كَذَلِكَ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٤٤٢) في «الرقاق»، باب: ما قدم من ماله فهو له.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٠٢٥) في «فضائل القرآن»، باب: اغتباط صاحب القرآن، مسلم رقم (٨١٥) في صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن.

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٠٦٥) في «البيوع»، باب: قول الله تعالى: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ ومسلم رقم (١٠٢٤) في «الزكاة»، باب: أجر الخازن الأمين.

(٤) سورة الإسراء الآية (٣٧). (٥) سورة النساء الآية (٣٦). (٦) سورة الأعراف الآية (١٤٦).

يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١] والآيات في ذلك كثيرة.

وحذر النبي ﷺ من الكبر أيضًا وبين أن عاقبته وخيمة فقال: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مثقَالُ ذَرَّةٍ منْ كِبْرٍ**»[٢].

وقال النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: العزّ إزَارِي، والكبرياءُ رِدَائي، فَمَنْ نَازَعنِي شَيْئًا منْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[٣] رواه مسلم.

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألاَ أخبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّار؟! كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِر**»[٤] متفق عليه، و(العُتُل): هو الغليظ الجافي، و(الجَوَّاظ): هو الضخم المختال في مشيته.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّت الجَنَّةُ وَالنَّارُ فقالت النَّارُ: يَدْخُلُني الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرون، وَقَالَت الجَنَّةُ: يدْخُلُني الضُعَفَاءُ وَالمَسَاكينُ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهمَا: إنَّك الجَنَّةُ رَحْمَتي أرْحَمُ بك مَنْ أشَاءُ، وَإنَّك النَّارُ عَذَابي أَعذّبُ بك مَنْ أشَاءُ وَلكُلٍّ وَاحَدة منْكُمَا ملْؤُهَا**»[٥] رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلّمهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامَة ولاَ يُزَكّيهم ولاَ ينظر إليهمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ: شَيْخٌ زَان، وَمَلكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكبِرٌ**»[٦] رواه مسلم، والعائل: هو الفقير.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ ممَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَجُرُّ إزارَهُ منَ الخُيَلاَء خُسفَ به، فَهُوَ يتجَلْجَلُ في الأرْض إلى يَوْم القيَامَة**»[٧] رواه البخاري والنسائي. و«الخُيَلاَء» هو الكبر والعجب،

---

(١) سورة غافر الآية (٣٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٩١) في «الإيمان» باب: تحريم الكبر.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٢٠) في «البر والصلة»، باب: تحريم الكبر.

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٤٩١٨) في «التفسير»، باب: «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلك زنيم» ومسلم رقم (٢٨٥٣) في «الجنة»، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٨٤٦) في «الجنة وصفة نعيمها».

(٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٠٧) في «الإيمان»، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.

(٧) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٤٨٥) في «أحاديث الأنبياء»، باب: (٥٤) والنسائي (٨/ ٢٠٦).

و«**يتجلجل**»: أي يغوص وينزل فيها .

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليه يوْمَ القيَامَة**»[(١)] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : «**مَن كَانَ في قَلْبِه مثْقَال حَبَّة مَنْ خَرْدل منْ كبْر، أكَبَّه اللـه عَلَى وَجْهه في النَّار**» رواه أحمد، والبيهقي في «الشعب»، وقال الحافظ العراقي : إسناده صحيح[(٢)] .

وقال رسول الله ﷺ : «**يَخْرجُ منَ النَّار عُنُقٌ لَهُ أذنَان تَسْمَعَان، وَعَيْنَان تُبْصران، وَلسانٌ يَنْطقُ، يَقُولُ، وكِّلْتُ بثَلاثَة، بكُلِّ جَبَّار عَنيد، وبكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ الله إلَهًا آخَرَ، وبالمُصَوِّرين**»[(٣)] .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله : العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين، ثم يعارض جبار السموات .

وقال النعمان بن بشير على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله واتباع الهوىٰ في غير ذات الله .

ورُوي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلىٰ المهلب بن أبي صفرة، وعليه حُلة يسحبها، ويمشي الخيلاء، فقال : يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب : أما تعرفني ؟! فقال : بل أعرفك، أوَّلك نطفة مذرة، وآخرُك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة، فترك

(١) **متفق عليه:** البخاري (٣٦٦٥) في «فضائل الصحابة»، باب : قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذًا خليلاً» ومسلم رقم (٢٠٨٥) في اللباس والزينة، باب : كراهة ما زاد على الحاجة .

(٢) **حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٥) بسند رجاله ثقات، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ١٠٦/ ح٢٩٠٩) .

(٣) **صحيح:** الترمذي رقم (٢٥٧٤) في «صفة جهنم»، باب : ما جاء في صفة النار، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٦) بسند صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥١٢) .

المهلب مشيته هذه.

فأخذ ابن عوف هذا الكلام ونظمه شعراً فقال:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ بالأمْسِ نُطْفَةً مَذِرَةَ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي اللحْدِ جِيفَةً قَذِرَةَ
وَهوَ عَلَى تِيهِهِ وَنَخْوَتِهِ مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ العَذْرَةَ[١]

وعن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مَرَّ علينا ابن الأهتم، يريد المقصورة، وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه، وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر، إذ نظر إليه الحسن نظرة، فقال: أف! أف! شامخ بأنفه ثاني عطفه، مصعر خده، ينظر في عطفيه، أي حميق أنت؟! تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة، غير مأخوذ بأمر الله فيها، ولا المؤدي حق الله منها، وفي كل عضو من أعضائك لله نعمة، وللشيطان به لفتة!! فسمع ابن الأهتم، فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إليَّ، وتب إلي ربك، أما سمعت قول الله - تعالى -: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٢].

أنواع المتكبرين:

١- من الناس من يتكبر بملكه أو مكانته الاجتماعية، ويقوِّي هذا الكبرَ، ويعظمه كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبًا، والتملق خديعة وملعبًا، فيمدحونه بما ليس فيه، ويرفعونه فوق شأنه ومرتبته، فيظن ذلك حقًا فيزداد كبراً.

وقد قيل: عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه، كيف يفرح؟! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه، كيف يغضب؟!

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٠١)
(٢) سورة الإسراء الآية (٣٧).

وقال الشاعر:

يَا جَاهلاً غَرَّهُ إفْرَاطُ مَادحه ... لا يَغْلبنْ جَهْلُ مَنْ أطْرَاكَ علمُكَ بك
أثْنَى وَقَالَ بلا علْم أحَاطَ بِهِ ... وأنْتَ أعْلَمُ بالمَحْصُول مِنْ ريبك

وهذا النوع من الكبر منتشر في الملوك والرؤساء، ولذلك يجب عليهم أن يبعدوا عنهم بطانة السوء التي تزين لهم سوء أفعالهم ولا تبين لهم قبيح أعمالهم فترديهم وتهلكهم، وهؤلاء الملوك لو عقلوا لعلموا أن المُلك أيام لا تدوم، ولو دام لغيرهم ما وصل إليهم: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فلا يبقى لهم إلا السيرة الحسنة أو السيئة.

٢ - ومن الناس من يتكبر بماله وهذا مغفل جاهل، لأنه لو كان عاقلاً لعلم أن المال عارية يمكن أن يأخذه الله في أي وقت، وبأي سبب، كصاحب الجنة الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه قال: ما أظن أن تبيد هذه أبدًا، فأرسل الله - تعالى - على جنته حسبانًا من السماء فتركها خاوية على عروشها.

وكقارون الذي تكبر بماله الذي كثر، حتى إن مفاتيح الخزائن لا يستطيع حملها سبعة من الرجال الأقوياء، فخسف الله تبارك وتعالى به الأرض هو وماله، فكانت عاقبته الخسران المبين... ولو أن الله ابتلى ذلك الغني بمرض لتمنى أن يؤخذ منه ماله كله وترد إليه صحته.

كما رُوي أن ملكًا من ملوك المسلمين طلب كوبًا من ماء ليشرب، فجاءه الخادم بالكوب، وقال له: أيها الملك لا تشرب حتى أسألك سؤالاً. قال: سل، قال: إذا مُنع منك هذا الكوب فبكم تشتريه؟! قال الملك: بنصف ملكي، قال: فإذا شربته ووقف في مثانتك فلم ينزل، فكم تدفع حتى تنزله؟! قال: ملكي كله، قال: إذًا فملكك لا يساوي بولة واحدة.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٢٦).

٣ ـ ومن الناس من يتكبر بقوته وصحته، وهذا رجل غافل، لأن القوة ليست هي مقياس الشرف بين الناس، وهل قوة هذا الرجل تكافئ قوة حمار أو بغل؟!

ولو كانت القوة هي المقياس لاستحق الحمار أن يكون مديرًا، والبغل أن يكون وزيرًا، والفيل أن يكون رئيسًا، ولكن المدار على العقل، فبه يصل الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه، وبه يسير الإنسان في الناس سيرًا حسنًا، وهو الذي يجنب صاحبه المضار والمهالك، وقد نُسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأبيات الآتية:

إنَّ المَكارمَ أخْلاقٌ مُطهَّرَةٌ ... فالعَقْلُ أولُهَا وَالدِّين ثَانيهَا
وَالعلمُ ثَالثُهَا والحلمُ رَابعُهَا ... والجُودُ خَامسُهَا والعُرْفُ سَاديها
وَالبرُّ سَابعُهَا وَالصبرُ ثَامنُهَا ... وَالشُكْرُ تَاسعُهَا واللينُ عَاشرهَا[1]

فانظر هداك الله، إنه لم يعدّ القوة والفتوة من المكارم، لأنها لا تكون مفخرة إلا إذا استخدمت في الخير والصلاح.

وقد رُوي أن أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ كان يلقي على تلامذته درس فقه وكان مادًا رجليه، فدخل المسجدَ رجلٌ حسن الهيئة، فارع الطول، وأتى حلقة أبي حنيفة ليستمع، فضم أبو حنيفة رجليه احترامًا للقادم، وظل يلقي درسه، حتى وصل إلى قوله: وقت المغرب يبدأ من غروب الشمس، إلى غياب الشفق الأحمر من السماء فقال: هذا الرجل: يا شيخ أرأيت إن لم تغرب الشمس؟ فقال أبو حنيفة: الآن آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه.

وقد قيل:

يَزِينُ الفَتَى في النَّاسِ صحةُ عَقْله ... وَإنْ كَانَ محْظُوراً عَلَيْه مَكَاسبُه
يَشِينَ الفَتَى في النَّاسِ قلَّةُ عَقْلَهِ ... وَإنْ كَرُمَت أعْرَافُهُ وَمَنَاسبُه

(١) أدب الدنيا والدين (١١).

يَعيشُ الفَتَى في النَّاسِ بالعَقْلِ إنَّهُ ... عَلَى العَقْلِ يَجْري عِلْمُهُ وَتَجَارِبُه
وأفضل قَسْمِ الله للمرء عقلُه ... فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكْمَلَ الرّحمنُ للمرءِ عَقْلَهُ ... فقد كَمُلَت أخلاقُهُ ومآربُه(١)

٤ - ومن الناس من يتكبر بعلمه، وهذا أجدر به أن يُسمىٰ جاهلاً، لأن العلم إن لم يزد صاحبه تواضعًا وخشية فليس بعلم نافع، فالعلم علمان: علم على اللسان، وعلم في القلب، فأما العلم الذي على اللسان: فهو حجة الله على خلقه، وأما الذي في القلب: فهو الخشية.

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول: «**يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ(٢) فَيَدُورُ بها كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ برحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيه، فَيَقُولُونَ: أيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ، أَلَسْت كُنْتَ تَأْمُرُنا بِالمَعْرُوفِ وَتَنهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيه، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتيه**»(٣) متفق عليه.

وكيف يُسمىٰ الرجل عالمًا وبه آفة الكبر وقد قيل:

يَا أيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلاَّ لنفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لذي السَّقَام وذي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحَّ به وَأَنْتَ سَقِيمُ
ابْدَأْ بنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حكيمُ
فَهُنَاكَ تُعْذَرُ إنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالقَوْلِ منْكَ ويُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لاَتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٥ - ومن الناس من يتكبر بجماله وحسن صورته، وهذا أكثر ما يكون في النساء، ولو عقلت المتكبرة بجمالها لعلمت أن الجمال من نصيب الدود، ولو

(١) أدب الدنيا والدين (٣).
(٢) أقتابه: أمعاؤه.
(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٢٦٧) في «بدء الخلق»، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، ومسلم رقم (٢٩٨٩) في «الزهد»، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله.

تخيلت صورتها في القبر بعدما أكل الدود لحومها وعينها ومنخرها، لرأت منظرًا مُرعبًا مُخيفًا، بل إن الجمال في الدنيا مُعرَّض للآفات والأمراض، فكم من مرض ترك الجميلة شوهاء والفاتنة نكراء؟! فينفر منها الناس بعدما كانوا يتلهفون على رؤيتها.

وقد قيل:

يَا مظهر الْكِبْر إعْجَابًا بصُورته ... انظُر خَلاكَ فَإِنَّ النَّتْنَ تَثْرِيبُ
لَوْ فَكَّر النَّاسُ فيمَا في بُطُونهم ... مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبرَ شُبَّانٌ وَلاَ شِيبُ
هَلْ في ابن آدمَ مِثْلُ الرَّأس مَكْرُمَة ... وَهْوَ بخَمْس منَ الإقْذار مَضْرُوبُ
أنْفٌ يَسِيلُ وَأُذنٌ ريحَها سَهِكٌ ... وَالْعينُ مُرْفَضَةٌ وَالثَّغْرُ مَلْعُوبُ
يَا ابنَ التُّرَاب وَمَأكُول التُّرَاب غَدًا ... أقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ(١)

مظاهر الكبر:

١ - رد الحق: من مظاهر الكبر أن الإنسان الذي يتبين له خطؤه ولا يرجع إلى الحق ولا يقبله، إنما يكون الدافع الوحيد له على ذلك هو الكبر، فكم من شيخ كبيرَ أو عالم مشهور ناقشه تلميذ صغير في مسألة وتبين له خطؤه، ولكنه لم يرجع إلى الحق أَنَفَةً وكبرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما قيل:

لَكنَّهُم لَمْ يَسْمَعوا قولَ الهُدَى ... لَمَّا منْ أصغَر الأبناء
بَل حَاربُوهُ بكُلِّ أَمْر مُنْكَرٍ ... وَرَمَوْهُ بالتَّعْقيد والإعياءَ

هذا في كثير من علماء زماننا، أما علماء السلف رحمهم الله فقد كانوا يقبلون الحق أينما كان، فهذا أبو حنيفة - رحمه الله - يقول: تعلمت نسك الحلق من الحلاق.

(١) أدب الدنيا والدين (٢١٢).

وهذا الإمام مالك يرجع إلى قول تلميذه الصغير محمد بن إدريس الشافعي في مسألة من مسائل الطلاق .

٢ ـ ومن مظاهر الكبر **أيضًا** : احتقار الناس وازدراؤهم والتعالي عليهم ، ولقد جمع النبي ـ ﷺ ـ مظاهر الكبر في قوله : «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١) .

ولما كان الكبر من مداخل الشيطان ومكايده فلا يمكن التخلص من هذه المكيدة إلا بالتواضع .

عن عياض بن حمار ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**إنَّ اللهَ أَوحَى إليَّ أنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لاَ يَفْخَر أحدٌ عَلى أحَد، ولاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلى أحَد**» . رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه(٢) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «**وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**» رواه مسلم والترمذي(٣) .

٨ ـ حب المدح:

اعلم أخي المسلم أنك إذا أحببت المدح فقد دخل عليك الشيطان من باب العُجْب وهو داء مهلك ، هذا إن كنت تُمْدَحُ بما فيك ، ويمكن التخلص منه بأن تتذكر عيوبك وذنوبك ، فما من إنسان إلا وله عيوب خفية كما قال أحد الصالحين لرجل مدحه : لو أن للذنوب ريحًا ما استطاع أحد أن يقترب مني .

أما إذا كان المدح بما ليس فيك فالفرح بذلك جنون .

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٩١) في «الإيمان» ، باب تحريم الكبر وبيانه ، وأبو داود رقم (٤٠٩١) في «الأدب» والترمذي (١٩٩٨) في «البر والصلة» ، باب ما جاء في الكبر .

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٨٦٥) في الجنة ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، وأبو داود (٤٨٩٥) في «الأدب» ، وابن ماجه (٤٢١٤) في «الزهد» .

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٨٨) في «البر والصلة» ، باب : استحباب العفو والتواضع ، والترمذي (٢٠٢٩) في «البر والصلة ، باب : ما جاء في التواضع ، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣٥ ، ٣٨٦) .

قال بعض الحكماء: من رضي أن يمدح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه.

وقال ابن المقفع: قابل المدح كمادح نفسه[١].

وقد قيل:

وَمَا شَرَفٌ أَنْ يَمْدَحِ المرْءُ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّ أَعْمَالاً تُذَمُّ وَتُمْدَحُ

ومَا كُلُّ حِينٍ يَصْدُقُ المرءُ ظَنَّهُ ... وَلا كُلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَةِ يَرْبَحُ

وَلا كُلُّ مَنْ تَرْجُو لِغَيْبِك حَافِظًا ... وَلاَ كُلُّ مَنْ ضَمَّ الوَدِيعَةَ يَصْلُحُ[٢]

واعلم أن للمدح آفات كثيرة، منها أنه يُحْدث كبرًا وإعجابًا في الممدوح وهذا مهلك للممدوح، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُثْني على رجل ويطريه في المدحة فقال: «**أهلكتم - أو: قطعتم - ظهر الرجل**»[٣] متفق عليه واللفظ للبخاري، فقد بين النبي - ﷺ - أن المدح مهلكة.

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - أن رجلاً ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبي - ﷺ - «**وَيْحكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يقول مرارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُم مَادحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فُلاَنًا - وَاللهُ حَسِيبُهُ ولاَ أُزكِّي عَلَى الله أَحَدًا - أَحْسَبُهُ كذَا وكَذَا، إِنْ كانَ يعلمُ ذلكَ منه**»[٤] متفق عليه.

ومن آفات المدح: أنه يعمي الممدوح عن عيوبه، فلا يشمر للتفتيش عنها.

ومن آفاته أيضًا: أن الممدوح يظن نفسه خيرًا فلا يجتهد في الإكثار من الطاعات، ولذلك يقول زياد بن أبي مسلم، ما من أحد يسمع ثناءً عليه أو

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢١٣).

(٢) السابق (٢١٤).

(٣) **متفق عليه** البخاري (٢٦٦٣) في «الشهادات»، باب: ما يكره من الإطناب في المدح، ومسلم رقم (٣٠٠١) في «الزهد»، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

(٤) **متفق عليه** البخاري (٢٦٦٢) في «الشهادات»، باب: إذا زكى رجل رجلاً كفاه، ومسلم (٣٠٠٠) في «الزهد»، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

مدحة إلا تراءىٰ له الشيطان .

وقال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكَّن الشيطان من أن يدخل في باطنه .

وقال بعضهم : إذا قيل لك : نعْمَ الرجل أنت ، فكان أحب إليك من أن يقال لك : بئس الرجل أنت ، فأنت والله بئس الرجل .

ولذلك قال عمر بن الخطاب : «**إيَّاكُمْ وَالمدْحَ فَإنَّه الذَّبْحُ**»(١) وروي مرفوعًا من حديث معاوية ، أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وقال في «الزوائد» : إسناده حسن .

قال أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن للناس أربعة أحوال بالنسبة إلىٰ المدح والذم .

الحالة الأولىٰ: أن يفرح بالمدح ويشكر عليه ويغضب من الذم ، ويحقد علىٰ الذام ويعاقبه :

الحالة الثانية: أن يمتعض في الباطن علىٰ الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن معاقبته ، ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ، ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان ، ولكن بالإضافة إلىٰ ما قبله كمال .

والحالة الثالثة: وهي أول درجات الكمال ، أن يستوي عنده ذامه ومادحه ، فلا تغمه المذمة ، ولا تسره المدحة .

الحالة الرابعة: وهي الصدق في العبادة ، أن يكره المدح ويمقت المادح ، إذ يعلم أنه فتنة له قاصمة لظهره مضرة له في الدين ، ويحب الذام ، إذ يعلم أنه

(١) **حسن:** رواه ابن ماجه مرفوعًا رقم (٣٧٤٣) في «الأدب» ، باب : المدح ، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٩٢) بإسناد حسن لأجل معبد الجهني قال الحافظ في «التقريب» (٦٧٧٧) : صدوق مُبْتَدع وهو أول من أظهر القدر بالبصرة .

مُهْدٍ إليه عيوبه ومرشده إلىٰ ذنوبه . اهـ . ملخصًا(١) .

ولهذا وغيره أمر النبي - ﷺ - بحثو التراب في وجوه المداحين ، فقد رأىٰ المقداد - رضي الله عنه - رجلاً يمدح عثمان - رضي الله عنه - فعمد المقداد فجثا علىٰ ركبتيه فجعل يحثو في وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ ! فقال : إن رسول الله - ﷺ - قال : «**إذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وجوهِهِم التُّرَابَ**»(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

٩ ـ الرياء :

إن الرياء باب فسيح من الأبواب التي يلج الشيطان منها إلىٰ قلب الإنسان ولذلك يجب علىٰ المسلم الذي يريد الله والدار الآخرة أن يمحصَ في قلبه ، فإن وجد فيه التفاتًا لغير الله سارع بعلاجه ، وأن يفتش في أعماله فإن وجد فيها شبهة من رياء طهرها ، ولما كان الرياء هو التفات القلب لغير الله وترك مراعاة الخالق مع مراعاة المخلوقين سُمي شركًا أصغر .

فقد قال النبي - ﷺ - : «**إنَّ أخْوفَ مَا أخَافُ عَلَيْكُم، الشِّرْكُ الأصْغَر**» قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : «**الرياءُ، يَقُولُ الله - عزَّ وَجَلَّ - إذَا جَزَى النَّاسَ بأعْمَالِهم: اذْهبوا إلى الذينَ كُنْتُم تُرَاءُون في الدنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُون عِنْدَهُم جَزَاءً؟ !**»(٣) .

وأنواع الرياء كثيرة: فمن الناس من يرائي بعلمه ، ومنهم من يرائي بعبادته ، وكذلك من يرائي بصدقته ، ومثال ذلك ما رواه مسلم والنسائي عن

---

(١) الإحياء : (١٨٥٧) .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٣٠٠٢) في «الزهد» ، باب : النهي عن المدح ، أبو داود (٤٨٠٤) في «الأدب» ، والترمذي (٢٣٩٣) في «الزهد» وابن ماجه (٣٧٤٢) في «الأدب» .

(٣) صحيح : رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨) وقال الهيثمي (١٠/ ١٠٢) : رجال أحمد رجال «الصحيح» وقال المنذري (١/ ٦٨) : رواه أحمد بإسناد جيد ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي في «الزهد» ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ١٢٠/ ح٣٢) .

أبي هريرة قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إنَّ أوَّلَ الناس يُقْضَى يَوْمَ القيَامَة عَلَيه نعمَهُ، رَجُلٌ استُشْهِدَ فَأُتيَ به فَعَرَّفَهُ نعمته فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَملْتَ فيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ كَذَبت، ولَكنَّكَ قَاتَلْتَ لأنْ يُقَالَ، جَرِيءٌ، فَقَدْ قيل، ثُمَّ أمِرَ به فَسُحبَ عَلَى وَجْهِه، حتَّى أُلْقيَ في النَّار، وَرَجُلٌ تَعلَّم العلْمَ، وَعَلَّمهُ، وقَرأَ القُرآنَ، فأُتيَ به فَعَرَّفَه نعْمَتَه فَعَرفها، قال: فما فَعَلْتَ فيها، قَالَ: تعلّمت العلم وعلّمتُه وقَرَأتَ فيكَ القُرآنَ قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنَّكَ تَعَلَّمْتَ لُيقَالَ: عَالمٌ، وقَرَأت ليُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قيلَ ثُمَّ أمرَ به فسُحبَ عَلَى وَجْهِه، حَتَّى أُلْقيَ في النَّار، ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْه وَأعْطَاهُ منْ أصْنَاف المَال، فَأُتيَ به فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَملْتَ فيهَا، قَالَ: مَا تَركْتُ منْ سَبيل تُحبُّ أنْ يُنْفَقَ فيهَا إلا أنْفَقْتُ فيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنَّكَ فَعَلْتَ ليُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أمرَ به فَسُحبَ عَلَى وَجَهه، حَتَّى أُلْقي في النَّار»[١].

وعن أبي هند الداري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رياء وَسُمْعَة رَاءى اللهُ به يَوْمَ القيَامَة وَسَمَّع»[٢] قال الحافظ المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد.

وفي «الصحيحين» من حديث جندب أن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ[٣] اللهُ به وَمَنْ يُراء يراء الله به»[٤]؛ ولذلك كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يُخفونَ طاعاتهم، كما يُخفيَ الناس معاصيهم وعيوبهم.

واعلم أن الدافع على الرياء هو الطمع في مدح الناس وخوف مذمتهم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في «الجهاد»، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٩) بسند رجال ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١١٧/ ٢٤).

(٣) سمّع: معناه من أظهر عمله للناس رياء، أظهر الله نيته الفاسدة في عمله وفضحه يوم القيامة.

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٦٤٩٩) في «الرقاق»، باب: الرياء والسمعة، ومسلم رقم (٢٩٨٧) في «الزهد» باب: من أشرك في عمله غير الله.

ويمكن التخلص من الرياء بالأمور الآتية:

١ - أن تعلم أن مدح الناس لا ينفعك إن كنت عند الله مذمومًا، وذمهم لا يضرك إن كنت عند الله محمودًا.

٢ - أن تعلم أن المخلوق الضعيف الذي تطلب مدحه لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا خاصة يوم فقرك الأكبر وحاجتك العظمىٰ.

٣ - أن تعلم أن الرياء يُحبط العمل، وربما حوَّله إلىٰ كفة السيئات.

٤ - إن كنت تخشىٰ اطلاع الناس علىٰ خبث باطنك وسواد قلبك في الدنيا، فالله تعالىٰ مطلع علىٰ ذلك، وسيفضحك يوم القيامة أمام الجمع الأكبر وعلىٰ رؤوس الأشهاد.

٥ - وإذا أخطر عليك خاطر من الرياء فلتقم بمدافعته والتخلص منه، ثم الالتفات إلىٰ الله بقلبك.

واعلم أن الشيطان يدعوك أولاً لترك العمل، فإن عجز دعاك إلىٰ الرياء فيه، فإن وجد منك إخلاصًا قال لك: هذا العمل ليس خالصًا وأنت مراء، وتعبك ضائع حتىٰ يحملك علىٰ ترك العمل فانتبه - حفظك الله - ولا تطع الشيطان فإنه عدو مضل مبين.

يقول الغزالي - رحمه الله -: والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء علىٰ أربع مراتب:

الأولى: أن يرد علىٰ الشيطان ويُكذبه، ولا يقتصر عليه، بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه؛ لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو علىٰ التحقق نقصان، لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده، وانصرف إلىٰ قتال قطاع الطريق، والتعريج علىٰ قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك.

الثانية: أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر علىٰ تكذيبه ودفعه، ولا يشتغل بمجادلته.

الثالثة: ألا يشتغل بتكذيبه أيضًا، لأن ذلك وقفة وإن قَلَّت، بل يكون قد قرر في

عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبًا للكراهية غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة .

الرابعة: أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده فيعزم على أنه كلما نزغ الشيطان زاد هو في الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظًا للشيطان .

يروىٰ عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له : إن فلانًا يذكرك - أي بسوء - فقال : والله لأغيظنَّ من أمَرَهُ . قيل ومَن أمَرَه؟ قال : الشيطان . ثم قال : اللَّهم اغفر له .

وإذا عرف الشيطان من عبدٍ هذه العادة كف عنه خيفة أن يزيد في حسناته .

قـــال: وضرب الحارث المحاسبي لهذه الأربعة مثالاً أحسن فيه فقال : مثالهم كأربعة قصدوا مجلسًا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشدًا ، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفو الحق ، فتقدم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعا إلى مجلس ضلال فأبى ، فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله ، وهو يظن أن ذلك مصلحة له ، وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره .

فلما مرَّ الثاني عليه نهاه واستوقفه ، فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع ، ومرَّ به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان ، فخاب منه رجاؤه بالكلية ، ومرَّ الرابع فلم يتوقف وأراد أن يغيظه فترك التأني وأسرع في المشي ، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرىٰ أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير(١) .

ولهذا كان كثير من السلف إذا ألهاهم الشيطان عن طاعة فعلوها مضاعَفَةً غيظًا للشيطان .

وقال إبراهيم التيمي: إن الشيطان ليدعو العبد إلى الإثم فلا يطعه ، وليحدث عند ذلك خيرًا فإذا رآه كذلك تركه .

الرياء والأجر: اعلم - هداك الله - أن الرياء إما أن يدخل في أصل العمل أو في

(١) الإحياء (١٨٩٦) .

أوصافه، فإن دخل في أصل العمل، يعني كان هو الدافع والباعث عليه بَطَلَ بالإجماع.

وإن دخل الرياء في أوصاف العمل كطول في ركوع أو سجود، ففيه قولان: أحدهما: يبطله، والآخر: لا يبطله ولكن ينقص من أجره.

١٠ ـ العُجْب:

العُجْب يختلف عن الكبر، فالكبر له ثلاثة أركان: متكبر، ومتكبر به، ومتكبر عليه، والعُجْب ليس له إلا ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط، ولكن العُجْب هو الدرجة الأولىٰ في سلم الكبر فنعوذ بالله منهما.

والعجب: هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب أنواع: فمن الناس من يعجب بصحته وقوته وتناسب أعضائه وحسن صورته، فليعلم أن ذلك من نصيب الدود وأن كل من عليها فان.

ومن الناس من يعجب بعقله وفطنته واستكشافه لبطائن الأمور الدينية والدنيوية، وثمرة هذا العجب أن تجده مستبداً برأيه مستجهلاً لغيره مُعْرضًا عن سماع آراء الآخرين، فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض في دماغه جُنَّ عقله، وطار لبُّه، وذهب فكره، فليحمد الله علىٰ العافية وليشكره علىٰ النعمة.

ومن الناس:من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسب من الحسن أوالحسين؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وأن النبي ﷺ نادىٰ أقرب الناس إليه: **«يَا فَاطِمَةُ: اعْمَلِي، فَإِنّي لاَ أغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»**[(١)] متفق عليه.

ومن الناس من يعجب بكثرة أولاده وأهله وعشيرته وهذا يكفيه قول الله تعالىٰ: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾**[(٢)]، فأي عجب بمن يتركك في أشد أحوالك! ويهرب منك في

---

(١) متفق عليه:البخاري رقم (٢٧٥٣) في «الوصايا»، باب: هل يدخل النساء والولد في «الأقارب»، ومسلم رقم (٢٠٦) في «الإيمان»، باب قوله تعالىٰ: «وأنذر عَشيرَتَكَ الأقربين».

(٢)سورة عبس الآية (٣٤: ٣٧).

أحرج أوقاتك

ومن الناس: من يعجب بماله وغناه فليقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، وقول رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١] متفق عليه.

ومن الناس: من يعجب بعبادته، وهذا إنما أوتي من جهله، لأنه لا يدري أقُبلت عبادته أم لا.

وقال مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ: كفىٰ بالمرء علمًا أن يخشىٰ الله، وكفىٰ بالمرء جهلاً أن يُعجب بعمله[٢].

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن من صلاح توبتك أن تعرف ذنبك، ومن صلاح عملك أن ترفض عجبك، ومن صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وقال مُطرف بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا، أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

وروي عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً سألها فقال: متىٰ أعلم أني محسن؟ قالت: إذا علمت أنك مسيء. قال: ومتىٰ أعلم أني مسيء؟ قالت: إذا علمت أنك محسن.

وقال البخاري: قال ابن أبي مُليكة: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه[٣].

قال أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله ـ: من أراد أن يكسر العجب، فعليه بأربعة أشياء.

أولهـا: أن يرىٰ التوفيق من الله تعالىٰ، فإذا رأىٰ التوفيق من الله ـ تعالىٰ ـ فإنه

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٥٧٨٩، ٥٧٩٠) في «اللباس»، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، مسلم رقم (٢٠٨٨) في «اللباس والزينة»، باب: تحريم التبختر في المشي.

(٢) رواه الدارمي (١/ ٩٣).

(٣) صحيح: البخاري: كتاب «الإيمان» باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه .

والثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولم يعجب به .

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه .

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قلَّ عجبه، وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة؟! وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب . اهـ[1] .

١١ ـ الجزع والهلع:

إن الجزع من مراكب الشيطان التي يحمل بها الإنسان في بحار الخيالات والأوهام، حتى يكبه في محيط الحيرة والأحزان .

أما المؤمن فإنه يركب مراكب الصبر، ويخوض بها في بحار الرضا والتسليم، حتى يصل إلى محيط الفرج وهناك سيجدُ بَرَّ الأمان .

أما عن أسباب الجزع فيقول أبو الحسن الماوردي: منها تذكُّر المصاب حتى لا يتناساه، وتصوره حتى يعزب عنه ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخلط مع التصور تعزية، وقد قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «لا تستفزوا الدموع بالتذكر» .

وقال الشاعر: **ولا يبعث الأحزان مثل التذكّر**.

ومنها الأسف وشدة الحسرة فلا يرى من مَصابه خلفًا، ولا يجد لمفقوده بدلاً، فيزداد بالأسف ولهًا، وبالحسرة هلعًا، ولذلك قال تعالى: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2] .

وقال بعض الشعراء:

إذَا بُليتَ فَثِقْ بالله وارْضَ به ... إنَّ الَّذي يَكْشفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ
إذَا قَضَى اللهُ فَاسْتَسْلم لقُدْرَته ... مَا لامرئٍ حيلَةٌ فيمَا قَضَى اللهُ
اليأسُ يَقْطَعُ أحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لا تَيْأسَنَّ فَإنَّ الصَّانَع اللهُ

(١) تنبيه الغافلين (٢٥٢) .
(٢) سورة الحديد الآية (٢٣) .

ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فاصْبِرْ صَبْرًا جميلاً﴾ [المعارج: ٥]، إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث.

وحكي عن كعب الأحبار أنه مكتوب في التوراة، من أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه.

وحكي أن أعرابية دخلت من البادية، فسمعت صُراخًا في دارٍ، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان، فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون، وعن ثوابه يرغبون.

وقد قيل في منثور الحكم: من ضاق قلبه اتسع لسانه.

وأنشد بعض أهل العلم:

لا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إلى صديق ... وارْجِع إلى الخالق لا المَخْلُوقِ
لا يُخرِج الغريقُ بالغَرِيقِ

وقال بعضهم:

لا تَشْكُ دَهْرَكَ مَا صَحَحْتَ به ... إنَّ الغِنَى هُوَ صِحَّةُ الْجِسْمِ
هَبْكَ الخَلِيفَةَ كُنْتَ مُنْتَفِعًا ... بغَضَارةِ الدُّنْيَا مَعَ السَّقَمِ

ومنها اليأس من جبر مصابه، ودرك طلابه، فيقترن بحزَن الحادثة، قنوط الإياس فلا يبقى معها صبر، ولا يتسع لهما صدر.

قال ابن الرومي:

اصْبِرِي أيَّتُهَا النَّفْـ ... ـسُ فَإنَّ الصَّبْرَ أحْجَى
رُبَّمَا خَابَ رَجَاءٌ ... وأتَى مَا لَيْسَ يُرجَى

وقال بعضهم:

أتَحْسَبُ أنَّ البُؤس للحُرِّ دَائِمٌ ... وَلَوْ دَامَ شيءٌ عَدَّهُ النَّاسُ في العَجَبْ
لَقَدْ عَرَّفَتْكَ الحَادثَاتُ بُؤْسهَا ... وَقَدْ أدَّبَت إنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الأدَبْ
وَلَوْ طَلَبَ الإنْسَانُ مِنْ صَرْفِ دَهْرِه ... دَوَامَ الَّذِي يَخْشَى لأعْيَاهُ مَا طَلَبْ

---

(١) سورة المعارج الآية (٥).

ومنها أن يغرئ بملاحظة من حيطَت سلامته، وحرست نعمته حتىٰ الْتَحَفَ بالأمن والدعة، واستمتع بالثروة والسعَة، ويرىٰ أنه قد خص من بينهم بالرزية بعد أن كان مساويًا، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافيًا، فلا يستطيع صبرًا علىٰ بلوىٰ، ولا يلزم شكرًا علىٰ نُعْمَىٰ، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرزية، وساواه في الحادثة لتكافأ الأمران فهان عليه الصبر، وحان منه الفرج.

قال: وأنشدت امرأة من العرب:

أيُّها الإنسانُ صَبْرًا ... إنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرا
كَمْ رَأيْنَا اليَومَ حرًّا ... لَمْ يَكُنْ بالأمْسِ حُرًّا
مَلَكَ التِّبْرِ فَأضْحَىٰ ... مَالكًا خَيْرًا وَشَرًّا
اشرَبَ الصَّبْرِ وَإِنْ كَا ... نَ مِنَ الصَّبْرِ أمَرًّا

قال وأنشدت لبعض أهل الأدب.

يُرَاعُ الفَتَى لِلخَطْبِ تَبْدُو صُدُورُهُ ... فَيَيْأس وفي عُقْبَاهُ يَأتي سُرُورُهُ
أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّيْلَ لَمَّا تَراكَمَتْ ... دُجَاهُ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ وَنُورُهُ
فَلا تَصْحبنَّ اليَأسَ إنْ كُنْتَ عَالِمًا ... لَبِيبًا فَإنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أُمُورُهُ

اهـ[1] ملخصًا.

ولما كان الجزع والهلع فطرة في الإنسان بها خُلق وعليها جبُل، فقد أرشدنا الله إلىٰ طريق التخلص منها، بقوله: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[2]، فمن اتصف بهذه الصفات التسع، فقد أخذ بأسباب

(١) أدب الدنيا والدين (٢٧١).
(٢) سورة المعارج الآية (١٩-٣٥).

التخلص من الجزع والهلع، وهذه الصفات هي:

أولاً: الخشوع في الصلاة: وهو معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قاله عقبة بن عامر. قال ابن كثير: ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد[(١)].

ثانيًا: أداء الزكاة المفروضة سامحة بها أنفسهم.

ثالثًا: التصديق الجازم بيوم القيامة، ذلك التصديق الدافع إلى العمل الصالح.

رابعًا: الخوف والإشفاق من عذاب الله، خوفًا يبعد صاحبه عن كل ما يغضب الله، وكل ما يوجب عذابه وعقابه.

خامسًا: حفظ الفروج عن المحرمات.

سادسًا: حفظ الأمانات وأداؤها تامة غير منقوصة.

سابعًا: الوفاء بالعهد وعدم الغدر فيه.

ثامنًا: أداء الشهادات دون زيادة عليها أو نقصان منها أو كتمانها.

تاسعًا: المحافظة على الصلاة، مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**شرُّ ما في الرجل: شحٌّ هالع، وجُبْنٌ خالعٌ**»[(٢)] رواه الإمام أحمد وأبو داود بسند حسن.

فإن تخلص الإنسان من الجزع والهلع فتح على نفسه باب الصبر والفرج، ولذلك قال النبي ـ ﷺ ـ «**الصَّبرُ ضياءٌ**»[(٣)]، أي يضيء للإنسان في ظلمات الحيرة ليرى الفرج قد اقترب والمحنة قد انكشفت والغمة قد انجلت.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).

(٢) **صحيح**: أبو داود (٢٥١١) «في الجهاد»، باب: في «الجرأة والجبن»، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢) والبيهقي (٦/ ١٧٠) صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٦٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٢٣) في «الطهارة»، باب: فضل الوضوء، الترمذي (٣٥١٧) في الدعوات، النسائي (٥/ ٥، ٦) في «الزكاة»، وابن ماجه (٢٨٠) في «الطهارة» وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢).

والصبر أنواع:

فالأول: صبر على المصائب والبلايا سواء كانت في الجسد، أو في الأهل والولد، أو في المال أو غير ذلك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - قال[١]: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه[٢] من أهل الدنيا ثم احتسبه[٣] إلا الجنة**» رواه البخاري.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة**» يريد عينيه. رواه البخاري[٤].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال[٥]: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِم مِنْ نَصَبٍ[٦] وَلاَ وَصَبٍ[٧] وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أذىً وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**» متفق عليه.

ولكن هذا الأجر والثواب إنما يكون للصابرين دون غيرهم، وبهذا يُعلم أن البلاء من الله خير ومنة، فقد قال رسول الله - ﷺ - «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[٨] رواه البخاري.

وقال أيضًا: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ - تعالى - إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٤٢٤) في «الرقاق»، باب: العمل الذي يبتغي به وجه الله.

(٢) صفيه: حبيبه.

(٣) أي صبر وسلم بقضاء الله وادخر ثواب صبره عند الله.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٦٥٣) في المرضى، باب: فضل من ذهب بصره، والترمذي (٢٤٠١)، في «الزهد».

(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٦٤١، ٥٦٤٢) في المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرضى، ومسلم رقم (٢٥٧٣) في «البر»، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، والترمذي رقم (٩٦٦) في «الجنائز».

(٦) **نصَب**: تعب.

(٧) **وصَب**: مرض.

(٨) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٦٤١، ٥٦٤٢) في المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤١).

ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»(١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَا يَزَالُ البَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمؤمنةِ في نفسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»(٢) .

والثاني: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، لأن الطاعات تحتاج إلى صبر في تأديتها وصبر في مجاهدة الشيطان والهوى، كما قال النبي ﷺ: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا والذُّنُوبَ»(٣) .

وقال النبي - ﷺ -: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وحُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ»(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

الثالث: صبر عن الشهوات والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(٥) والنبي - ﷺ - يقول: «الدُّنْيَا سِجْنُ المؤمنِ وجَنَّةُ الكَافرِ»(٦) رواه مسلم، والترمذي وقال: حسن صحيح .

فالشيطان يُزين للإنسان المعاصي ويحببها إلى قلبه ويقربه ويدنيه منها؛ لكي يوقعه فيها فالمرأة مثلاً إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان فيزينها في عيون الناظرين ويحسنها في قلوبهم، فإذا صبر المسلم وغض بصره لم يستطع الشيطان أن ينفذ إلى قلبه .

---

(١) **حسن**: الترمذي (٢٣٩٦) في «الزهد»، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، إسناده حسن لأجل سعد بن سنان الكندي قال الحافظ في «التقريب»: ، صدوق له أفراد، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٤٦).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٣٩٩) في «الزهد»، باب، ما جاء في الصبر على البلاء، أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٠)، الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وهو في «صحيح الجامع» (٨٥١٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢١) بإسناد صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٤٩).

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٤٨٧) في «الرقاق»، باب حجبت النار بالشهوات، ومسلم رقم (٢٨٢٣) في الجنة وصفة نعيمها.

(٥) سورة النازعات: الآية: (٤٠ - ٤١).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٩٥٦) في «الزهد والرقائق»، في فاتحته.

الرابع: الصبر على الأذى في سبيل الله، لأن المؤمن المتمسك بدينه الملتزم بأوامر ربه، المقتدي بنبيه ظاهرًا وباطنًا لابد أن يناله الأذى، ويصيبه المكروه ويعاديه أهل الباطل ويخطط له ويدبر أهل الشر والفساد: ﴿**الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وهذا واقع أهل الحق اليوم: المعاداة من القريب والبعيد والرؤساء والشعوب، فعلماء السوء يرمونهم بالتطرف، والعلمانيون يرمونهم بالتخلف والرجعية، والعامة يرمونهم بالتعصب والتزمت. ولعل هذا يرجع إلى أن الحقَّ لا يُمَاشِي هواهم أو لأنهم لم يفهموا ما عليه أهل الحق فهمًا جيدًا ولذلك نقدم هذه القصيدة لشَاب من شباب الدعوة في الدفاع عن أهل الحق مع بيان منهاجهم وطريقتهم.

اللّه أكْبَرُ في الدِّفَاع سَأبْتدى ... وَهُوَ المُعِينُ عَلَى نَجَاحِ المَقْصد
وَهُوَ الَّذي نَصَرَ النبي مُحَمَّداً ... وسينصر المتبعين لأحمد
وبه أَصُولُ على جَميع خُصُومنَا ... وأعُدُّه عَونًا على مَنْ يَعْتدي
سَأرْسلُ سَهْمًا من كنَانة وَحْيه ... وبَه أشُدُّ على كتَائبَ حُسَّدِي
وَبه سَأجْدَعُ أَنْفَ كُلِّ مُكَابر ... وبه سأرصد للكَفُور المُلْحد
وسَأسْتَجيرُ بذي الجَلاَل وَذي العُلاَ ... لاَ لَنْ أضَامَ إذَا اسْتَجَرْتُ بسَيِّدي
وَسَأستَمدُّ العَونَ منْهُ عَلَى الَّذي ... لَمَز الأحبَّة بالْكَلاَم المُفْسد
حَتَّى أشَتِّتَ شَمْلَهُمْ بأدلَّة ... مثل الصَّوَاعقَ في السَّحَابِ الأسْود
وَبنُورِ وَحُي الله أكْشفُ جَهْلَهُمْ ... حَتَّى يَبِينَ عَلَى رُءُوس المشْهَد
لاَ تَلمزُونَا يَا خَفَافيشَ الدُّجَى ... بِتَطَرُّف وَتَسَرُّعٍ وَتَشَدُّد
لاَ تَقْذفُونَا بالشُّذُوذ فَإنَّنا ... سِرْنَا عَلَى نَهْجِ الخَليلِ مُحَمَّد
وَلكلِ قَوْل نَسْتَدلُّ بآيَة ... أوْ بالحَديث المسْتَقيم المسْنَد
والنَّسْخَ نَعْرفُ وَالعُمُومَ وَإنَّنَا ... مُتَفَطِّنُونَ لمطْلَق وَمُقَيَّد
ونَصُوصُ وَحْي الله نُتْقنُ فَهْمَهَا ... لا تْحسَبُونَ الفَهْمَ كَالرّأي الرَّدي
وَإذَا تعَارَضَت النُّصُوصُ فَإنَّنَا ... بَأصُولِ سَادَتَنَا الأئمةِ نَهْتَدِي

وَنُحَارِبُ التَّقْلِيدَ طُولَ زَمَانِنَا ... مَعَ حُبِّنَا لِلْعَالِمِ المُتَجَرِّدِ
وَكَذَا الأئِمَّةُ حُبُّهُم مُتَمَكِّنٌ ... من كلِّ نَفْسٍ يَا بَرِيَّةُ فَاشْهَدِى
وَتَرِقُ أنْفُسُنَا لِرؤية مَنْ غَدَا ... في رِبْقَةِ التَّقليدِ شِبْهَ مُقَيَّدِ
إنَّا نَرَى التَّقْلِيدَ دَاءً قَاتِلا ... حَجَبَ العُقُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الأرْشَدِ
جعل الطريق على المقلد حالكًا ... فَتَرَى المقلِّدَ تائهًا لا يَهْتَدِي
فَلذا بَدَأنَا في اجْتِثَاث جُذُوره ... مِنْ كُلِّ قَلْبٍ خَائف مُتَرَدِّدِ
ولَسوفَ نَدمِلُ دَاءَهُ وَجِرَاحَهُ ... بِمَرَاهِمِ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ المُرْشِدِ
نَدْعُو إلَى التَّوْحِيدِ طُولَ حَيَاتنَا ... في كُلِّ حين في الخَفَا والمَشْهَدِ
وَنُحَارِبُ الشِّرْكَ الخَبِيثَ وأهْلَهُ ... حَرْبًا ضَروسًا باللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
وَكَذَلكَ البِدَعَ الخَبِيثَةَ كُلَّهَا ... نَقْضي عَلَيْهَا دُونَ بَاب المَسجِد
هذى طَرِيقَتُنَا وَهَذَا نَهْجُنَا ... فَعَلامَ أنْتُمْ دُونَنَا بالمَرْصَدَ؟!
لِمَ تَطْعنُونَا وَتَلْمِزُونَا كَأنَّنا ... جِئنَا بِرأيٍ للعَقيدَةَ مُفْسِد؟!
ألِلْمَذْهَب وَلِعَادَةَ وَحكُومَة ... تَتَهَرَّبُونَ منَ الحَديث الجَيِّدَ؟!
هَذَا الحَديثُ تَلألأتْ أنْوَارُهُ ... رَغْمَ الجَهُول وَرَغْمَ كُلِّ مُقَلِّد
إنْ كُنْتُم تَتَضَرَّرُونَ بِنُوره ... فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ رَغْمَ أنْفِ الأرْمَدِ
بالله قُولُوا مَا الَّذي أنكَرْتُموا ... عَلَّ البَرِيَّةَ للحَقيقَة تَهْتَدي؟
هَدَّدتُمُونَا بالمَذَاهِبِ بَعْدَمَا ... وضِعَ الدَّليلُ فَبِئسَ مِنْ مُتَهَدِّدِ
وَبهَتمُونَا بالقَبَائح كُلِّهَا ... وَعَرضْتُمُونَا بالقِنَاعِ الأسْوَدَ
وَرَفَعْتُمُونَا للوُلاة تَشَفِّيًا ... وَفَرَحْتُمُو بِتَهَدُّدٍ وتَوعُّدَ
لَكِنَّنَا لُذْنَا بِبَابِ إلَهِنَا ... فَأرَاحَنَا مِنْ كُلِّ خَصْمٍ مُعْتَدِي
وَجَلاَ الحَقِيقَةَ للمَلاَ فَخَسئْتُمُو ... والسُّوءُ يَظْهَرُ مِنْ خَبِيثِ المَقْصَدِ
يا مَعْشَرَ الإخوان سِيرُوا وأبْشرُوا ... وَثِقُوا بِنَصْرِ الواحد المُتَفَرِّدِ
سِيرُوا عَلَى نَهْجِ الرَّسُول وَصَحْبه ... لا تَعْبَئوا بالآثِمِ المُتَمَرِّدِ
وَلْتُعْلِنُوهَا للبَرِيَّةَ كُلِهَا ... إنَّا بِغَيرِ مُحَمَّدٍ لا نَقْتَدِي

لاَ نَطْلبُ الدُّنْيا وَلاَ نَسْعَى لها ... اللهُ مَقْصدُنَا وَنِعْمَ المقْصد
لَيسَ المَناصبُ هَمَّنَا ومُرَادَنَا ... كَلا وَلا ثَوْبَ الخَديعَة نَبْتَدِي
إنَّا لَنَسْعَى في صَلاَحِ نُفُوسنا ... بعلاَجِ أنْفُسنَا المريضَة نَبْتَدي
وَنُحبُّ أنْ نَهْدي البَرِيَّة كُلَّهَا ... نَدعُو القَريبَ قُبَيْلَ نُصْحِ الأبْعَد
وَبِوَاجِب المعْرُوف نَأْمُرُ قَوْمَنَا ... وَنَقُومُ صَفا فِي طَرِيقِ المفْسد
لَوْ تُبْصِروُا الإخْوَانَ في حَلْقَاتنا ... مِنْ عَالِم أوْ طَالب مُسْتَرْشَدَ
لَرأيْتَ علْمًا واتِّباعًا صَادقًا ... للسُّنَّة الغَرَّاء دُونَ تَرَدُّد
أنْعمْ بِطُلاب الحَديث وَأهْله ... وَأجلَّهُمْ عَنْ كُلِّ قَوْل مُفَنِّد
هُمْ زينَةُ الدُّنيا مَصَابيحُ الهُدَى ... طلعُوا على الدُّنيا طُلوعَ الفَرْقَد
وَرِثُوا النبيَّ وَأحسَنُوا في إرثِه ... وَحَمَوْهُ من كَيْد الخَبيث المعْتَدِي
سَعدُوا بِهَدي مُحَمَّد وَكَلاَمه ... وَسواهُمُو بكَلاَمه لَم يَسْعَد
والدِّينُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... وَهُمُو لدِينِ الله أفْضَلُ مُرشد
وَالفقْهُ فَهْمُ النَّصِ فَهْمًا وَاضحًا ... مِنْ غَيْر تَحْرِيف وَتَأْويل ردي
لاَ تَحْسَبَنَّ الفقْهَ مَتْنًا خَاليًا ... مِنْ كُلِّ قَوْل للمُشَرِّعِ مُسْنَد
أوْ قَالَ عَالمنا وقَالَ إمَامُنَا ... أوْ ذَاكَ مَذْهَبُ أحْمَد ومُحَمَّد
هَذَا كَلاَمٌ لَيْسَ فِيه هدَايَةٌ ... مَنْ سَارَ فِي تَحْصِيله لاَ يَهْتَدى
فَعلَيْكَ بالوحْيين لاَ تَعْدُوهُمَا ... وَاسْلُكْ طَريقَهُمَا بِفَهْمٍ جَيِّد
فَإذَا تَعَذَّرَ فَهْمُ نَصٍّ غَامض ... فَاسْتفْت أهْلَ الذِّكْر كَالْمُسْتَرشد
بالبَيِّنَات وَبالزُّبُور فَإنَّهُ ... منْ أمْر ربِّكَ في الكتَاب فَجَوِّدِ
وَاعْلَم بأنَّ مَنْ اقْتَدَى بمُحَمَّد ... سَيَنَالُهُ كَيْدُ الغُواة الحُسَّد
وَيَذُوقُ أنْواع العَدَاوة والأذَى ... مِنْ جَاهلٍ وَمُكَابِرٍ وَمُقَلِّد
فَاصْبر عَلَيْه وَكُنْ بِربِّكَ وَاثقًا ... هَذَا الطَّرِيقُ إلى الهُدَى وَالسُّؤدُد(١)

(١) هذه القصيدة للشاعر أحمد العلم، مدير معهد حضرموت للعلوم الشرعية باليمن

أحوال الصبر

للصبر مع الهوى ثلاث أحوال:

الأول: أن يقهر الصبر الهوىٰ ويذلّه، فيصير الصبر دأبًا للإنسان وعادة له، فلا يعتريه جزع ولا ينازعه هوىٰ، وهذه المرتبة لا يصلها إلا الصدّيقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا(١) .

الثانية: أن يتغلب الهوىٰ علىٰ الصبر، حتىٰ لا تجد للصبر مكانًا في قلب الإنسان فقد أصبح أسير الهوىٰ والشهوة، وهؤلاء هم الأكثرون في زماننا هذا.

الثالثة: أن تكون الحرب سِجَالاً بين الجنديين، فتارة تجده صابرًا محتسبًا، وتارة تجده جازعًا هلعًا.

١٢ ـ اتباع الهوى:

إن الله تبارك وتعالىٰ عندما ركّب الهوىٰ في الإنسان خلق له عقلاً، ليكون عليه أميرًا وله قائدًا.

قال بعض الشعراء:

يَا عَاقِلاً أَرْدَى الهَوَى عَقْلَهُ   مَالكَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْكَ الأمُورُ
أَتَجْعَلُ العَقْلَ أَسِيرَ الهَوَى   وَإِنَّمَا العَقْلُ عَلَيْهِ أَمِيرُ

قال أبو الحسن الماوردي: وأما الهوىٰ فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوكًا. اهـ(٢).

وقال أيضًا: ولما كان الهوىٰ غالبًا وإلىٰ سبيل المهالك موردًا، جعل العقل عليه رقيبًا مجاهدًا، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، ويدفع خداع حيلته؛ لأن سلطان الهوىٰ قوي، ومدخل مكره خفي. اهـ(٣) .

(١) اقتباس من سورة الأحقاف الآية (١٣).
(٢) أدب الدنيا والدين (١٣ـ١٦).
(٣) أدب الدنيا والدين (١٣ـ١٦).

وقال بعض العلماء: ركب اللهُ الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم(١).

والمثل العربي يقول: العقل وزير ناصح، والهوىٰ وكيلٌ فاضح.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان عمله تبعًا لهواه، فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعًا لعلمه فيومه يوم صالح(٢).

فالعاقل من يحكِّم عقله في هواه، وأعقل منه من يحكم الشرع في عقله وهواه، فعلىٰ منهاج الشرع يسير، وبنوره يستضيء.

ولقد بين الله عز وجل أن اتباع الهوىٰ هو طريق الضلال والانحراف، والشقاوة والإجحاف، فقال سبحانه: ﴿ولا تتبع الهوىٰ فيضلك عن سبيل الله﴾(٣).

وروي أن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب، فأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون.

وعن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنَّمَا أخْشَى عَلَيكُمْ شَهَوَاتِ الغَيِّ في بُطُونكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلات الهَوَىٰ**»(٤).

وقال بعض الحكماء: العقل صديق مقطوع، والهوىٰ عدو متبوع.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما ذكر الله - عز وجل - هوىٰ في القرآن إلا ذمه قال تعالىٰ: ﴿واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾(٥) وقال تعالىٰ: ﴿واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾(٦) وقال تعالى: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله﴾(٧) وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾(٨) وقال تعالىٰ: ﴿ولا تتبع

(١) أدب الدنيا والدين (١٣-١٦). (٢) القرطبي (٦/ ١٦٨).
(٣) سورة ص الآية (٢٦).
(٤) **صحيح**: قال المنذري: رواه أحمد، والبزار، والطبراني في معاجمه الثلاثة، وبعض أسانيدهم رواته ثقات، وصححه الألباني في «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢).
(٥) سورة الأعراف الآية (١٧٦). (٦) سورة الكهف الآية (٢٨).
(٧) سورة الروم الآية (٢٩). (٨) سورة القصص الآية (٥٠).

الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [١]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم في زمان يقود الحقُّ الهوىٰ، وسيأتي زمان يقود الهوىٰ الحقَّ [٢] .

قال ابن السماك: كن لهواك مسوفًا ولعقلك مُسعفًا، وانظر ما تسوء عاقبته فوطن نفسك علىٰ مجانبته، فإنَّ ترْك النفس وما تهوىٰ دواؤها، فاصبر علىٰ الدواء كما تخاف من الداء.

وقال الشاعر:

صَبَــــرتُ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى تَولَّت ... وَألزَمْتُ نَفسى صَبْرَهَا فَاسْتَمَدَّت
ومَـا النَّفْسُ إلا حَيْثُ يَجْعَلُهَـا الفَتَى ... فَـإِنْ أطعِمتَ تَاقَتْ وَإلا تَسلَّتِ [٣]

وللهوى مع العقل ثلاثة أحوال:

الأول: أن يقوىٰ سلطان الهوي بكثرة دواعيه، حتىٰ تستولي عليه غلبة الهوىٰ والشهوات، فيكلُّ [٤] العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلىٰ الشباب أغلب، لقوة شهواتهم، وكثرة دواعي الهوىٰ المتسلط عليهم.

وصاحب هذه الحالة أسير الهوىٰ فلا يفكر إلا بهواه، ولا يعادي إلا من أجله ولا يصادق إلا من أجله، ولا يجتهد إلا لنيله، وربما ذلّه الهوىٰ واتخذه عبدًا: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [٥] .

ومن تحكّم فيه هواه قاده إلىٰ الذل والهوان، والخيبة والخسران.

---

(١) القرطبي (١٦/ ١٦٧).

(٢) القرطبي (١٩/ ٢٨٠).

(٣) أدب الدنيا والدين (١٥)

(٤) الكل: الثقل، قال تعالىٰ: ﴿وهو كل علىٰ مولاه﴾.

(٥) سورة الفرقان الآية: (٤٣).

وقد قيل:

إِذَا أَنْتَ لم تعص الهَوَى قادك الهَوَى إلى كُلِّ مَا فيه عَلَيْكَ مَقَالُ

قال القرطبي: قال الأصمعي: سمعت رجلا يقول:

إن الهَوَانَ هُوَ الهَوَى قُلبَ اسمُهُ فإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانا

وسئل ابن المقفع عن الهوىٰ: فقال: هوان سرقت نونه، فأخذه شاعر فنظمه فقال:

نُونُ الهَوَانِ منَ الهَوَى مَسْرُوقَةٌ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَد لَقِيتَ هَوَانا

وقال آخر:

إنَّ الهَوَى لَهَوانٌ بعَينه فَإِذَا هَوَيْت فَقَد كَسَبْتَ هَوَانا
وَإِذَا هَوَيْتَ فَقَد تَعَبَّدَكَ الهَوَى فَاخْضَعْ لُحبِّكَ كَائنًا مَنْ كَانا

ولعبد الله بن المبارك:

وَمِنَ البَلايَا للْبَلاء عَلامَةٌ ألاَّ يرى لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ
العَبْدُ عَبدُ النَّفْسِ في شَهَوَاتهَا والحُرُّ يَشْبَعُ تَارَةً وَيَجُوعُ

ولابن دريد:

إِذَا طَالَبَتك النَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَة وَكَانَ إِلَيْهَا للخلافِ طَريقُ
فَدَعْهَا وَخَالفْ مَا هَوَيْتَ فإنَّمَا هَوَاكَ عَدُوٌّ وَالخلافَ صَديقُ

ولأبي عبيد الطوسي:

والنَّفْسُ إنْ أعْطَيْتَهَا مُنَاهَا فَاغِرَةٌ نَحْوَ هَوَاهَا فَاهَا

وقال سهل بن عبد الله التستري: هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك اهـ[1] ملخصًا

وقال أيضًا:

إِذَا المرْءُ أعْطَى نَفْسَه كُلَّ مَا اشْتَهَتْ وَلَمْ يَنْهها تَاقَتْ إلى كُلِّ بَاطلِ
وَسَاقَتْ إلَيْه الإثْمَ وَالعَارَ بالَّذي دعَتْهُ إلَيْهِ منْ حَلاوَة عَاجلِ

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٨).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فَسَوِّفْهَا بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذلت لهما وانقادت(١).

والهوى إذا تغلب على العقل أسكره، فلا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وربما زاد تأثيره عليه حتى يقلب عنده الموازين، فيرى الحق باطلاً والباطل حقًا. فنعوذ بالله من الخذلان.

الحالة الثانية: أن تكون الحرب بينهما سجالاً، فمرة يجتذبه الهوى، ومرة يعود إلى رشده، فعلى صاحب هذه الحالة أن يُكثر من أصدقاء الخير الذين يذكرونه إذا نسي وينبهونه إذا غفل، ويرشدونه إذا جهل، وينشِّطونه إذا كسل، ويقوونه إذا ضعف، ويأخذون بيده إلى الطريق المستقيم، وعليه أيضًا أن يلبس درع الحرب، ويشد عليه سلاحه وينزل ميدان النفس؛ ليجاهد جند الهوى.

قال الحسن البصري رحمه الله: أفضل الجهاد: جهاد الهوى، وقال المصطفى ﷺ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا والذُّنوب**»(٢).

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعضهم: خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه. وعليه أن يستميت في الجهاد لأن الغنيمة ثمينة«**ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَة، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ**»(٣).

---

(١) أدب الدنيا والدين: (١٥، ١٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢١) بإسناد صحيح وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٤٩).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧)، والبيهقي (٧/ ٣٥٨/ ١٠٥٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٨) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم (٩٥٤) و«صحيح الجامع» (٦٢٢٢).

وعليه أن يصبر وإن طال الجهاد، فحري بالمجاهد أن ينتصر، وبالصابر أن يفوز وبالراغب أن ينال.

وعليه أن يستعين بالله على نفسه وهواه؛ لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعليه أن يدعو بدعاء إمام المجاهدين ﷺ: «نعوذُ بالله منْ شُرُور أنْفُسنَا وَسيئَات أعْمَالنَا»[1] وقوله: «اللَّهُمَّ آت نَفْسي تَقْوَاهَا وزَكِّهَا أنْتَ خَيْر مَنْ زكاهَا، أنتَ وَليُّهَا وَمَوْلاَهَا» رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم[2].

الحالة الثالثة:

أن يتغلب على الهوى فيكبته ويقهره، ويكبح جماحه، ويوجهه نحو الشرع فبه يستضيء، وعلى طريقه يسير، وبرسوله يقتدي، وهؤلاء هم المستقيمون الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، الذين تمثلوا قول النبي ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ بالله، ثُمَّ اسْتَقمْ»[3] وهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[4].

يقول سيد قطب رحمه الله: والذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري، قاده خوف هذا المقام إلى الندم والاستغفار والتوبة، فظل في دائرة الطاعة.

ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز، في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، وقلَّ أن يؤتى إنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقلّ أن يثبت غير هذا

---

(١) **صحيح:** أبو داود (٢١١٨) في «النكاح»، باب في خطبة النكاح، والترمذي (١١٠٥) في «النكاح» والنسائي (٣/ ١٠٥) في «الجمعة»، وابن ماجه (١٨٩٢) في «النكاح».

(٢) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٢٧٢٢) في «الذكر والدعاء»، باب: ما يقول عند النوم، النسائي (٨/ ٢٦٠) في «الاستعاذة»، والترمذي (٣٥٦٧) في «الدعوات»، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٧١).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٣٨) في «الإيمان»، باب: جامع أوصاف الإسلام.

(٤) سورة النازعات الآية (٤٠ - ٤١).

الحاجز أمام دفعات الهوى، ومن ثم يجمع بينهما السياق القرآني في آية واحدة فالذي يتحدث هنا هو خالق هذه النفس، العليم بدائها، الخبير بدوائها، وهو وحده الذي يعلم دروبها، ومنحنياتها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها، وكيف تُطارد في مكامنها ومخابئها.

ولم يُكلف الله الإنسان ألا يشتجر في نفسه الهوى، فهو سبحانه يعلم أن هذا خارج عن طاقته، ولكنه كلّفه أن ينهاها ويكبحها ويمسك بزمامها، وأن يستعين في هذا بالخوف، الخوف من مقام ربه الجليل العظيم المهيب، وكتب له بهذا الجهاد الشاق الجنة مثابة ومأوى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[(1)] ذلك أن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد، وقيمته كذلك في تهذيب النفس البشرية وتقويمها ورفعها إلى المقام الأسنى.

إن الإنسان إنسان بهذا النهي، وبهذا الجهاد، وبهذا الارتفاع، وليس إنسانًا يترك نفسه لهواها، وإطاعة جواذبه إلى دركها، بحجة أن هذا مركّب في طبيعته، فالذي أودع نفسه الاستعداد لجيشان الهوى، هو الذي أودعها الاستعداد للإمساك بزمامه، ونهى النفس عنه، ودفعها عن جاذبيته وجعل له الجنة مأوى حين ينتصر، ويرتفع ويرقى اهـ[(2)].

١٣ ـ سوء الظن:

إن سوء الظن من الفخاخ التي يصطاد بها الشيطان قلوب العباد، لأن سوء الظن من عوامل تفكيك الجماعات، وإفساد العلاقات، وتقطيع أواصر المحبة، وفي هذا الجو المظلم يستطيع الشيطان أن يعمل عمله، وينفذ خطته، فيصطاد المسلمين واحدًا تلو الآخر، لأنهم تفرقوا ولم يجتمعوا، وتفككوا ولم يعتصموا، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ مِنكُمْ أَنْ يَنَالَ بحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيلْزَمِ الجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِد، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**» رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب[(3)].

---

(١) سورة النازعات الآية (٤١).

(٢) الظلال: (٦/ ٣٨١٩).

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**: الترمذي رقم (٢١٦٥) في «الفتن»، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨، ١٦)، الحاكم في «المستدرك» وصححه ووافقه الذهبي، والألباني وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في «التعليق على المسند».

ولذلك يجتهد الشيطان في التفريق بين الأحبة، وتشتيت الصحبة، ولكن النبي الرحيم - صلوات الله وسلامه عليه - نبّهنا إلى هذا المدخل الخبيث من مداخل اللعين فقال: «**إيَّاكُمْ وَالظَّنّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وكُونُوا عِبَادَ الله إخوانًا**» رواه البخاري واللفظ له، ومسلم وأبو داود والترمذي[(١)] .

قال الحافظ: قال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها، وكمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد أن يتحقق فيتجسس ويبحث ويستمع، فنهى عن ذلك وهذا الحديث يوافق قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾[(٢)] . فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة؛ لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان: أبحث لأتحقق، قيل له: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ فإن قال: تحققت من غير تجسس، قيل له ﴿ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ اهـ[(٣)] .

قال القرطبي رحمه الله: الظن في الشريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه، المذموم ضده، بدلالة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ وقوله: ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾[(٤)] .

قال: والذي يُميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تُعرف له أمارة صحيحة، وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاة، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهر بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث. وعن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَعِرْضَهُ، وأنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ**»[(٥)، (٦)] اهـ.

---

(١) **متفق عليه** البخاري رقم (٥١٤٣) في «النكاح»، باب: لا يخطُب على خطبة أخيه، ومسلم رقم (٢٥٦٣) في «البر والصلة»، باب: تحريم الظن والتجسس.
(٢) سورة الحجرات الآية (١٢).
(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٨١).
(٤) سورة النور الآية (١٢).
(٥) رواه ابن ماجه بنحوه وسنده ضعيف.
(٦) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٣٢).

قال ابن كثير رحمة الله عليه: وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه قال: ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً[(١)].

روىٰ أبو داود بسند جيد عن زيد رضي الله عنه قال: أُتي ابن مسعود رضي الله عنه برجل، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد الله رضي الله عنه: إنا نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به.

ولما كان ظن السوء مُفسدًا للمجتمع المسلم فقد أمرنا الله باجتنابه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[(٢)].

يقول سيد قطب رحمه الله: وتبدأ الآية بهذا النداء الحبيب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم تأمرهم باجتناب كثير من الظن، فلا يتركوا أنفسهم نهبًا لكل ما يهجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك، وتعلل هذا الأمر: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وما دام النهي منصبًا علىٰ أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيء أصلاً، لأنه لا يدرىٰ أي ظنون تكون إثمًا.

بهذا يُطهر القرآنُ الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيء فيقع في الإثم، ويدعه نقيًا، بريئًا من الهواجس والشكوك، أبيض يُكنُّ لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروع الحياة في مجتمع بريء من الظنون. اهـ[(٣)].

والظن خواطر تقع في القلب ربما لا يستطيع الإنسان دفعها فيجب عليه أن يضعفها بظن الخير، فإن لم يستطع فعليه أن يتذكر عيوبه وخفايا ذنوبه؛ لينشغل بها عن عيوب الناس. فإن لم يستطع أن يدفع الظن السيء بذلك فعليه أن لا يتكلم به، أو يبحث عن تحقيقه، وبهذا يسلم من الإثم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَتَكَلَّمْ**» متفق عليه[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).
(٢) الحجرات: (١٢).
(٣) الظلال: (٦/ ٣٣٤٥).
(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٥٢٦٩) في «الطلاق»، باب: الطلاق في الأغلاق، ومسلم رقم (١٢٧) في «الإيمان»، باب: تجاوز الله عن حديث النفس.

١٤ ـ احتقار المسلم:

إن احتقار المسلم والسخرية من أعظم الذنوب عند الله تعالى، ولذلك يقول النبي ﷺ[١] «بِحَسْبِ امرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يحقر أخَاهُ المُسْلمَ» حتى وإن وقع من المسلم شيء خارج عن الآداب الاجتماعية؛ يجب أن يلتمس له الأعذار.

ففي صحيح البخاري: عن عبد الله بن زمعة قال: «نَهَى النَّبيُّ ﷺ أنْ يَضْحَكَ الرَّجُلُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الأنْفُسِ؟!»[٢] يعني - الفساء والضراط - بدليل الرواية الأخرى للبخاري من حديث عبد الله بن زمعة أيضًا ثم وعظهم في الضرطة فقال: «لِمَ يَضْحَكُ أحَدُكُمْ مما يَخْرجُ منْهُ؟!»[٣].

فيجب أن يكون الاحترام والتقدير متبادلاً بين أفراد المجتمع المسلم ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾[٤].

توجيهات إلهية لصلاح المجتمع المسلم، وتنقيته من شوائب الشحناء والبغضاء لو تمسك بها أفراده لانتشر الحب بينهم وغمرت السعادة قلوبهم.

يقول القرطبي: ينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله. ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلاً يرضع عنزًا فضحكت منه، لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع.

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٥٦٤) في «البر والصلة»، باب تحريم ظلم المسلم، وأبو داود (٤٨٨٢) في «الأدب»، والترمذي (١٩٢٧) في «البر»، وابن ماجه (٤٢١٣) في «الزهد» ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١) وهو في «صحيح الجامع» (٧٢٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٠٤٢) في «الأدب»، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وبنحوه مسم رقم (٢٨٥٥) في «الجنة»، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٩٤٢) في تفسير سورة الشمس، ومسلم رقم (٢٨٥٥) في «الجنة»، باب النار يدخلها الجبارون.

(٤) سورة الحجرات الآية (١١).

وعن عبد الله بن مسعود: البلاء مُوكل بالقول، ولو سخرت من كلب؛ لخشيت أن أحوَّل كلبًا. اهـ[(١)] .

هذا من ناحية العيوب الخلقية، أما من ناحية التفريط في أمر من أمور الدين فلا يوجب ذلك احتقاره والاستهزاء به والسخرية منه، ولكن تبغض عمله السيئ وتدعوه إلى الإقلاع عنه بالحكمة والموعظة الحسنة فقد قال النبي ﷺ: **«إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إلى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»** [(٢)] رواه مسلم.

يقول القرطبي رحمه الله: وهذا حديث عظيم يترتب عليه أن لا يقطع بعيب أحد لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة فلعل من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفًا مذمومًا لا تصح معه تلك الأعمال.

ولعل من رأينا عليه تفريطًا أو معصية، يعلم الله من قلبه وصفًا محمودًا يغفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنية، لا أدلة قطعية، ويترتب عليه عدم الغلو في تعظيم من رأينا عليه أعمالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة، بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات المسيئة، فتدبر هذا فإنه نظر دقيق، وبالله التوفيق[(٣)]. اهـ.

وما قاله القرطبي - رحمه الله - في التفريق بين بغض الذنب وبغض المذنب دقيق فعلاً، قلما ينتبه إليه كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، ويؤيده [(٣)] قول النبي ﷺ: **«فوَ الذي لاَ إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّة، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ فَيَسبق عَلَيْه الكتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّار، فَيَدخُلُهَا، وإنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّار، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَه وبَيْنَهَا إلاَّ ذرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْه الكتَابُ فَيَعْمَلُ بعَمل أهْلِ الجَنَّةَ فيَدْخُلُهَا»** [(٤)] متفق عليه.

ولكن ربما استشكل فهم هذا الحديث على البعض، والمعنى - والله أعلم - أن الرجل يُظهر الأعمال الصالحة للناس وإن قلبه مليء بالرياء والنفاق، فالظاهر للناس

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٥).

(٢) **صحيح**: مسلم رقم (٢٥٦٤) في «البر والصلة»، باب: تحريم ظلم المسلم.

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٧).

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٢٠٨) في «بدء الخلق»، باب ذكر الملائكة، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في «القدر»، باب كيفية خلق الآدمي.

أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن الله يعلم ما خفي عنهم من خبث باطنه؛ ولذلك يختم له بعمل سيء، والأعمال بالخواتيم.

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار من الذنوب والمعاصي وغيرها، ثم يتوب توبة صادقة خالصة ويبدأ مع الله عهداً جديداً مليئاً بالطاعات والقربات، فيقبل الله توبته لعلمه بإخلاص نيته، وصفاء قلبه، ويختم له بعمل صالح، والأعمال بالخواتيم.

ويؤيد ذلك حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ - فِيما يَبْدُو للنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ - فِيمَا يَبْدو للنَّاسِ - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[١].

ويوضح هذا ما رواه مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل الناس يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَة عَلَيْه، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيكَ حَتّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنّكَ قَاتَلْتَ؛ لأنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قيل، ثُمَّ أَمَرَ به فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّار، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرأ القُرآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ فيها؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ، وقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكنّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وقَرأتَ القرآن لِيُقَالَ هُوَ قَارئ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أمرَ به فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّار، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْه وأَعطَاهُ، مِنْ أَصْنَاف المَال، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيل تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلا أَنْفَقْتُ فِيها لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكنّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أمَرَ بِه فَسُحِبَ عَلَى وَجهه، حَتَّى أُلْقِي في النَّار**».

والمقصود أن الرجل لا يغتر بطاعته فيحتقر غيره من العاصين، فإنه لا يدري بماذا سيختم له؟ والأعمال بالخواتيم.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٨٩٨) في «الجهاد»، باب لا يقول فلان شهيد، ومسلم رقم (١١٢) في «الإيمان» باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) **صحيح**: مسلم رقم (١٩٠٥) في «الجهاد»، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

١٥ ـ احتقار الذنوب:

ومن مداخل الشيطان أيضًا أنه يأتي للمسلم ويقول له: هذا ذنب صغير، هذا هين، حتى يوقعه فيه، فبالتهاون ارتكبت كثير من الذنوب، وانتهكت حرمات الله.

ولكن المسلم العاقل يحترز من الذنوب صغارها وكبارها، لأن اقتراف الصغيرة يجر إلى الكبيرة، بل إن الصغائر إذا اجتمعت على الرجل أهلكته.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَذَا بِعُودٍ، حتى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا به خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ**» قال الحافظ رواه أحمد بإسناد حسن(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِن عَادَ زِيدَ فيهَا، حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الذي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه(٢).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُه**» قال الحافظ المنذري: رواه النسائي بإسناد صحيح(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب الرجل ينسى العلمَ كما تَعَلَّمَهُ للخطيئة يعملها أخرجه الطبراني.

بل إن التهاون بالذنوب من علامات ضعف الإيمان؛ لأن العبد كلما قوي إيمانه زاد خوفه، واشتد تحرزه من الذنوب، ففي صحيح البخاري(٤) عن أنس رضي الله عنه

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١) قال الهيثمي (١٠/ ١٩٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وله شاهد عند أحمد في «المسند» أيضًا (١/ ٤٠٢) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٦) و«الصحيحة» (٣٨٩).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٣٣٣٤) في «التفسير»، باب: ومن سورة ويل للمطففين، وابن ماجه (٤٢٤٤) في «الزهد» باب: ذكر الذنوب، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه: رقم (٤٠٢٢) في «الفتن»، باب: العقوبات، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧ , ٢٨٠) بإسناد حسن لأجل عبد الله بن أبي الجعد.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٤٩٢) في «الرقاق»، باب: ما يتقى من محقرات الذنوب.

قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنَّا كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات قال البخاري رحمه الله: يعني بذلك المهلكات[(١)] .

وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظم من عصيت، ولقد بلغ من شدة تحرز الصحابة - وهم أقوى هذه الأمة إيمانًا، وأتقاها قلوبًا - أنهم كانوا يخافون النفاق على أنفسهم.

قال البخاري: وقال ابن مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[(٢)] .

فيجب على العبد الذي يريد النجاة أن لا يتهاون بالصغائر فقد قال النبي ﷺ[(٣)] لعائشة رضي الله عنها: «**إيَّاكِ ومُحَقَّرَاتِ الذُّنوبِ، فإنَّ لها مِنَ اللهِ طَالبًا**» رواه النَّسائي وابن ماجه، والدارمي، وإسناده لا بأس به.

وأخرج أسد بن موسى في «الزهد»، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها، وينسى المحقرات، فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مُشفقًا حتى يلقى الله آمنًا.

١٦ - الأمن من مكر الله:

من الناس من يقيم على المعاصي، فإذا نصحته رد عليك بقوله: «الله غفور رحيم» ولقد نسى هذا المسكين أن عذابه هو العذاب الأليم فقد قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[(٤)] فالله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، ولكن العاصين لهم عذاب أليم، فلا تغتر أيها العبد برحمة الله ولا تأمن مكره ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[(٥)] .

ومكر الله: استدراجه بالنعمة والصحة[(٦)] .

(١) فتح الباري (١١/ ٣٢٩).
(٢) البخاري «كتاب الإيمان»، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.
(٣) **صحيح**: ابن ماجه رقم (٤٢٤٣) في «الزهد»، باب: ذكر الذنوب، والدارمي (٢/ ٣٠٣) وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧٠) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٣).
(٤) سورة الحجر الآية (٤٩، ٥٠). (٥) سورة الأعراف الآية (٩٩).
(٦) تفسير القرطبي: (٧/ ٢٥٤).

والأمن من مكر الله يورث الغفلة، والغفلة تورث التهاون، وما أدراك ما التهاون؟! هو سلم الشيطان وسبب من أسباب الخسران، فمن تهاون في أمر من أوامر الله، جره الشيطان إلى ما هو أكبر منه، وهكذا حتى يوقعه في شباك المعاصي.

فلا بد للنفس من خوف يردعها عن المعاصي ويصدها عن المحارم، بل إن المؤمن كلما ازداد إيمانًا، ازداد خوفًا وشفقة على نفسه، ولذلك حكى الله عز وجل عن المؤمنين في الجنة قولهم: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[1] .

ولذلك يقول الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِلٌ خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» رواه البخاري[3] .

ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله الْجَنَّةُ**» رواه الترمذي وحسنه.

يقول المنذري - رحمه الله - ومعنى الحديث: أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة، والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعلائق. اهـ[4] .

وروى الحاكم عن بهز بن حكيم قال: أمَّنا زرارة بن أوفى رضي الله عنه في مسجد بني قشير، فقرأ المدثر، فلما بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[5] خر ميتًا.

وكيف تأمن مكر الله وأمامُنا يوم تشيب فيه الولدان؟.

---

(١) سورة الطور الآية (٢٦، ٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٤٦٢١) في «التفسير»، باب قوله: «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم».

(٤) **حسن**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧)، والبيهقي (٧/ ٣٥٨/ ١٠٥٧٧) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٨) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٤) وصحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٥) المدثر: (٨).

يوم نقف أمام الله حفاة عراة، فيسألنا عن كل كبيرة وصغيرة، وكل حركة وسكنة، ولعمر الله إن الأمر عظيم، والخطب جليل.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّار عَذَابًا يَوْمَ القيَامَة لَرَجُلٌ تُوضَعُ في أخْمص[1] قَدَمَيْه جَمرةٌ يَغْلي منْهَا دماغُه»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ، قالَ: يَقُولُ: أخْرِجْ بَعْثَ النَّار، قالَ: ومَا بَعْثُ النَّار؟قال: منْ كُلِّ ألف تسْعمَائَة وَتسْعَة وَتسْعين، فَذَاكَ حينَ يَشيبُ الصَّغير وتضَعُ كُل ذات حَملَ حَمْلها، وترَى النَّاسَ سُكَارَى وَما هُم بسُكَارَى ولَكنَّ عذابَ الله شَديدٌ». فاشتدَّ ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل، قال: «أبشرُوا فإنَّ من يأجُوج ومأجُوج ألفًا ومنكُمْ رجُلٌ» ثم قال «والذي نفسي بيده إنِّي لأطمَعُ أن تكونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّة»، قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنِّي لأطمَعُ أن تكونوا شطرَ أهْلِ الجنة إنَّ مثلكُم في الأمم كمثَلِ الشَّعْرة البَيضَاء في جلد الثور الأسْودَ أو الرقمَة في ذراع الحَمار»[3].

١٧ ـ القنوط من رحمة الله:

فإذا لم يستطع الشيطان أن يدخل للعبد من باب الأمن من مكر الله شدد عليه الأمر حتى ييأس ويقنط من رحمة الله، فيقول له: إن ذنوبك كثيرة وعظيمة لا يمكن أن تغفر، ولا يمكن أن تدرك رحمة الله، فيظل خلف العبد حتى يقنط، فإذا قنط قال له: إذًا فتمتع من الدنيا بما تشاء قبل الموت ما دمت داخلاً النار لا محالة، بهذه الطريقة يستدرج العبد حتى ينطلق في المعاصي والشهوات ليقضي نهمته منها.

فعلى العبد أن يسد هذا المدخل بتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء، فالله يقبل توبة الكافر إذا تاب وأسلم فكيف لا يقبل توبة المسلم الذي أذنب؟!

---

(١) أي باطن قدميه الذي لا يصل إلى الأرض عند المشي.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٥٦١) في «الرقاق»، باب: صفة الجنة والنار.

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٥٣٠) في «الرقاق»، باب قوله عز وجل ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ ومسلم رقم (٢٢٢) في «الإيمان»، باب قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار».

وقد قيل:

يا كـثـيـر الـذَّنْب: عَـفْـو الـله من ذنبـكَ أكْـبَـر
ذَنْبكَ أعـظمُ الأشْـيَـاء في جَـانب عَـفْـو الله تُغْـفَـر

وقد فتح الله باب التوبة لكل عباده وأطمعهم في رحمته فناداهم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(١).

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ:

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين، الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيم بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ... ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم، ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، وإنه جاد كل الجد في عمله الخبيث، ويعلم، أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واه، وأنه مسكين سُرعان ما يسقط، إذا أفلت من يده الحبل الذي يربطه، والعروة التي تشده، وأن ما رُكب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك، ويوقعه في المعصية، وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم.

يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصية حتى يهيئ له جميع الوسائل؛ ليصلح خطأه، ويقيم خُطاه على الصراط.

وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل، في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة النَّديَّ اللطيف:

---

(٢) سورة الزمر الآية: (٥٣).

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١) .

وإذا ما علمنا سبب نزول هذه الآية رأينا سعة رحمة الله للعالمين جميعًا .

يقول ابن عباس رضي الله عنه(٢) : إن ناسًا من أهل الشرك قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣) ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[الزمر: ٥٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يبسُطُ يدهُ بالليل ليتوبَ مُسيء النَّهار ويبسُطُ يدهُ بالنَّهار ليتوبَ مُسيء الليل حتَّى تَطلعَ الشمسُ من مغربهَا» رواه مسلم(٤).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله - عز وجلَّ - يقبلُ توبَة العبْد ما لم يُغَرغر» رواه الترمذي وقال: حسن غريب(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يضحَكُ الله إلى رجُلين يقتُلُ أحدُهما الآخر، يدخُلان الجَنَّةَ يقاتِلُ هذا في سبيلِ الله فيقتَلُ، ثم يتوبُ اللهُ على القاتلِ فيسْلمُ فيُستَشهدُ»(٦).

---

(١) الظلال: (٥/٣٥٨) والآية من سورة الزمر: (٥٣).

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٤٨١٠) في «التفسير»، باب قوله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا﴾ ومسلم رقم (١٢٢) في «الإيمان»، باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

(٣) سورة الفرقان الآية (٦٨ - ٧٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٥٩) في التوبة باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

(٥) حسن: الترمذي رقم (٣٥٣٧) في «الدعوات»، وابن ماجه رقم (٤٢٥٣) في «الزهد»، باب: ذكر التوبة، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٤٩).

(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٢٨٢٦) في «الجهاد والسير»، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، ومسلم رقم (١٨٩٠) في «الإمارة»، باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجلٌ قَتَل تسعَةً وتسْعِينَ نفسًا. فسَألَ عَنْ أعلَم أهلِ الأرض، فَدُلَّ عَلَى رَاهِب، فأتاهُ فَقَالَ: إنَّهُ قَتَل تسعَةً وَتسعين نفسًا فَهَلْ لَهُ من توبَة، فَقَالَ، لاَ، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مائةً ثُمَّ سَألَ عَنْ أعلَم أهلِ الأرض، فَدُلَّ عَلى رَجُل عَالم، فَقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ مائة نَفسٍ، فَهَلْ لَهُ من تَوْبَة؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَة؟ انطَلق إلى أرْضِ كذَا وَكَذَا، فإنَّ بهَا أنَاسًا يعْبُدونَ الله ـ تَعَالَى ـ فَاعْبُد الله مَعهُم، ولاَ ترْجع إلى أرضِكَ فَإنَّهَا أرضُ سَوء، فَانطَلقَ حَتَّى إذَا نَصَفَ الطَّريقُ أتَاهُ المَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فيه ملاَئكةُ الرَّحْمَة وَمَلائكَة العَذَاب فَقَالَت ملائكَة الرَّحمَة: جَاء تائبًا مقبلاً بقَلبه إلى الله، وقالَت ملائكة العَذَاب: إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَة آدَمي، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ـ أيْ حَكَمًا ـ فَقَالَ: قيسُوا مَا بيْنَ الأرْضيْن، فَإلَى أيتهما كَانَ أدْنَى فَهوَ لَهُ، فَأوْحَى الله إلى هَذه أنْ تَبَاعَدي، وإلى هَذه أنْ تَقَرَّبي، فقَاسوا فَوَجَدُوه أدْنَى إلى الأرْض الَّتي أراد، فَقَبَضَتْهُ ملائكَةُ الرَّحْمَة»[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ الله تعالى: يا ابن آدمَ إنكَ ما دعَوتَني ورجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ منكَ، يا ابنَ آدَمَ: لوَ بَلَغت ذنوبُكَ عَنَانَ السَّماء ثم استَغفرتني غفرتُ لكَ، يا ابنَ آدَم لو أتيتني بقُراب الأرْض خَطايا ثُمَّ لَقيتني لا تُشْركَ بي شَيْئًا لأتيتُك بقُرابها مَغْفرةً» رواه الترمذي وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[2] .

ويكفيك أن تعلم أن الله ـ تعالى ـ تاب على وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ [3]

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٣٤٧٠) في أحاديث الأنبياء، باب: ٥٤، ومسلم رقم (٢٧٦٦) في «التوبة» باب: قبول توبة القاتل.

(٢) حسن: الترمذي رقم (٣٥٤٠) في «الدعوات»، باب: في فضل التوبة والاستغفار وفي سنده كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان، ورواه الدارمي (٢/ ٣٢٢) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٧٢) وحسنه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (١٢٧).

(٣) انظر لباب النقول (١٨٥).

فهل بعد ذلك من يأس أو قنوط؟! لا، والله ولكنها حيلة من حيل الشيطان وشبكة من شباكه.

فلا تيأس، وإن عظم ذنبك، وكثرت معاصيك فإن عفو الله أعظم، ولكن تب وارجع إلى ربك وقل:

يَا رَبِّ إن عَظُمتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعْظَمُ
إنْ كَانَ لا يَرْجُوكَ إلا مُحْسِنٌ مَنْ ذَا الَّذي يَدْعو ويَرْجُو الْمُجْرِمُ
مَالِي إلَيْكَ وَسِيلَةٌ إلا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إنِّي مُسْلِم

* * *



الفصل السادس

تحصينات الإنسان ضد الشيطان

تحصينات الإنسان ضد الشيطان

الحصن الأول: الإخلاص

إن تحقيق الإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان باعترافه هو، حيث يقول تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[١] فقد اعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين.

فمن المخلص؟

هو الذي يعمل، ولا يحب أن يحمده الناس[٢].

وقال يعقوب المكفوف: من يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته.

وما الإخلاص:

قال سهل: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى.

وقال إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله.

وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

وقيل: الإخلاص دوام المراقبة، ونسيان الحظوظ كلها.

وقال النبي ـ ﷺ ـ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لاَ يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[٣] رواه النسائي وصححه الألباني[٤].

وقال الجنيد: إن لله عباداً عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البرّ أجمع، ولما كان الإخلاص حصنًا حصينًا

(١) سورة الحجر الآية (٣٩ ـ ٤٠). (٢) القرطبي: (٢٨١).

(٣) حسن: رواه النسائي (٦/ ٢٥) وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٨): إسناده جيد. وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٢).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب: (٦١).

يعصم الإنسان من كيد الشيطان فقد عمل الشيطان بكل قواه، وبجميع حيَله ليخرج الإنسان من حصن الإخلاص.

وإليك هذا المثل الذي يوضح هذه الحقيقة:

يقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: إن الشيطان يُدْخل الآفة على المصلِّي وإن حاول الإخلاص فيها، فإذا نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل، فيقول له: حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، ولا يزدريك، ولا يغتابك فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته، وهذا هو الرياء الظاهر، **وهذه الدرجة الأولى.**

الدرجة الثانية:

يكون العبد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذْره، فصار لا يطيع الشيطان فيها، ولا يلتفت إليه، ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير، ويقول له: أنت متبوع ومقتدىً بك، ومنظور إليك، وما تفعله يؤثر عنك، ويتأسىٰ بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، وعليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك بين يديه، فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة، وهذا أخطر من الأول، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول، وهو أيضًا عين الرياء ومبطل للإخلاص. فإنه إن كان يرىٰ الخشوع وحُسن العبادة خيرًا لا يرضىٰ لغيره تركه. فلماذا تركه في الخلوة؟! وهل يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه؟! فهذا محض التلبيس.

الدرجة الثالثة:

وهي أدق مما قبلها: أن يجرّب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان، ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ والمشاهدة، ويستحيي من ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعًا زائدًا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة، ويحسن صلاته على الوجه الذي يرضيه في الملأ، ويصلي في الملأ أيضًا كذلك، فهذا أيضًا من الرياء الغامض، لأنه حسَّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ، فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق.

بل الإخلاص: أن تكون مشاهدة البهائم صلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فكأن نفس هذا لا تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلا والملأ. وهيهات بعد زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق، كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا والملأ جميعًا.

وهذا من شخص مشغولا لهمّ بالخلق في الملأ والخلا جميعًا، وهذا من المكايد الخفية للشيطان.

الدرجة الرابعة:

وهي أدق وأخفى وهي أن ينظر الناس إليه - وهو في صلاته - فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تفطن لذلك، فيقول له الشيطان: تفكر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، واستح من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه، ويظن أن ذلك عين الإخلاص، وهو عين المكر والخداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله؛ لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره.

وعلامة الأمن في هذه الآفة: أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سببًا، فما دام يفرّق في أحواله بين مشاهدة إنسان أو مشاهدة بهيمة فهو يعد خارجًا عن صفو الإخلاص مدنَّسَ الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره، وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته. اهـ (ملخصًا)(١).

فينبغي على العبد أن يتفقد أحواله قبل العمل وأثناءه لينظر: هل دافعه إلى العمل هو إرادة وجه الله فقط أم هناك دافع آخر في حظوظ النفس وأهوائها؟

---

(١) الإحياء: (٢٧٢٠).

كمن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يحج ليتنزه، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله ورحله، أو يتعلم العلم ليكون عزيزًا بين الأهل والعشيرة، أو يعمل بالوعظ ليتلذذ بالكلام، أو يتصدق على سائل ليتخلص من ذمه، أو يعود ليعاد إذا مرض، أو يُشيع جنازة ليشيع جنائز أهله ويشيعها إرضاءً لأهل الميت.

وبالجملة: كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب - قل أم كثر - إذا تطرق إلى العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه، ولذلك كان الإخلاص من أشد الأعمال وأصعبها، ولا يكون هذا سببًا في ترك العمل، فإن ذلك هدف الشيطان وغايته بل يجب عليك أن تجتهد في تنقية العمل ولا تتركه خوف الرياء.

كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله - ﷺ - عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال - ﷺ -: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»[١] رواه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه، ولقد جمع الله كل ذلك في قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٢][٣].

الحصن الثاني:
تحقيق العبودية لله وحده

لما أقسم الشيطان للرحمن أنه سيغوي آدم وذريته، ردَّ الله عليه مبيِّنًا أن هناك طائفة لا يستطيع أن يسيطر عليها فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٤] ممن حقق العبودية لله وحده فلا سلطان للشيطان عليه، ونلاحظ أن الله أضاف كلمة

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٢٨١٠) في «الجهاد»، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ومسلم رقم (١٩٠٤)، في الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

(٢) سورة البينة (٥). (٣) من أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى محاضرة (كيف تكون مخلصًا).

(٤) سورة الحجر الآية (٤٢).

العباد إليه تعالى: ﴿عِبَادِي﴾، إما إضافة تشريف أو تخصيص، لأنهم خصوه بجميع أنواع العبادة، ولم يصرفوا شيئًا منها لغيره.

ولكن ما العبادة؟

العبـادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وأقسام العبادة أربعة هي:

القسم الأول: العبادة البدنية: كالصلاة، والصيام، والركوع، والسجود، والحج، والطواف.

القسم الثاني: العبادة المالية: كالذبح، والنذر، والزكاة، والصدقة.

القسم الثالث: العبادة القلبية، كالخشوع، والخضوع، والذل، والانكسار، والإخبات، والمحبة، والتوكل، والاستعانة، والخوف، والرجاء، والتعظيم، والرهبة.

القسم الرابع: العبادة القولية: كالحلف، والاستغاثة، والدعاء، والاستعاذة.

فهذه كلها عبادات يجب أن تصرف لله ـ عز وجل ـ ولا يجوز أن يصرف شيء منها لسواه ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلاً أو وليًا صالحًا، فكما لا يجوز الركوع والسجود إلا لله، كذلك لا يجوز الطواف إلا بالكعبة، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١) فلا يجوز الطواف بقبر أو غيره، وكذلك الذبح لا يجوز لغير الله لقوله ـ ﷺ ـ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله»(٢) رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «دَخَلَ رَجُلٌ الجنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ» قالوا: وكيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يُجَاوِزُهُ أحَدٌ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا. فَقَالُوا لأحَدِهِمَا: قَرِّبْ، فَقَال: لَيْسَ

---

(١) سورة الحج الآية (٢٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٩٨٧) في «الأضاحي»، باب: تحريم الذبح لغير الله.

عندي شيءٌ أقرِّب، قالوا لَهُ: قَرِّبْ ولَو ذبابًا، فقَرَّبَ ذُبَابًا، فخَلُّوا سبيله، فدَخَل النَّارَ، وَقالوا للآخَر قرِّب، فقَال: مَا كُنْتُ لأقَرِّبَ لأحَدٍ شَيْئًا دُونَ الله عزَّ وجَل، فَضَربُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجنَّةَ»(١) رواه أحمد.

وقال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(٢) أي كما تصلي لربك فلا تصل لسواه، انحر لربك ولا تنحر لسواه، والنحر هو الذبح، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣) والنُسك: هو الذبح أيضًا.

وكذلك النذر يجب أن يكون خالصًا لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾(٤).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أنْ يُطيعَ الله فَلْيُطِعْه، ومَنْ نَذَرَ أنْ يَعْصِيَ الله فَلا يَعْصه» (٥) رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، ومالك.

كذلك الخشوع والخضوع والذلة يجب أن تكون لله وحده، ولكننا نرىٰ أناسًا يصرفونها لغير الله كأولئك الذين يخرُّون علىٰ أعتاب الأضرحة، ويبكون، ويتضرعون، ويخشعون كأنهم في صلاة، بل أشد.

والمحبة كذلك يجب أن تكون لله خالصة صادقة، لأن مُدعي المحبة كثيرون. إنما محققها قليل فكيف يدّعي المحبة رجل يُقدم أمر رئيسه أو زوجته أو ولده علىٰ أمر الله ؛ أو كيف يدّعي محبة الله رجل مقيم علىٰ معصية الله، واسمع إلىٰ قول الشافعي:

تعصي الإلَهَ وأنتَ تُظهرُ حُبّهُ ... هَذا مُحَالٌ في القيَاس بَديعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادقًا لأطَعتهُ ... إنَّ المحبَّ لمَنْ يُحبُّ مُطيعُ(٦)

---

(١) صحيح موقوفًا: رواه أحمد في «الزهد» (١٥، ١٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) كلاهما موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي.
(٢) سورة التكاثر الآية(٢). (٣) سورة الأنعام الآية (١٦٢).
(٤) سورة البقرة: (٢٧٠).
(٥) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٦٩٦) في «الإيمان والنذور»، باب النذر في الطاعة، وأبو داود رقم (٣٢٨٩)، والترمذي (١٥٢٥)، والنسائي رقم (٧/ ١٧)، وابن ماجه (٢١٢٦)، والدارمي (٢/ ١٨٤) ومالك (٢/ ٤٧٦).
(٦) ديوان الشافعي (٨٥).

وعلامة المحبة الصادقة لله ورسوله هي الاتباع ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١) فكثير من مُدعي المحبة إذا وضعوا في ميزان الاتباع تهافتوا ولم يثبتوا.

كذلك التوكل وتعليق القلب لا يكون إلا على الله مّدبر الأمر وخالق الأسباب.

وكذلك الاستعانة لا تكون إلا بالله وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢).

وقال النبي - ﷺ - : «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله»(٣) وتعظيم الله حق على كل مسلم ومسلمة، والتعظيمُ له علامات؛ منها: تعظيمَ أوامر الله وعدم التهاون بها: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٤) فكيف يدّعي تعظيم الله رجلٌ تهاون في حقوق الله، ولم يرْعَها حق رعايتها، وتعدىٰ حدود الله وانتهك محارمه.

كذلك الخوف الحقيقي لا يكون إلا من الله، لأن الخوف من غير الله شرك، وهذا الموضوع فيه تفصيل: فالخوف ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: خوف عبادة وتعظيم، وهذا لا يكون إلا لله.

القسم الثاني: خوف فطري كالخوف من الأسد، أو من النار، أو من رجل مشهر سلاحه، وهذا لا يضر التوحيد والإخلاص.

ومن هنا يتبين الفرق بين الخوفين، كما يتبين لنا أن من ينذر لغير الله - كقبر وَليٍّ مثلاً - ، ويظن أنه إن لم يوفّ بنذره فسيضرُه الولي. فهذا قد صرف الخوف لغير الله وهو خوف عبادة وتعظيم، لأن الفرق بين خوف التعظيم والخوف الفطري أن الأول خوف مع الحب والثاني خوف مع الكراهية، فالأول يخاف من الولي ويحبه، والثاني يخاف من الأسد ويكرهه، وهكذا.

والرجاء كذلك يجب أن يتعلق بالله وحده، فالمؤمن يرجو رحمة الله ويخاف عذابه، فالخوف والرجاء جناحان يطير بهما المؤمن إلى رضوان الله.

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣١).

(٢) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٣) صحيح: الترمذي رقم (٢٥١٦)، في «صفة القيامة»، ورواه أحمد في «المسند»، (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند»، وكذا الألباني في «ظلال الجنة» حديث رقم (٣١٥)

(٤) سورة الحج الآية ٣٢.

والحلف يجب أن يكون بالله لقول النبي -ﷺ-: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(١).

فالحلف بالنبي، أو الوليِّ، أو بالكعبة، أو بأيِّ مخلوق من مخلوقات الله شرك.

لقول النبي -ﷺ- «ألا إنَّ اللهَ ينهَاكُمْ أنْ تَحْلفُوا بآبائكم، ومَن كَانَ حَالفًا فليَحْلفْ بالله أو ليَصْمُتْ»(٢)، رواه الستة، وعن بريدة مرفوعًا: «مَنْ حَلَفَ بالأمَانَة فَلَيْسَ منَّا» رواه أبو داود بسند صحيح(٣).

ويجب على المسلم أن يَصدِّقَ إذا حُلف له بالله فقد قال النبي -ﷺ-: «لا تحلفوا بآبائكم، مَن حُلفَ له بالله فَلْيُصَدِّقْ. ومَنَ حُلفَ لَهُ بالله فَلْيَرْضَ، ومَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ من الله»(٤).

قال الحافظ(٥): ولعل السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بغير الله ذريعة إلى تعظيم المحلوف به.

والدعاء عبادة لقول النبي -ﷺ- «الدُّعَاءُ هُوَ العبَادَةُ» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح(٦).

فمن صرف كل هذه العبادات لله متصفًا بالإخلاص فيها فهو من حزب الله: ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٧) أما من صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله فهو من

---

(١) صحيح: الترمذي رقم (١٥٣٥)، في «النذور والأيمان»، وأبو داود (٢٣٥١) في «الأيمان والنذور»، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤، ٤٧، ٦٧، ٨٧، ١٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي. وهو «صحيح الجامع» رقم (٦٢٠٤)

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٦٦٤٦) في «الأيمان والنذور»، باب: لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم رقم (١٦٤٦) في «النذور والأيمان»، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٨٠) في «الأيمان»، باب«جامع الإيمان»، وأبو داود رقم (٣٢٤٩)، والترمذي (١٥٣٤)، والنسائي (٧/ ٥)، وابن ماجه (٢٠٩٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود رقم (٣٢٥٣) في «الأيمان»، باب: في كراهية الحلف بالأمانة، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٢)، وهو في «صحيح الجامع» (٦٢٠٣).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٠١) وصححه البوصيري في«الزوائد» والألباني في «الإرواء» (٢٦٩٨).

(٥) فتح الباري (١١/ ٥٣٦).

(٦) صحيح: أبو داود رقم (١٤٧٩) في «الصلاة»، باب: الدعاء، الترمذي رقم (٣٣٧٢) في «الدعوات» وابن ماجه (٣٨٢٨) في «الدعاء»، وهو في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

(٧) سورة المجادلة الآية (٢٢).

حزب الشيطان : ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١) .

الحصن الثالث: لزوم الجماعة

إن الالتزام بالجماعة مطردة للشيطان مرضاة للرحمن، فعليك بالجماعة، إنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصيةَ الشاردةَ، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الواحد ؛ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ»(٢) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح.

إذا أراد الرجل أن يسافر سفرًا طويلاً خاصة إذا كان في الصحراء فليصطحب معه غيره؛ لأن النبي - ﷺ - يقول: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، والراكِبَانِ شَيْطَانَانِ، والثلاثَةُ رَكْبٌ»(٣) رواه مالك، وأبو داود، والترمذي، بسند حسن.

وقال النبي - ﷺ - : «لوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا في الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»(٤) رواه البخاري، والترمذي.

ولقد بيَّن لنا النبي - ﷺ - أن التفرق من الشيطان.

فعن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال: كان الناس إذا نزلوا تفرّقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله - ﷺ - : «إنَّ تَفَرّقَكُمْ في الشّعَابِ والأَوْدِيَةِ إنَّمَا ذلكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ» فلَمْ ينزلوا بعد ذلك إلا انضم بعضهم إلى بعض(٥) رواه أبو داود والنسائي.

وقال النبي - ﷺ - «الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذَابٌ»(٦) رواه أحمد وقال الألباني:

(١) سورة المجادلة الآية (١٩).

(٢) **صحيح**: بمجموع طرقه: الترمذي رقم (٢١٦٥) في «الفتن»، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨ - ١٦) والحاكم في «المستدرك»، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني.

(٣) **صحيح**: أبو داود رقم (٢٦٠٧) في «الجهاد»، باب: في الرجل يسافر وحده، والترمذي (١٦٧٤) في الجهاد، ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٨) في «الاستئذان» باب: ما جاء في الوحدة في السفر، وهو في «صحيح الجامع» (٣٥٢٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٢٩٩٨) في «الجهاد» باب: السير وحده، والترمذي (١٦٧٣)، في «الجهاد» باب: ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٢٦٢٨) في «الجهاد»، باب: ما يؤمر من انضمام العسكر، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١١٥) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٦) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٥) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٠٩) والصحيحة (٦٦٧).

إسناده حسن.

والالتزام بالجماعة يقتضي أمرين:

الأول: الالتزام بالجماعة اعتقادًا، وهو أن تكون عقيدتك كعقيدة الجماعة الأولى جماعة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن نهج وسار على طريقهم[(١)].

وكذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه - الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند صحيح.

الثاني: الالتزام بالجماعة صفًا، وهو أن تكون بقلبك وقالبك مع أهل الحق أينما كانوا وحيثما كانوا. وأهل الحق هم الذين قال فيهم النبي ﷺ[(٢)]: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِين عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذلِكَ» متفقَ عليه، واللفظ لمسلم.

ولأهل الحق علامات منها حبهم لأهل الحديث، ولذلك قال العلماء: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث: مثل: يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه فاعلم أنه على الحق وعلى السنة، ومن خالفهم فاعلم أنه مبتدع.

يقول سليم الهلالي: وذلك أن أصحاب الحديث لم ينحرفوا عن المحجة البيضاء النقية، وهم الفرقة الناجية، والطائفة الظاهرة المنصورة. اهـ[(٣)].

ولما سئل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عن هذه الطائفة قال: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري ما هم رواه الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عنه[(٤)].

وكذا قال علي بن المديني، وابن المبارك، والبخاري، والحاكم، والترمذي، وابن

---

(١) راجع العقيدة الطحاوية، والواسطية، والقواعد المثلى في أسماء الله الحسنى.
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٣١١) في «الاعتصام»، باب: قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين» ومسلم رقم (١٩٢١) في «الإمارة».
(٣) مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم (١٤٨).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٩٣).

حجر العسقلاني، والسيوطي، وغيرهم كثير.

ومن علامات أهل الحق أيضًا: عدم تقديمهم قول أحد - كائنًا من كان - على قول رسول الله - ﷺ - ومنها أيضًا أنهم أيضًا يؤمنون بصفات الله - سبحانه وتعالى - دون تشبيه أو تعطيل أو تأويل، ويقولون كما قال الشافعي - رحمه الله - حينما سئل عن الاستواء: آمنت بما قال الله على مراد الله، وبما قال رسول الله على مراد رسول الله. وكما قال مالك: - رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

الحصن الرابع

المحافظة على صلاة الجماعة

إن التهاون في صلاة الجماعة يُجرّئُ الشيطان على الإنسان، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ ثَلاثَة فِي قَرْيَة وَلا بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ، إلاَّ قَدْ اسْتَحوذَ عَلَيهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالجَمَاعَة، فَإِنَّما يأكُلُ الذئبُ مِنَ الغنم القَاصِيَةَ»(١) رواه أبو داود بسند حسن.

والله - عز وجل - يقول: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾(٢).

الحصن الخامس

الالتزام بالكتاب والسنة

يقول الدكتور الأشقر: أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة عملاً وعلمًا، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم، والشيطانُ يُجاهدُ كي يخرجنا عن الصراط قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٥٤٧) في «الصلاة»، باب: التشديد في ترك الجماعة، والنسائي (٢/١٠٦) في «الإمامة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

(٢) سورة المجادلة: (١٩)

بكُمْ عَن سَبيلِه ذَلكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) .

وقد شرح الرسول ـ ﷺ ـ هذه الآية وبيّنها فقد خَطّ ـ ﷺ ـ خطا بيَده، ثم قال «هَذَا سَبيلُ الله مُسْتَقيمًا» وخطّ عن يمينه وشماله ثم قال: «هَذه السُّبُل لَيْسَ منْهَا سَبيلٌ إلا عَلَيْه شَيْطَانُ يَدْعُو إليْه» ثُمَّ قَرأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صرَاطي مُسْتَقيمًا فَاتَّبعُوهُ وَلا تَتَّبعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُمْ عَن سَبيله﴾ رواه أحمد والحاكم وصححه (قلت: وسند أحمد صحيح)(٢) .

قال: فاتباع ماجاءنا من عند الله من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات وترك كل ما نهىٰ عنه يجعل في حرز من الشيطان ولذلك قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا في السِّلْم كَافَّةً وَلا تَتَّبعُوا خُطُوَات الشَّيْطَان إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ﴾(٣) .

والسلم هو الإسلام، وقيل: طاعة الله، وفسره مقاتل: بأنه العمل بجميع الأعمال ووجوه البرّ، وعلىٰ ذلك فقد أمرهم بالعمل بجميع شُعب الإيمان وشرائع الإسلام ما استطاعوا، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، فالذي يدخل في الإسلام مبتعد عن الشيطان وخطواته والذي يترك شيئًا من الإسلام فقد اتبع خطوات الشيطان، ولذلك كان تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله، أو الأكل من المحرمات والخبائث من اتباع خطوات الشيطان التي نُهينا عنها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا ممَّا في الأَرْض حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبعُوا خُطُوَات الشَّيْطَان إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ﴾(٤) . اهـ(٥) .

رویٰ ابن الجوزي بسنده إلىٰ الأعمش: قال حدثنا رجل كان يُكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشدّ ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعبًا . اهـ(٦) .

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

(٢) صحيح: الدارمي (١/ ٦٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥ , ٤٦٥) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٠٨).

(٤) سورة البقرة (١٦٨).

(٥) عالم الجن (١١٦).

(٦) تلبيس إبليس (٣٩).

الحصن السادس

الاستعانة بالله على الشيطان

اعلم أنك لن تستطيع أن تتغلب على الشيطان إلا بإعانة الله لك، وتوفيقه إياك روي عن بعض السلف، أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سَوَّل لك الخطايا؟

قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟! قال: أكابده وأرده جَهْدي، قال: هذا يطول عليك. ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

فإذا أردت أن تتخلص من كيد الشيطان فاستعن بخالقه، يصده عنك ويحميك منه.

الحصن السابع

كثرة الطاعات

إن الإكثار من الطاعات يُرغم أنف الشيطان ويذله.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَرَأَ ابنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيلَهُ، أمِرَ ابْنُ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجنَّةُ، وأمِرتُ بالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فلِي النَّارُ»(١).

الحصن الثامن

الاستعاذة

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله: والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله - تعالى - والالتصاق بجنابه من كل ذي شر، ومعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم، أن يضرني في ديني، أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يَحُثّني على فعل ما نُهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن

(١) **صحيح** رواه مسلم رقم (٨١) في «الإيمان»، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، وابن ماجه رقم (١٠٥٢).

الإنسان إلا الله ولهذا أمر بالاستعاذة من شيطان الجن، لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل، لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه. اهـ ملخصًا(١).

مواضع الاستعاذة:

أولاً: عند الإحساس بنزغات الشيطان ووساوسه قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(٢).

ثانيًا: عند تلاوة القرآن: قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٣) ويبين ابن القيم رحمه الله الحكمة في ذلك فيقول:

١ ـ منهـا: أن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب ما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره فيها الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلي منه القلب ليصادف الدواء محلاً خاليًا فيتمكن منه ويؤثر فيه، فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب وقد خلا من مزاحم ومضاد له فينجع فيه.

٢ ـ ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان يحرق النبات أولاً فأولاً، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأُمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه؛ لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول، لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني، لأجل بقائها وحفظها وثباتها.

٣ ـ ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح، فقال ﷺ عليه الصلاة

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥).
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠٠).
(٣) سورة النحل الآية (٩٨).

والسلام «تَلكَ الملائكةُ»[١] ، والشيطان ضد الملك وعدوه، فأمر القارئ أن يطلب من الله - تعالى - مباعدة عدوه عنه، حتى يحضر خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

٤ - ومنهـــا: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد به المتكلم سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمّل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله - عز وجل - منه :

٥ - ومنهـــا: أن القارئ يناجي الله تعالى بكلامه، والله - تعالى - أشدّ أذنًا للقارئ حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة[٢] إلى قينته، والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء، فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله - تعالى - واستماع الرب قراءته.

٦ - ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته.

فإذا كان هذا فعله مع الرسل - عليهم السلام - فكيف بغيرهم، ولهذا يُغلِّط القارئ تارة ويُخلِّط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا، وربما جمعهما له فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله منه.

٧ - ومنها: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يَهمّ بالخير ويدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ[٣] : «إنَّ شَيطَانًا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٠١٨) في فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ومسلم (٧٩٦) في صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) القينة: المغنية.

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٤٦١) في «الصلاة»، باب: الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ومسلم رقم (٥٤١) في المساجد: باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

تفلَتَ عَلَى البَارحَةَ، فَـأرَادَ أنْ يَقْطَعَ عَلَيّ صَلاَتي - الحديث» كلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله - تعالى - كان اعتراض الشيطان له أكثر .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث سبرة بن أبي الفاكه : أنه سمع النبي - ﷺ - يقول : «إنّ الشيْطَان قَعَدَ لابنْ آدَم بأطرقه فقَعد له بطريق الإسلام فَقَال: أتُسلم وتَذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك فَعَصَاه فأسلم، ثم قَعَد لَه بطَريق الهجرة فقَال: أتهاجر وتَذَر أرضَك وسَمَاءك؟ وإنما مَثل المهَاجر كالفَرس في الطّول فَعَصَاه فَهَاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد - وهو جهاد النفس والمال - فقال: تقاتل فتقتل فتُنكَح المرأة ويُقْسَم المَال؟ قَال: فَعَصَاه فجَاهَد»[١] .

فالشيطان بالمرصاد للإنسان على طريق كل خير ، فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ، ويستعيذ بالله - تعالى - منه أولاً ثم يأخذ في السير ، كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم اندفع في سيره . اهـ مختصراً[٢] .

ثالثًا: الاستعاذة عند دخول الخلاء:

فعن أنس - رضي الله عنه - قال : كان النبي - ﷺ - إذا دخل الخلاء قال : «اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بكَ منَ الخُبُث والخَبَائث»[٣] متفق عليه .

رابعًا: الاستعاذة عند الدخول في الصلاة:

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أنه رأى النبي - ﷺ - يُصلي قال : «اللهُ أكْبَرُ كبيرًا، والحَمْدُ لله كثيرًا، وَسُبْحَانَ الله بُكرَةً وأصيلاً» «ثلاثًا» «أعُوذُ بالله منَ الشَّيْطَان الرَّجيم ، منْ نَفْخه ونَفْثه وهَمْزه»[٤] . رواه أبو داود ، وصححه الألباني[٥] .

---

(١) **صحيح**: النسائي (٦/ ٢١ ، ٢٢) في «الجهاد» ، باب : ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٣) وابن حبان في «صحيحه» (١٦٠١ موارد) وهو في «صحيح الجامع» (١٦٥٢) .

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٩٤) .

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٤٢) في «الوضوء» ، باب : ما يقول عند الخلاء ، ومسلم رقم (٣٧٥) في «الحيض» ، باب : ما يقول إذا أراد دخول الخلاء .

(٤) **صحيح بشواهده**: أبو داود رقم (٧٦٤) في «الصلاة» ، باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، وفي سنده عاصم بن عمير العنزي ، قال الحافظ في «التقريب» (٣٠٧٤) : مقبول ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي بها إلى الصحة فلأوله له شاهد عند مسلم رقم (٦٠١) ، ولآخره شاهد عند أبي داود (٧٧٥) .

(٥) تخريج الكلم الطيب (٥٥) .

(نفخه): الكبر، (ونفثه): الشعر، (وهمزه): الموته: (الخنق أو الجنون).

وعن عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي، فقال - ﷺ - «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ له خِنْزِبٌ فإذا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ منهُ، واتفلْ عَنْ يَسَارِكَ ثلاثًا» ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[1].

ولكن بعض الناس يقولون: إنا نتعوذ بالله من الشيطان في الصلاة، ومع ذلك يظل يوسوس لنا ويشغلنا فيها.

والجواب: أن هذا يختلف من إنسان لآخر، فالمؤمن التقي بمجرد الاستعاذة يطرد الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[2] هؤلاء هم المتقون الذين يطردون الشيطان بمجرد الذكر.

أما ضعفاء الإيمان قليلو التقوى الذين شُحنت قلوبهم بحب الدنيا، والانشغال بها، ولم يعد في قلوبهم مكان لذكر الله، لا يمكن أن يطردوا الشيطان بمجرد الاستعاذة كيف وقد باض الشيطان، وفرَّخ في قلوبهم فلابد أولاً من تطهيرها من قوت الشيطان ودنسه، وقوت الشيطان هو حب الدنيا.

أرأيت لو أن إنسانًا أحب امرأة وعشقها أتراه ينساها؟ لا، بل يفكر فيها دائمًا فتراه جالسًا معك بجسمه، وعقله هناك، كذلك عشاق الدنيا وسكارى الهوى لا يفارقهم ذكرها، ولو كانوا أمام ربهم وخالقهم في الصلاة، لا يفيق أحدهم إلا إذا اصطدم رأسه بجدار القبر، هناك تكون الصحوة الكبرى، واليقظة العظمى، نعوذ بالله من الغفلة.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا نُودِيَ بالصَّلاةَ أدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التأذينَ، فَإذَا قُضِيَ التأذينُ أقبَلَ فَإذا ثُوِّبَ بالصَّلاة أدْبَرَ، حَتَّى إذا قُضِيَ التثويبُ أقبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المرءِ ونَفْسه، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكُرْ كَذَا لما لم يَكُنْ مِنْ قَبْلُ حَتى يَظَلَ الرجُلُ ما يَدْرِي كَمْ صَلّى»[3].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم رقم (٢٢٠٣) في «السلام»، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة.
(٢) الأعراف: الآية (٢٠١).
(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٠٨) في «الأذان»، باب: فضل التأذين، ومسلم رقم (٣٨٩) في «الصلاة»، باب: فضل الأذان.

خامسًا: عند الغضب.

فقد استبَّ رجلان عند النبي ﷺ، حتى إن أحدهما ليتمزع أنفه من شدة الغضب فقال النبي - ﷺ : «**إنِّي لأعْلَمُ كلمةً لَوْ قَالَها لذهب عَنْهُ ما يَجدُ**» فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «**أعُوذُ بالله منَ الشَّيطَانِ الرَّجيم**»(١) متفق عليه.

سادسًا: عند نباح الكلاب ونهيق الحمير:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا**» (٢) متفق عليه.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا سمعْتُم نُبَاحَ الكلاب ونَهيقَ الحَمير بَاللّيْل، فَتَعَوَّذُوا بالله منْهُنّ، فَإنّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لا تَرونَ**»(٣) رواه أبو داود، وقال الألباني: صحيح(٤) بطرقه.

الحصن التاسع

تحصين الأهل والأولاد والأموال

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال(٥):
«**إذَا تزوج أحَدُكُم امرَأَةً، أو اشْتَرى خَادمًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْألكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبلتها عَلَيْه، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمْن شرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه** - وفي رواية: **ثُمَّ ليأخُذ بنَاصيَتِهَا**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٢٨٢) في «بدءالخلق»، باب: صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٢٦١٠) في« البر والصلة» باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٣٠٣) في «بدء الخلق» باب: خير مال المسلم، ومسلم رقم (٢٧٢٩) في «الذكر والدعاء»، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك.

(٣) **صحيح**: أبو داود (٥١٠٣) في «الأدب»، باب: ما جاء في «الديك والبهائم» ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٦) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٣٤) وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (٢٥٥٩)، وهو في «صحيح الجامع» (٦٢٠).

(٤) تخريج الكلم الطيب (١٦٤).

(٥) **حسن**: أبو داود رقم (٢١٦٠) في «النكاح»، باب: في «جامع النكاح»، وابن ماجه رقم (١٩١٨) في «النكاح»، باب: ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني.

وَلْيَدع بالبَـركَة في المرأة والخَادِم وإذا اشْتَرَى بعيرًا فليَـأْخُذ بذرْوَة سَنَامه، وليَـقُل مثْلُ ذَلكَ» رواه أبو داود، وقال الألباني: إسناده حسن(١).

وعن ابن عبـاس ـ رضي الله عنهـما ـ أن النبي ﷺ قـال: «لَوْ أَنَّ أَحَـــدَكُـمْ إذَا أَتَى أهْلَهُ،قَالَ: بِسْم الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّب الشيطان مَا رَزَقْتَنا، فَقَضَيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرهُ شَيْطَان أبدًا»(٢) متفق عليه.

وللعروس أن يصلّي ركعتين بزوجته عند دخوله بها، فإن ذلك حفْظ لحياتهما الزوجية من كل مكروه.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إذا أتتك امرأتك، فَمُرْهَا أن تصلّي وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيَّ، اللهمّ اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرّق بيننا إذا فرقت إلى الخير رواه الطبراني، وصححه الألباني.

وإذا أعجب الرجلُ بشيء من ماله، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾(٣).

يستحب للرجل أن يُؤذن في أذن المولود، فعن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ أذَّنَ في أذُن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة. (٤) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.

ويستحب للرجل أيضًا أن يعوّذ أولاده، قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين، رضي الله عنهما: «أعيذُكُمَا بكَلمَات الله

---

(١) تخريج «الكلم الطيب» (١٥١).

(٢) **متفق عليه:** البخاري رقم (١٤١) في «الوضوء»، باب التسمية على كل حال، ومسلم رقم (١٤٣٤) في «النكاح» باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع.

(٣) سورة الكهف الآية (٣٩).

(٤) **حسن:** أبو داود رقم (٥١٠٥) في «الأدب»، باب: في الصبي يولد، والترمذي رقم (١٥١٤) في «الأضاحي»، باب: الأذان في أذن المولود، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٩، ٣٩١، ٣٩٢) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧٩) وصححه، ولم يقره الذهبي، وفي سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم، قال الحافظ في «التقريب» (٣٠٦٥): ضعيف لكن له شاهد عند البيهقي في «الشعب» قد يتقوىٰ به إلى الحسن، والله أعلم، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

التَّامَّة مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّة، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّة»(١) ويقول: «إِنَّ إِبَاكُمَا كَانَ يُعوذُ بهما إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ» رواه البخاري والترمذي.

الحصن العاشر: سورة البقرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قُبُورًا؛ فَإِنَّ البيتَ الذي تُقْرَأ فيه سُورَةُ البَقَرَة لاَ يدْخُلُهُ شَيْطَانٌ»(٢) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي وقال: حسن صحيح.

وقال ـ ﷺ ـ «اقْرَءُوا سُورةَ البَقَرة في بُيُوتكُم، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يدخُلُ بيْتًا يُقرأ فيه سُورَةُ البقرة»(٣).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إِنَّ الشَّيطَان يَخْرُجُ مِنَ البَيْتِ إِذا سَمِعَ سُورَةَ البَقَرة تُقْرَأ فيه» رواه أبو عبيد بسند حسن.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وإِنَّ سَنَام القُرآن سُورة البقرَة، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَة البَقَرة تُقْرأ خَرَجَ مِنَ البيْت الذي تُقْرَأ فيه سُورَة البَقَرَة» رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٣٧١) في «أحاديث الأنبياء»، وأبو داود رقم (٤٧٣٧) في «السنة»، باب: في القرآن، والترمذي رقم (٢٠٦٠) في «الطب»، وابن ماجه رقم (٣٥٢٥) في «الطب»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٧٨٠) في «صلاة المسافرين» باب: استحباب صلاة النافلة في بيته، والترمذي رقم (٢٨٧٧) في «فضائل القرآن»، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٧).

(٣) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ٥٦١) مرفوعًا وموقوفًا على عبد الله بن مسعود، والمرفوع حسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٢١) لأجل عاصم بن بهدلة، وصحح الموقوف الحاكم ـ ووافقه الذهبي ـ وقال: وهو أصح من المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي، والله أعلم.

(٤) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ٥٦١) مرفوعًا وموقوفًا، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وقال الألباني (الصحيحة ٥٥٨): وهو عندي حسن، لأن في عاصم بن أبي النجود بعض الضعف من قبل حفظه.

الحصن الحادي عشر: آية الكرسي

قد مر بنا حديث أبي هريرة وفيه أن الشيطان قال له: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لا يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح وأقره الرسول قائلاً[1]: «صَدَقَك وَهُوَ كَذُوبٌ» رواه البخاري.

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أنه كانت له سَهْوَةٌ فيها تمر، وكانت تجيء الغُول فتأخذُ منه، فشكا ذلك إلى النبي - ﷺ - فقال: «اذهَبْ، فَإِذَا رأيتَهَا، فَقُلْ: باسم الله أجيبي رسول الله» قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال: «مَا فَعَلَ أسيُرك؟» قال: حلَفت أن لا تعود، قال: «كَذَبَتْ وَهِي مُعَاودةٌ للكَذِب» قال: فأخذها مرة أخرى، فحلفت ألا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما فعل أسيرك؟» قال: حلفت أن لا تعود فقال: «كذبت وهي معاودة للكذب» فأخذها، فقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي - ﷺ - فقالت: إني ذاكرةٌ لك شيئًا: آية الكرسي اقرأها في بيتك، فلا يقربك شيطان ولا غيره قال فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «مَا فَعَلَ أسيُركَ؟» قال: فأخبره بما قالت، قال: «صَدَقَتْ وَهِيَ كَذُوبٌ» رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن غريب[2].

الحصن الثاني عشر
عشر آيات من سورة البقرة

روى الدارمي من طريق الشعبي قال: قال ابن مسعود - رضي الله عنه - مَنْ قَرَأَ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة، لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها وفي رواية: لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق.

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٢٣١١) في «الوكالة»، باب: إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا.
(٢) **حسن**: الترمذي رقم (٢٨٨٠) في «فضائل القرآن»، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٣) وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

الحصن الثالث عشر

الآيتان من آخر سورة البقرة

عن أبي مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(١) رواه الجماعة.

قيل: كفتاه من قيام الليل، وقيل: من الشيطان: وقيل: من كل شر، والله أعلم.

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال النبي - ﷺ - «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِأَلْفَي عَامٍ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ لا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»(٢) رواه الترمذي واستغربه، والحاكم وصححه على شرط مسلم.

وقال علي - رضي الله عنه -: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة البقرة.

الحصن الرابع عشر: «المعوذات»

عن عائشة - رضي الله عنها: أن النبي - ﷺ - كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ ليلة جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ(٣).

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٠٠٩) في «فضائل القرآن»، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم رقم(٨٠٧) في «صلاة المسافرين»، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٢) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٨٨٢) في «فضائل القرآن»، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو في «صحيح الجامع» (١٧٩٩).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٠١٧) في «فضائل القرآن»، باب فضل المعوذات، والترمذي رقم (٣٤٠٢) في «الدعوات»، باب فيمن يقرأ القرآن عند المنام.

وعن عبد الله بن خُبَيبَ - رضي الله عنه - قال : خرجنا في ليلة مَطر وظُلْمَة شديدة نطلب النبي - ﷺ - ليُصلي لنا ، فأدركناه ، فقال : «قُلْ» فلم أقل شيئًا ثم قال : «قُلْ» فلم أقل شيئًا ، ثم قال «قُلْ» قلت : يا رسول الله ، ما أقول؟ قال : «قَلْ هُوَ اللهُ أحدٌ وَالمعَوِّذتَين حينَ تُمسي، وحينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مرات تَكفيك منْ كل شَيء»[1] رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، والنسائي ، وجوَّد الألباني سنده .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أن رسُول الله - ﷺ - قال : «أَلَمْ تَرَ آيات أنزلَت اللّيلَةَ، لَمْ يُر مثْلُهُنّ قط؟ قُلْ أعُوذُ بربِّ الفَلَق. وقل أعوذُ برب الناس»[2] وفي رِواية : «ألا أخْبِركَ بأَفْضَل مَا تَعَوّذَ به الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قلت : بلى ، قال : «قُل أعُوذُ بِربِّ الفَلَق، وقُل أعُوذ بِرَبِّ الناس» . رواه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح ، والنَّسائي ، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة عن عقبة ، جمعها ابن كثير في «التفسير» فبلغت عشر طرق ، ثم قال : فهذه طرق عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث . اهـ[3] وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين ، وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات ، وأمسح بيده عليه رجاء بركتها[4] رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يتعوذ من أعين الجان ، وأعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما[5] رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن غريب .

---

(١) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٨٢) في «الأدب» ، باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم (٣٥٧٥) في «الدعوات» ، وهو في «صحيح الجامع» (٤٤٠٦) .

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٨١٤) في «صلاة المسافرين» ، باب : فضل قراءة المعوذتين ، والترمذي (٢٩٠٢) في «فضائل القرآن» .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٢) .

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٠١٦) في «فضائل القرآن» ، باب : فضل المعوذات ، ومسلم رقم (٢١٩٢) في «السلام» ، باب : رقية المريض بالمعوذات ، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤٢ ، ٩٤٣) في «العين» ، باب : التعوذ والرقية في المرض .

(٥) **حسن**: الترمذي رقم (٢٠٥٨) في «الطب» ، باب : ما جاء في الرقية بالمعوذتين ، والنسائي (٨/ ٢٧١) في «الاستعاذة» ، باب : الاستعاذة من عمل الجان ، وابن ماجه (٣٥١١) في «الطب» .

الحصن الخامس عشر: أذكار

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لا إلَه إلا الله وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ، له الملك، ولَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَى كُلِّ شَيء قَدِيرٌ، في يوم مائَةَ مَرَّة كَانتْ لَهُ عَدل عَشْر رقَاب، وكتبَ لَهُ مائَةُ حَسَنَة ومُحيتْ عَنْه مائَةُ سيِّئة، وكَانَت له حرزًا منَ الشَّيطَان يومه ذلكَ حَتى يُمْسي، ولم يَأتِ أحَد بأفضلَ ممَّا جاءَ به إلا رَجُلٌ عَملَ أكثَر منْهُ»[١] متفق عليه.

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: «مَنْ قَالَ في دُبُر صَلاَة الصُّبْح، وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْه قَبْلَ أنْ يَتكلَّمَ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المَلك وله الحمد يحيي ويميت وهوَ على كل شيء قدير، عَشْرَ مرَّات، كُتبت لَهُ عَشْر حسَنات، ومُحيتْ عَنْه عَشْر سيئَات، ورُفع لهُ عَشْرُ درَجات، وكَانَ يوْمَه ذَلكَ في حَرْز منْ كُل مكروه، وَحُرس مَنَ الشَّيْطَانِ، ولَم يِنْبَغِ لذنب أنْ يُدرِكَهُ فِي اليَوْم إلاَّ الشِّرْك بالله تَعَالَى»[٢].

وروىٰ الترمذي، عن عمارة بن شبيب قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَن قَالَ: لاَ إلهَ إلا اللهُ وحْدَه لاَ شَرِيكَ لهُ، لَه المُلكُ ولهُ الحَمْدُ يُحيي ويُميت، وَهُو عَلَى كُلِ شَيء قَدِيرٌ، عَشْرَ مرَّات عَلَى إثر المغْرب[٣] بعث الله - تعالى - لهُ مَلائكَة يَحفظُونَهُ من الشَّيطَانِ، حتَّى يُصْبِحَ وكَتَبَ اللهُ له بهَا عَشْرَ حسَنات مُوجبات، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سيِّئَات مُوبقات، وكَانتْ لَهُ بعدل عَشْرِ رقَاب مُؤْمنَات»[٤] وقال الترمذي: لا نعرف لعمارةَ سماعًا من النبي - ﷺ - . اهـ. وقال ابن حبانً: من زعم أن لعمارة بن شبيب صحبة فقد وهم.[٥] اهـ.

وبهذا يكون الحديث مرسلاً، لكن قد رواه النَّسائي في عمل اليوم والليلة من طريقين:

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٢٩٣) في «بدء الخلق»، باب: صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٢٦٩١) في «الذكر والدعاء»، باب فضل «التهليل».

(٢) **حسن**: الترمذي رقم (٣٤٧٤) في «الدعوات» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وفي سنده شهر بن حوشب: قال الحافظ في «التقريب» (٢٨٣٠): صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد حسن الحديث الحافظ في تخريج الأذكار بعد ذكر طرقه.

(٣) أي بعد صلاة المغرب مباشرة.

(٤) **حسن**: الترمذي رقم (٣٥٣٤) في «الدعوات»، باب: فضل التوبة والاستغفار وقال: حسن غريب، وحسنه الحافظ في «تخريج الأذكار»، وصححه الألباني.

(٥) التقريب (٢/ ٥٠)

أحدهما: هكذا. والآخر: عن عمارة عن رجل من الأنصار، ونقل النووي، عن ابن عساكر: أنه قال: الثاني هو الصواب، وبهذا يكون الحديث متصلاً - والله أعلم.

الحصن السادس عشر: حفظ البصر

إن إطلاق البصر من أعظم مداخل الشيطان، ولذا كان غض البصر قاصمًا لظهر الشيطان قاطعًا لطمعه في الإنسان.

يقول ابن القيم - رحمه الله: إن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب والانشغال به، والفكر في الظفر به.

فمبدأ الفتنة من فضول النظر.

كما قال الشاعر:

كُلّ الحَـــــوَادث مَـبْـدَؤُهَا منَ النَّظَر ... وَمَـعُظَـمُ النّار منْ مُـسْـتَـصـغَـر الشَّـرَر

كمْ نَظَرة فَـتَـكَتْ في قَلْب صَـاحِـبِـهَـا ... فَـتْكَ السّـهَـــــام بلا قَـوس ولا وَتَر

وقال آخر:

وكُنْـتَ مَـتَـى أرْسلتَ طَـرفْكَ رَائـدًا ... لقَلـبكَ يومًــــا أتْعَــبَـــتْكَ المَنَـاظرُ

رأيتَ الذي لاكـله أنْتَ قَـــــادرٌ ... عَـلَيْــه ولاَ عَنْ بَـعْـضِــه أنتَ صَـــابرُ

وقال المتنبي:

وأنَا الـذّي جَلَبَ المـنيّــةَ طَرفــــه[1] ... فَـمَـنِ المطَالبُ، والقَـتـيلُ القَـاتلُ؟!

ولي من أبيات[2]:

يَا رَامـيًا بـسـهَـام اللّحظ مُـجـتَـهـدًا ... أنتَ القَـتـيـلُ بمَـــا تَرْمـي فَـلاَ تُصب

وبَاعـثُ الطَّرف يَـرتادُ الشّـفَـــاء لَهُ ... تَوَقــــــــــهُ إنّهُ يرتـدُ بالعَـطَبِ

تَرجُـو الشّـفَـاءَ بأحـداق بهَـا مَـرَضٌ ... فـهَلْ سَـمـعـتَ ببُـرْءٍ جَـاءَ منْ عَطَبِ؟!

ولما كان البصر جارًا إلى المهالك، وجالبًا للمخاطر، فقد نهى النبي - ﷺ - عن

(١) **الطرف:** هو البصر.

(٢) التفسير القيم (٦٢٥).

إطلاقه، فقال لعلي: «يَا عَلِيُّ لا تُتْبِع النَّظْرَةَ النَّظْرَة، فَإنما لَكَ الأولى ولَيْسَتْ لكَ الآخِرَةُ»(١).

رواه أحمد ، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن غريب.

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه : ما من نظرة إلا للشيطان فيها مطمع.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**كُتِبَ على ابْن آدَم نَصيبُهُ من الزِّنَا فَهُو مُدْرِك ذَلكَ لاَ مَحَالَة، فَالعَيْنَان زناهُمَا النَّظَرُ، والأذُنَان زنَاهُمَا الاسْتِمَاع، واللِّسَان زناهُ الكَلام، وَاليَد زناها البطش، والرجْلُ زنَاهَا الخُطَى، والقَلب يهوَى ويَتَمَنَّى، ويُصَدِّقُ ذَلكَ الفَرْج أو يكَذِّبُهُ**»(٢). رواه مسلم والبخاري مختصراً.

وعن جرير رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.

ولقد سدّ النبي ـ ﷺ ـ على الشيطان كل منفذ، وأغلق في وجهه كل باب، فنهى عن الدخول على النساء، فقال: «**إيَّاكُمْ، والدُّخُول عَلَى النِّسَاء**» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمْوَ؟ قال: «**الحَمْوُ: المَوْتُ**»(٤) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

ثم قال الترمذي: ومعنى كراهية الدخول على النساء، على نحو ما روي عن النبي ﷺ: «**لا يَخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**». اهـ كلام الترمذي(٥).

ونهى ـ ﷺ ـ عن الخلوة بالأجنبية، فقال: «**لا يَخلوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأة إلاَّ مَعَ ذي مَحْرَم**

---

(١) **حسن:** أبو داود رقم (٢١٤٩) في «النكاح»، باب: ما يؤمر به من غض البصر، والترمذي رقم (٢٧٧٧) في «الأدب»، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥١) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٤) وصححه، وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٣).

(٢) **متفق عليه:** البخاري رقم (٦٢٤٣)، في «الاستئذان»، باب: زنى الجوارح، ومسلم رقم (٢٦٥٧) في «القدر» باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنى.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٢١٥٩) في «الآداب»، باب نظرة الفجأة، والترمذي رقم (٢٧٧٦) في «الأدب»، وأبو داود (٢١٤٨) في «الآداب»، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦١).

(٤) **متفق عليه:** البخاري رقم (٥٢٣٢) في «النكاح»، باب: لا يخلون رجل بامرأة، ومسلم رقم (٢١٧٢) في «السلام»، باب: تحريم الخلوة.

(٥) **صحيح:** الترمذي رقم (٢١٦٥) في «الفتن»، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، وأحمد في «المسند» (١/ ١٨، ٢٦) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

رواه البخاري ومسلم(١)، بل نهى النبي - ﷺ - عن أن يصافح الرجل امرأة أجنبية، فقال: «**لأنْ يُطعَنَ في رأسِ أحَدِكُم بمخْيَطٍ من حَديد، خَيْرٌ له من أنْ يَمَسَّ امرأة لا تحلُّ لهُ**» قال الألباني(٢): رواه الروياني بسند جيِّد.

وقال النبي ﷺ - «**مَن يضْمَنْ لي مَا بين لَحْيَيْه ومَا بيْنَ رجليه أضْمَنْ لهُ الجنَّة**»(٣).

ويحرم على المرأة أيضًا أن تنظر للرجل، قال ابن كثير - رحمه الله - ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً. اهـ(٤).

وقد شرع الله - تبارك وتعالى - الاستئذان من أجل البصر، فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: اطّلع رجل من جُحَر في حُجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدْرىٰ يحُك به رأسهُ فقال: «**لَوْ أعْلَمُ أنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُكَ به في عَيْنكَ، وإنَّما جُعِلَ الاسْتئذانُ منْ أجْلِ البَصَر**»(٥) رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً اطّلع من بعض حُجَر النبي ﷺ فقام إليه النبي ﷺ بمشقَص - أو بمشَاقِصَ - فكأني أنظرُ إليه يختِلُ الرَّجُلَ ليطعنه(٦) رواه البخاري.

وعن ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال«**لاَ يَحلُّ لامْرِئ مُسلم أنْ يَنْظُر في جَوْف بيْت حتَّى يَسْتَأذِنْ، فَإنْ فَعَلَ فَقَد دَخَل**»(٧) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي وحسنه.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٠٠٦) في «الجهاد»، باب: من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجّة، ومسلم رقم (١٣٤١) في «الحج»، باب: سفر المرأة مع محرم إلى الحج.
(٢) حسن: انظر السلسة الصحيحة رقم (٢٢٦).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٤٧٤) في «الرقاق»، باب: حفظ اللسان، ، والترمذي رقم (٢٤٠٩) في «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان.
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).
(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٩٠١) في «الديات»، باب: من اطلع في بيت قوم، ومسلم رقم (٢١٥٦) في «الآداب»، باب: تحريم النظر في بيت غيره.
(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٦٢٤٢) في «الاستئذان»، باب: الاستئذان من أجل البصر، ومسلم رقم (٢١٥٨) في «الآداب» باب تحريم النظر في بيت غيره.
(٧) **صحيح**: البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٩٣)، والترمذي رقم (٣٥٧) في «الصلاة»، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٠).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دَخَل البصَرُ فَلا إذْن**»[١] البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وقال الحافظ: سنده حسن.

وروى البخاري في «الأدب المفرد» أيضًا عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ ولده الحُلم لم يدخل عليه إلا بإذن. سنده صحيح[٢].

وروي أيضًا عن عطاء قال: سألت ابن عباس: أستأذن على أختي؟ قال: نعم. قلت: إنها في حجري! قال: أتحب أن تراها عُريَانة؟![٣] وإسناده صحيح.

وفي «الصحيحين»، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**أيّاكم والجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَات**» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها، فقال: «**فإذا أبَيْتُم إلاَّ المجلسَ، فأعْطُوا الطريق حَقَّهُ**» فقالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غَضُّ البَصَر، وكَفُّ الأذىٰ، ورَدُّ السَّلام، والأمْرُ بالمعْرُوف، والنهي عن المنْكَر**»[٤].

ومن أجل البصر حرّم دخول الحمام إلا بمئزر، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا بَيْتًا يُقَالُ لَهُ الحَمَّامُ**» قالوا: إنه ينقي وينفع، قال: «**فَمَنْ دَخَلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ**» صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، والألباني[٥].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: أما دخول الحمام في هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين، لغلبة الجهل على الناس، واستسهالهم إذا توسطوا الحمام رمي مآزرهم حتى يُرى الرجل البهي ذو الشيبة قائمًا منتصبًا وسط الحمام وخارجه، باديًا عن عورته ضامًا بين فخذيه، ولا أحد يُغيِّر عليه، هذا أمر بين الرجال فكيف بالنساء؟!

---

(١) حسن: أبو داود رقم (٥١٧٣) في «الأدب»، باب: في الاستئذان، والبخاري في «الأدب» رقم(١٠٨٩) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٦)، وحسنه الحافظ في «الفتح»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٢٥٨٦) وضعيف الجامع (٤٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٥٨) وصححه الألباني في «صحيح الأدب».

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٦٣) وصححه الألباني في «صحيح الأدب».

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٦٢٢٩)، في «الاستئذان»، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا﴾، ومسلم رقم (٢١٢١) في «اللباس والزينة» باب: النهي عن الجلوس في الطرقات.

(٥) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٨) وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» (١١٦).

ولا سيما بالديار المصرية إذ حماماتهم خالية من المظاهر التي هي عن أعين الناس سواتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !! اهـ[(١)] .

ويقول النبي - ﷺ - «**مَا تَرَكْتُ بعَدِي فتنَةً أضَرَّ عَلَى الرجَال منَ النِّسَاء**»[(٢)] متفق عليه.

ويقـول: «**اتقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاء، فإنَّ أوَّلَ فتنَة بَني إسْرَائيل كَانتْ في النّسَاء**»[(٣)] رواه مسلم.

وقيل: إن الشيطان يقول للمرأة: أنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي.

وقال سعيد بن المسيب: ما آيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**المَرْأةُ عَوْرَةٌ فَإذَا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشيْطَانُ**»[(٤)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

فإذا وقع بصره على امرأة، فأعجبته، فليذهب إلى زوجته، فليأتها؛ لكي يصرف شهوته في الحلال.

وإذا كان غير متزوج فعليه بالصيام؛ فإنه له وجاء، وليكن ذا عزيمة قوية وإيمان راسخ، فلا يضعف أمام الشهوات، فإنه إذا ضعف أمامها استعبدته واستذلته: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[(٥)] .

وقال - ﷺ - «**سَبْعَةٌ يُظلهُمُ اللهُ في ظلِّ عَرْشه يَوْمَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ**» فذكر منهم: «**رَجُلٌ دَعَتْهُ امرَأةٌ ذَاتُ حَسَب وجَمَال فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللهَ رَبَّ العَالمين**»[(٦)] متفق عليه.

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٤).

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٥٠٩٦) في «النكاح»، باب: ما يتقى من شؤم المرأة، ومسلم رقم (٢٧٤٠)، في الذكر والدعاء، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء.

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٤٢)، في الذكر والدعاء، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء.

(٤) صحيح: رواه الترمذي رقم (١١٧٣)، في «الرضاع»، باب: (١٨)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٩٠).

(٥) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٦٦٠)، في «الأذان»، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم رقم (١٠٣١)، في «الزكاة»، باب فضل إخفاء الصدقة.

وروي عن سليمان بن يسار ـ رحمه الله ـ: أنه خرج من المدينة حاجًا، ومعه رفيق له، حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة، وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئًا، وجلس سليمان في الخيمة، وكان من أجمل الناس وجهًا وأورعهم، فبصرت به أعرابية من قمة الجبل، فانحدرت إليه، حتى وقفت بين يديه، وعليها البرقع والقفازان، فكشفت عن وجه لها كأنه فلقة قمر، وقالت: أهنئني، فظن أنها تريد طعامًا فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها، فقالت: لست أريد هذا، إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال: جَهَّزك إليَّ إبليس، ثم وضع رأسه بين ركبتيه، وأخذ في النحيب، فلم يزل يبكي، فلما رأت منه ذلك، سدلت البرقع على وجهها، وانصرفت راجعة، حتى بلغت أهلها فجاء رفيقه فوجده يبكي، فسأله فأخبره، فجلس رفيقه، يبكي بكاء شديدًا فقال سليمان: وأنت ما يبكيك؟ فقال: أنا أحق بالبكاء منك؛ لأني أخشى أن لو كنت مكانك ما صبرت.

فلما انتهى سليمان إلى مكة سعى وطاف، ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه، فأخذته عيناه فنام، وإذا رجل وسيم له شارة حسنة ورائحة طيبة، فقال له سليمان: رحمك الله من أنت؟ قال: أنا يوسف. قال: يوسف الصديق؟ قال: نعم، قال: إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبًا! فقال له يوسف: إن شأنك وشأن صاحبة الأبواء لأعجب!

والمقصود من هذا كله: إن إطلاق النظر يُردي صاحبه ويهلكه.

ويحرم أيضًا النظر إلى الصبي الأمرد، قال الغزالي ـ رحمه الله ـ: النظر إلى وجه الصبي بشهوة حرام، بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد، بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل النظر إليه. اهـ[١].

ولهذا كله قال تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾**[٢].

---

(١) الإحياء (١٥٢٤).

(٢) سورة النور الآية (٣٠)

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تُهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تُستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سُعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تُهيج ذلك السُعار الحيواني المجنون، وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية، والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة، وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليمًا وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة وتصريفه في موضعه المأمون النظيف.

إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي؛ لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها، فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود، وإثارته في كل حين تزيد من عراقته، وتدفع به إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة، فإذا لم يتم ذلك تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة.

والنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدُّعابة تثير، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تُثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية، ثم تلبى تلبية طبيعية، وهذا هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وشغل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم». اهـ. ملخصًا[(١)].

يقول القرطبي رحمه الله: البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعْمَرُ طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه عن جميع المحرمات. اهـ[(٢)].

---

(١) الظلال: (٤/ ٢٥١٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).

ولست أعني هنا غض البصر عن العورات فقط، بل أعني حفظ البصر عن جميع المحرمات كالنظر إلى المسلم بحقد أو بغيظ أو بحسد أو باحتقار.. إلخ.

الحصن السابع عشر: حفظ اللسان

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرَّتها كلمة واحدة، وقد قال النبي ـ ﷺ ـ لمعاذ: «**وَهَل يكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ في النَّارِ إلا حَصَائدُ ألسنَتِهم؟!**»(١) وأكثر المعاصي إنما يُولِّدها فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخلَ الشيطَانَ فإن جارحتيهما لا يملاَن ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات. اهـ(٢).

ويقول الغزالي ـ رحمه الله ـ: اللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رَحْب، وله في الشر ذَيْل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يَكُب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يُطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكُفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله. اهـ(٣).

واعلم يا أخي: رحمك الله ـ أن اللسان هو أعظم آلة للشيطان في استهواء الإنسان، ولذا كان حفظ اللسان من أعظم تحصينات الإنسان ضد الشيطان، ونعني بحفظ اللسان عدة أمور:

---

(١) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٦١٦) في «الإيمان»، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه، رقم (٣٩٧٣) في «الفتن»، باب: كف اللسان في الفتنة، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٣) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٣٦).

(٢) التفسير القيم (٦٢٧).

(٣) الإحياء (١٥٣٦).

١ ـ حفظ اللسان عن الكلام فيما لا يعني:

وذلك لأنه تضييع للوقت الذي هو رأس مال المسلم، فقد كان بإمكانه أن يستغله في ذكر الله ـ عز وجل ـ فينال به الأجر الكثير، فالكلام فيما لا يعني ـ إن لم يكن فيه ضرر ففيه الخسارة وتضييع الأجر، ولذلك قال النبي ـ ﷺ ـ : «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنيه»[١] رواه الترمذي وحسنه النووي[٢]، وقال أيضًا: «مَنْ صَمَتَ نَجا» رواه الطبراني بسند جيد قاله الحافظ العراقي[٣].

وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: خَمسٌ لَهُنَّ أحَبُّ إليَّ من الدُّهم الموقوفة:

١ ـ لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليك الوزر.

٢ ـ لا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا، فإنه رُبَّ متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت.

٣ ـ ولا تُمارِ حليمًا ولا سفيهًا؛ فإن الحليم يقليك، والسفيه يؤذيك.

٤ ـ واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به.

٥ ـ واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالإحسان، مأخوذ بالاحترام.

وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني.

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا تتعرض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين

---

(١) صحيح: الترمذي رقم (٢٣١٧) في «الزهد»، وابن ماجه رقم (٣٩٧٦) في «الفتن»، باب: كف اللسان في «الفتنة»، ورواه مالك في «الموطأ» (٣٤٧/) في حسن الخلق، وأحمد في «المسند» (٢٠١/١) وصحح إسناده أحمد شاكر، والألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) رياض الصالحين (٩٩/١).

(٣) صحيح: الترمذي رقم(٢٥٠١) في «صفة القيامة»، ورواه أحمد في «المسند» (١٥٩/٢ ـ ١٧٧)، والدارمي (٢٩٩/٢)، وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٥٣٦).

يخشون الله تعالىٰ .

قال الغزالي رحمه الله: وحدُّ الكلام فيما يعنيك أن تتكلم بكلام لو سَكَتَّ عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مآل مثاله : أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك ، وما رأيت فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب ، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم ، فهذه أمور لو سَكَتَّ عنها لم تأثم ولم تستضر .

وإذا بالغت في الجهاد حتىٰ لا يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتياب شخص ، ولا مذمة لشيء مما خلقه الله ـ تعالىٰ ـ فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك ، وأنَّىٰ تسلم من الآفات التي ذكرناها؟!

ومن جملتها: أن تسأل غيرك عما لا يعنيك ، فأنت بالسؤال مضيع وقتك ، وقد ألجأت صاحبك أيضًا بالجواب إلىٰ التضييع ، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلىٰ السؤال عنه آفة ، وأكثر الأسئلة فيها آفات ، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً ، فتقول له : هل أنت صائم؟ فإن قال : نعم ، كان مظهرًا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السرِّ ، وعبادة السرِّ تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال لا : كان كاذبًا ، وإن سكت كَان مستحقرًا لك وتأذيت به . وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلىٰ جهد وتعب فيه ، فقد عرضته بالسؤال إما للرياء ، أو للكذب ، أو للاستحقار ، أو للتعب . اهـ[1] .

وكذلك السؤال عن المعاصي ، وعن كل ما يخفيه المسلم ويستحيي منه ، وكذلك إذا قابلت أخاك في الطريق ، وسألته : أين كنت؟ فربما يمنعه مانع من الجواب فإن ذكره تأذىٰ ، وإن لم يصدق وقع في الكذب ، وكنت السبب في ذلك فيجب عليك أخي المسلم أن تتجنب الكلام فيما لايعنيك ، واعلم أن ذلك صعب علىٰ النفس .

يقول مُورق العجلي : أمرٌ أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست

(١) الإحياء (١٥٤٦) .

بتارك طلبه، قالوا: ما هو؟ قال: السكوت عما لا يعنيني.

ولكن ما العلاج لمن ابتلي بذلك؟

يقول الغزالي رحمه الله: وعلاج ذلك أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسئول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين. اهـ[1].

قلت: ويستعين على ذلك بالتفكر في معنى الكلمة قبل النطق بها، فإن كانت لمصلحة أطلقها، وإلا أمسكها، والأمر في بدايته شديد، ثم يتيسر بعون الله وتوفيقه ويستعين على ذلك أيضًا بالدعاء (اللهم ارزقني لسانًا ذاكرًا وقلبًا خاشعًا).

٢ـ حفظ اللسان عن فضول الكلام:

وهو الزيادة التي لا فائدة من ورائها، فإذا أدى مقصوده بكلمة. فذكر كلمتين فالثانية فضول، قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2].

قال ابن مسعود: أنذركم فضول كلامكم، حَسْبُ امرئٍ من الكلام ما بلغ به حاجته.

وقال مجاهد: إن الكلام ليكتب، حتى أن الرجل ليسكت ابنه، فيقول له: سأشتري لك كذا وكذا، فيُكتب كذَّابًا.

وقال إبراهيم التيمي: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر، فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً.

وقد قيل:

وَزن الكلامَ إذَا نَطَقتَ فَإنّما ... يُبْدي عُيوبَ ذَوي العُيوبِ المنطقُ

وَقيل أيضًا:

خَيرُ الكلام قَليلٌ ... عَلَى كَثيرٍ دليلُ
وَالعيُّ مَعنَى قَصيرٌ ... يَحْويه لفظٌ طَويلُ
وفي الكلام فُضُولٌ ... وَفيهِ قَالَ وَقيلُ

---

(١) الإحياء (١٥٤٧).

(٢) سورة النساء الآية (١١٤).

٣ ـ حفظ اللسان عن الخوض في الباطل:

كالكلام في المعاصي مثل حكاية أحوال النساء، ومجالس الخمر، ومقامات الفساق، وتنعم الأغنياء، وتجبر الملوك، وغير ذلك.

وعن بلال بن الحارث المزني ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرجُلَ لَيتكلم بالكَلمَة منْ رضْوان اللـه ـ تعالى ـ مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبلُغ مَا بَلغَتْ، يكتُبُ اللهُ لهُ رضْوَانَهُ إلَى يَوْم يلْقَاه. وإنَّ الرَّجُلَ ليتكَلَّم بالكلمة منْ سَخَط الله، مَا كَانَ يَظنُّ أن تَبلغ مَا بلَغَت يكتُبُ الله له بهَا سَخَطَه إلَى يَوْم يلْقَاهُ**»[(١)] رواه مالك، والترمذي وقال: حسن صحيح.

وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إنّ العَبْدَ ليَتكَلّم بالكَلمَة مَا يَتَبيَّنُ فيها، يَزلّ بهَا في النَّار أبْعَدَ ممَّا بيْنَ المَشْرق والمغْرب**»[(٢)] متفق عليه.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: ومعنى (يَتَبَيَّنُ) يفكر أنها خير أم لا[(٣)].

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «أعْظَم النّاس خَطَايَا يَوْمَ القيَامَة أكْثَرُهُمْ خَوضًا فِي البَاطِلِ» رواه الطبراني هكذا موقوفًا، قال الحافظ العراقي: وسنده صحيح[(٤)].

٤ ـ حفظ اللسان عن المراء والجدل:

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أنَا زعيم[(٥)] ببيْت في**

---

(١) **متفق عليه**: رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٦) في «الكلام»، وهذا لفظه، والحديث في البخاري رقم (٦٤٧٨) في «الرقاق»، باب: حفظ اللسان، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في «الزهد»، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٦٤٧٧) في «الرقاق»، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في «الزهد» باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

(٣) رياض الصالحين (٢/ ٨٢٥).

(٤) تخريج الإحياء (١٥٥٢).

(٥) **زعيم**: ضامن.

ربَض الجنَّة لمنْ ترَكَ المراءَ وإنْ كانَ مُحقًا، وبَيْت في وَسَط الجنَّة لمنْ تَرَكَ الكذبَ وإنْ كَانَ مَازحًا، وبيت في أعْلَى الجنَّة لمنْ حَسَّنَ خُلُقَه»(١) رواه أبو داود وصححه النووي(٢) وله شاهد عند الترمذي (٣/ ٢٤٢) من حديث أنس.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ذروا المراء؛ فإنه لا تُفهم حكمته، ولا تُؤمن فتنته.

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدىً كَانُوا عَليه إلاَّ أوتُوا الجَدَل»(٣) رواه الترمذي وصححه.

وقال مسلم بن يسار: إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته.

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: المراء يُقسّي القلوب، ويُورث الضغائن.

وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجًا، مماريًا، معُجبًا برأيه، فقد تمت خسارته.

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث: لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به، ولا لتُرائي به، ولا تتركه حياءً من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضًا بالجهل منه.

قال الغزالي: وحدُّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقًا فصدق به، وإن كان باطلاً وكذبًا، ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فاسكت عنه. اهـ(٤).

---

(١) حسن: أبو داود رقم (٤٨٠٠)، في «الأدب»، باب: حسن الخلق، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٤٦٤)، و«الصحيحة» رقم (٢٧٣).

(٢) رياض الصالحين (١/ ٤٢٠).

(٣) حسن: الترمذي رقم (٣٢٥٣) في «تفسير القرآن»، باب: ومن سورة الزخرف، وابن ماجه رقم (٤٨) في «المقدمة»، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وأقره الذهبي، والحديث حسن لأجل شهاب بن خراش بن حوشب الشيباني، قال الحافظ في «التقريب» (٢٨٢٥): صدوق يخطئ، له ذكر في مقدمة مسلم، وحسن الحديث الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٤) الإحياء (١٥٥٤).

واعلم أخي المسلم: أن الجدل لا يُحق حقًا ولا يُبطل باطلاً، بل ربما كان سببًا في تمسك أهل الباطل بباطلهم، فيجب على المسلم أن يصون لسانه عن الجدل، فإذا أراد أن يقدم نصيحة فليقدمها بلطف ولين، وحبذا لو كانت في السر بينك وبين المنصوح، حتى لا يُحرج أمام الملأ؛ لأن ذلك غالبًا ما يكون سببًا في الانتصار للرأي ولو بالباطل.

وقال بعضهم:

تعَمَّدني بنُصحكَ بانفرادي ... وَجنّبْني النَّصيحَةَ في الجَماعَة
فَإنَّ النّصْحَ بينَ النّاس نَوْعٌ ... مِنَ التّوبيخِ لاَ أرضَى اسْتِماعَه

٥ - حفظ اللسان عن الخصومة:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أبْغَضَ الرجَال عِنْدَ الله الألدّ الخَصِمُ**»(١).

وقال أيضًا: «**يُوجِبُ الجَنَّة إطْعَامُ الطَّعَام، وحُسْنُ الكَلاَم**» (٢) رواه الطبراني، بإسناد جيد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: «**الكلمة الطيبة صدقة**»(٣) رواه مسلم.

وعن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «**اتَّقُوا النَّار ولَو بشقِّ تَمرة فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلمة طَيبة**»(٤) متفق عليه.

قال الغزالي رحمه الله: فالخصومة مبدأ كل شر، وكذا المراء والجدل، فينبغي

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٤٥٧) في «المظالم»، باب: قول الله تعالى: ﴿وهو ألد الخصام﴾ ومسلم رقم (٢٦٦٨) في «العلم»، باب: في الألد الخصم.

(٢) **صحيح**: ذكره الألباني شاهدًا للحديث رقم (١٤٦٥) في «الصحيحة» ليتقوى به، وقال: قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم(١٠٠٩) في «الزكاة»، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٤١٣) في «الزكاة»، باب: الصدقة قبل الرد، ومسلم رقم (١٠١٦) في «الزكاة»، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدًا. اهـ[1] .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين.

وقال بعضهم الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح.

٦ ـ حفظ اللسان عن التقعر في الكلام:

لقد ذم النبي ﷺ التشدق، والتقعر، وتكلف السجع، والفصاحة، فقال ـ ﷺ ـ: **«إنَّ منْ أحَبِّكُمْ إليَّ وأقْربكُمْ منِّي مَجْلسًا يَوْم القيَامَة أحَاسنَكُمْ أخلاقًا، وإنَّ أبْغَضَكُمْ إليَّ وأبْعَدَكُم منِّي مَجْلسًا يَـــوْمَ القيَامَة الثَرْثارُونَ، والمتَشَـدِّقُون، والمتَفَيهقُونَ»** قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون، والمتشدقون. فما المتفيهقون؟ قال: **«المتَكَبِّرُونَ»**[2] .

و**«الثرثار»**: هو كثير الكلام تكلفًا.

و**«المتشدق»**: هو المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فمه تفصحًا وتعظيمًا لكلامه.

و**«المتفيهق»**: أصله من الفهق وهو الامتلاء: وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه تكبرًا، وارتفاعًا، وإظهارًا للفضيلة على غيره.

وسئل ابن المبارك عن حُسن الخُلق فقال: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. رواه الترمذي.

وقالت عائشة للسائب: إيّاك والسجع، فإن النبي وأصحابه كانوا لا يسجعون. رواه أحمد بإسناد صحيح.

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان.

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ: ولا يدخل في هذا تحسين كلام الخطابة والتذكير،

---

(١) الإحياء (١٥٥٨).

(٢) حسن: الترمذي رقم (٢٠١٨) في «البر والصلة»، باب: ما جاء في «معالي الأخلاق»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وفي سنده مبارك بن فضالة قال الحافظ في «التقريب» (٦٤٦٤): صدوق يدلس وهو قد صرح هنا بالتحديث، والحديث حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠١).

من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها، وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه، فهو لائق به.

أما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات، فلا يليق بها السجع والتشدق، والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء، وإظهار الفصاحة، والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع، ويزجر عنه. اهـ[1] .

٧ ـ حفظ اللسان عن الفحش والتفحش:

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**لَيسَ المُؤمنُ بالطَّعَّان، ولاَ اللَّعَّان، ولا الفَاحشِ ولا البَذيء**»[2] رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه قال الحافظ العراقي: إسناده صحيح[3] .

عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفَاحشَ المُتَفَحِّشَ**» رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني، قال العراقي: سنده جيد[4] .

ولكن ما الفحش في القول؟

يقول الغزالي: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها، بل يكْفُون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. اهـ.

---

(١) المرجع السابق (١٥٦٠).

(٢) صحيح: البخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢، ٣٣٢)، الترمذي رقم (١٩٧٧) في «البر والصلة»، باب: ما جاء في «اللعنة»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٣، ٢٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨ موارد)، وابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم (٣٢٤) وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي والألباني في «صحيح الأدب». وهو في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٨١).

(٣) تخريج على الإحياء (١٥٦١).

(٤) حسن: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٢) بإسناد حسن لأجل سليم مولى ليث، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٥) وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٠).

كما يُكنى عن الجماع بالمسّ أو اللمس، وعن البول والغائط بقضاء الحاجة وعن الزوجة بالأهل، وغير ذلك.

ولا يصرح أيضًا بأسماء الأمراض التي يستحيي صاحبها من ذكرها كالبرص والقرع والبواسير وغيرها، بل يكنى عنه أيضًا، وهكذا يظل المسلم نظيف اللسان، طاهر المنطق، حيي القلب.

٨ ـ حفظ اللسان عن السب:

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**سَبَابُ الْمُسْلِمِ فسُوقٌ، وقتَالُهُ كُفْرٌ**»[(١)] متفق عليه.

وقال أعرابي لرسول الله ﷺ أوصني، فقال: «**عَلَيْكَ بتقوى الله وإنْ امرؤ عيرَكَ بشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فيكَ، فَلَا تُعيرهُ بشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فيه، يكُنْ وبَالهُ عَلَيه وأجرُه لكَ، وَلاَ تَسُبَّنَّ شَيْئًا**».

قال: فما سببت شيئًا بَعْده. رواه أحمد، والطبراني بإسناد جيد، قاله العراقي[(٢)].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ والديه**» رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني بسند جيد، قاله العراقي[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ منْ أكبر الكبَائر أن يَلْعنَ الرَّجُل والديْه**» قَالوا: يَا رَسُولَ الله وكَيْف يَلعَنُ الرَّجُلُ والدَيْه؟ قال: «**يَسُبَّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ فَيَسب أبَاهُ ويَسُبَّ أمَّه فَيَسُبَّ أمَّهُ**»[(٤)] رواه الشيخان.

٩ ـ حفظ اللسان عن اللعن:

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَكُونُ المؤمنُ لعَّانًا**»[(٥)]، رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٧٠٧٦) في «الفتن»، باب: قول: النبي ـ ﷺ ـ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا»، ومسلم رقم (٦٤) في «الإيمان»، باب: بيان قول النبي ـ ﷺ ـ: «سباب المسلم فسوق».

(٢) تخريج على «الإحياء» (١٥٦٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٧)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

(٤) متفق عليه: البخاري (٥٩٧٣) في «الأدب»، باب: لا يسب الرجل والديه، ومسلم رقم (٩٠) في «الإيمان» باب: الكبائر وأكبرها.

(٥) صحيح: الترمذي رقم (٢٠١٩) في «البر والصلة» باب: ما جاء في «اللعن»، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم (١٠١٤).

وعن سَمُرة بن جندب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَلاعَنُوا بلَعْنَة الله، وَلاَ بغَضَبه، وَلاَ بالنَّار**»(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، كذا قال. وقد اختُلف في سماع الحسن من سَمُرة غير حديث العقيقة(٢).

وعن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها، فضجرت منها فلعنتها، فقال ﷺ: «**خذوا ما عليها واتركوها، فإنها ملعونة**» (٣) قال عمران: فكأني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرض لها أحد. رواه مسلم.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللعَّانينَ لا يكُونُونَ شُفَعَاء، وَلا شُهَدَاء يَوم القيَامَة**»(٤) رواه مسلم.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ على بعير، فلعن بعيره، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ الله لا تَسِرْ معَنَا عَلَى بَعير مَلْعُون**» رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد، قاله العراقي(٥).

وعن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**لَعْنُ المؤمن كقَتْله**»(٦) رواه البخاري، ومسلم.

و(اللعن): هو الطرد والإبعاد من رحمة الله إلا من حكم الله عليه بذلك، فلا يجوز لمسلم أن يلعن حيوانًا ولا جمادًا.

أما لعن الآدمي ففيه تفصيل:

١ - يجوز اللعن بالوصف العام: كقولك لعنة الله على الكافرين، والظالمين، والمبتدعين.

---

(١) حسن: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٢٠)، وأبو داود رقم (٤٩٠٦) في «الأدب»، باب: في «اللعن»، والترمذي رقم (١٩٧٦) في «البر والصلة»، باب: ما جاء في اللعنة، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨) وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني في «الصحيحة» رقم (٨٩٣).

(٢) صحيح البخاري: «كتاب العقيقة».

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٥٩٥) في «البر والصلة»، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٤) صحيح: رواه مسلم: رقم (٢٥٩٨) في «البر والصلة»، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٥) تخريج الإحياء (١٥٦٤).

(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٦٠٤٧) في «الأدب»، باب ما يُنهى عن السباب واللعن، ومسلم رقم (١١٠) في «الإيمان»، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

٢ ـ يجوز اللعن بوصف أخص: كقولك لعنة الله على اليهود، والنصارى، والمجوس، والخوارج، والروافض، وآكلي الربا، والزناة، ..... إلخ.

٣ ـ لا يجوز لعن شخص بعينه إلا من ثبتت لعنته شرعًا: كقولك فرعون لعنة الله عليه، وأبو لهب لعنه الله.

ولا يجوز لعن إنسان بعينه وهو على قيد الحياة ولو كان عاصيًا لأنه ربما تاب وأسلم قبل موته فيموت موحدًا مقربًا إلى الله، فكيف يُحكم بطرده من رحمة الله! هذا في الكافر، فكيف بالمسلم الفاسق أو المبتدع؟!

وقد جيء برجل على عهد رسول الله ﷺ، ليُحدّ لأنه شرب خمرًا، وقد حُدّ مرات - أي جلد بسبب شرب الخمر - فقال أحد الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: **«لا تُعينُوا عَلَيه الشَّيْطَانَ»** (١)، وفي رواية: **«لاَ تكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَان عَلَى أخِيكُمْ»**(٢)، وفي رواية: **«لاَ تَلعَنُوهُ فَو الله ما عَلمْتُ إلا أنَّهُ يُحبُّ اللهَ ورَسُولَهُ»** (٣) رواه البخاري وغيره.

١٠ ـ حفظ اللسان عن سب الأموات:

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: **«لا تسبوا الأمواتَ، فَإنَّهمْ قَدْ أفْضَوا إلى ما قَدمُوا»**(٤) رواه البخاري.

وعنها أيضًا أن النبي ﷺ قال: **«لا تذكروا موتاكم إلا بخير»**(٥)، وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد(٦).

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٧٧٧) في «الحدود»، باب: الضرب بالجريد والنعال، وأبو داود رقم (٤٤٧٧) في «الحدود».

(٢) **صحيح**: رواه البخاري: رقم (٦٧٨١) في «الحدود»، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري: رقم (٦٧٨٠) في «الحدود»، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (١٣٩٣) في «الجنائز»، باب: ما يُنهى من سب الأموات، والنسائي (٤/ ٥٢) وأبو داود (٤٨٩٩) في «الأدب».

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٤/ ٥٣)، وهو في صحيح الجامع رقم (٧٢٧١).

(٦) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦١٠٤) في «الأدب»، باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ومسلم رقم (٦٠) في «الإيمان»، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر.

١١ ـ حفظ اللسان عن رمي المؤمن بالكفر:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيُّما امْرِئٍ قَالَ لأخيه: يَا كافرُ فَقَد بَاء بهَا أحَدُهُما، إن كَانَ قَالَ، وإلا رَجَعَتْ عَلَيْه»[١] رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له.

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادّعَى لغَير أبيه وَهُو يَعْلمُهُ إلا كَفَرَ، وَمَن ادّعَى مَا ليَس لَهُ فَليسَ منّا، وليتبوأ مَقعَدهُ منَ النَّار، ومَنْ دَعَا رجَلاً بالكُفر أوْ قَال: عـدوُّ الله، ولَيْس كَذَلكَ إلا حَارَ عَلَيه[٢]»[٣] رواه مسلم، والجملة الأولى رواها البخاري أيضًا.

وعن ثابت بن الضحاك، رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَذَفَ مُؤْمنًا بكُفْر فهُوَ كَقتله»[٤] رواه البخاري.

١٢ ـ حفظ اللسان عن كثرة المزاح:

قال أبو الحسن الماوردي ـ رحمه الله ـ: اعلم أن المزاح إزاحة عن الحقوق، ومخرج إلى القطيعة والعقوق، يصم المازح ويؤذي الممازح.

فوصمة المازح: أن يذهب عنه الهيبة والبهاء، ويجرئ عليه الغوغاء والسفهاء.

وأما أذية الممازح: فلأنه معقوق بقول كريه، وفعل ممض، إن أمسك عنه أحزن قلبه، وإن قابل عليه جانب أدبه، فحق على العاقل أن يتقيه، وينزه نفسه عن وصمة مساويه. اهـ[٥].

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استُخف به، ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثُر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

---

(١) التطبيق على الإحياء (١٥٦٨).
(٢) حار عليه: رجع عليه.
(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٦١) في «الإيمان»، باب: بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم، والجملة الأولى عند البخاري رقم (٦٧٦٦) في «الفرائض»، باب: من ادعى إلى غير أبيه.
(٤) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٠٤٧) في «الأدب»، باب ما ينهى عن السباب واللعن.
(٥) أدب الدنيا والدين (٢٨٢).

وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بني لا تمازح الشريف: فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيء، فيجترئ عليك.

وقيل: لكل شيء بذور، وبذور العداوة المزاح.

وقال أبو النواس:

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ وامضِ عَنْهُ بِسَلامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لك مِنْ داءِ الكَلامِ

إنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ ـجَمَ فَاهُ بِلِجَامِ؟

رُبَمَا اسْتُفْتِحَ بالمزْ حِ مَغَالِيقَ الحِمَامِ

والمَنَايَا آكِلاتٌ شَارِبَاتٌ لِلأَنَامِ

واعلم أن المزاح جائز بشرطين:

أولها: أن لا يدخله الكذب

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، فقال: النبي ﷺ: **«إني وإنْ دَاعَبْتُكُم فَلاَ أقُولُ إلا حَقا»** (١) رواه الترمذي وحسنه.

وعنه أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة مِنْ رِضْوَانِ الله، مَا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَرْفَعُهُ اللهُ بهاَ دَرَجَات، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ من سَخَطِ الله تعَالى، لا يُلقِي لَهَا بالاً، يَهْوِي بهَا في جَهَنَّمْ»** (٢) رواه البخاري.

ثانيها: ألاَّ يكثر منه بل يكون على النُدور؛ لأن كثرة الضحك تميت القلب.

قال أبو الحسن الماوردي: وأما الضحك: فإن اعتياده شغل عن النظر في الأمور المهمة، مذهل عن الفكر في النوائب الملمّة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وُسم به خطر ولا مقدار. اهـ(٣).

---

(١) **صحيح:** الترمذي رقم (١٩٩٠) في «البر والصلة»، باب: ما جاء في المزاح، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٦٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٠)، وهو في «الصحيحة» رقم (١٧٢٦).

(٢) **متفق عليه:** البخاري رقم (٦٤٧٨) في «الرقاق»، باب: حفظ اللسان، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في «الزهد»، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، ومالك في «الموطأ» (٥٦/ ٢) في الكلام.

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٨٥).

وقال أبو الليث السَّمَرقندي: ولا تكثر المزاح، فإن فيه ذهاب المهابة، ويذمك عند الصلحاء، ويُجرّئ عليك السفهاء، وتُنسب إلى الخفة، ولا تمازح من لم يكن بينك وبينه مخالطة، ولم تعلم أخلاقه، ولا بأس بأن تمازح مع أقرانك وجلسائك في غير مأثم ولا إفراط، فإن خير الأمور أوسطها؛ لأن ذلك أولى أن لا تنسب إلى الثقل ولا إلى الخفة. اهـ[1].

وقال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويُجرّئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يُفض عنك المؤانسين، ويُوحش منك المصاحبين.

وينبغي أن يكون بنية، حتى تأخذ عليه أجرًا، كمداعبة الزوجة بنية إسعادها ومؤانستها، كما كان يفعل النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها.

وكمداعبة الأصحاب والأصدقاء بنية دوام الصحبة واستمرار الخلة، فإن لم تجد نية فانوِ الترويح عن نفسك، حتى تسترجع نشاطك، أو تزيل همك أو سأمتك.

وقد قيل:

أفـدْ طَبْـعَكَ المكدُود بـالجِـدِّ رَاحَـةً ... يَجـمْ وعَلِّـلْهُ بشَيء مِـنَ المَزْحِ
ولَكنْ إذَا أعطَيتَـهُ المزحَ فَليكُـنْ ... بِمقْـدارِ مَـا تُعطِي الطَّعَامَ مِن المِلحِ[2]

١٣ ـ حفظ اللسان عن السخرية والاستهزاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[3]

والسخرية: هي النظر إلى المسخور منه بعين النقص، والاستهانة، والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء[4].

(١) بستان العارفين (٤١٩).
(٢) المزاح في المزاح (١١).
(٣) سورة الحجرات الآية (١١).
(٤) انظر كتاب «آفات اللسان» (٥).

ولِمَ الاستهزاء من المؤمنين؟!

وقد قال النبي ﷺ: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذي طِمْرَيْنِ، ولاَ يُؤبه لَهُ، لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأبَرَّهُ»(١).

والنبي ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوركم وأمْوَالكُم، ولكنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبكُمْ وأعْمَالكُمْ»(٢) رواه مسلم.

والباعث على الاستهزاء: هو الكِبْر.

كما قال النبي ﷺ: «الكِبْرُ بَطر الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاس»(٣) رواه أحمد ومسلم.

وقال ﷺ: «لاَ يَدْخل الجَنَّة منْ كَانَ في قَلْبه مِثْقَالُ ذَرَّة منْ كِبْر»(٤) مسلم، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

وقال ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ منَ الشَّرِّ، أنْ يَحْقر أخَاهُ المُسْلمَ»(٥). رواه مسلم.

١٤ ـ حفظ اللسان عن إفشاء السر:

وهو ينقسم إلى قسمين: إفشاء سر النفس، وإفشاء سر الغير، وكلاهما مذموم، والأول أهون من الثاني.

أولاً: إفشاء سر الإنسان نفسه سبب من أسباب فشله، وربما كان سببًا في ذلة لمن أفشى له سرًا.

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: سِرُّكَ أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره.

وقال حكيم لابنه: يا بني كن جوادًا بالمال في موضع الحق، ضنينًا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر.

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٢٢) في «البر والصلة» باب: فضل الضعفاء والخاملين.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في «البر والصلة» باب: تحريم ظلم المسلم وخذله.
(٣)،(٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٩١) في «الإيمان»، باب تحريم الكبر، وأبو داود (٤٠٩١) في «الأدب»، والترمذي (١٩٩٩) في «البر والصلة».
(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في «البر والصلة»، باب: تحريم ظلم المسلم واحتقاره، وأبو داود رقم (٤٨٨٢) في «الأدب»، والترمذي رقم (١٩٢٧) في «البر».

وقال أنس بن أسيد:

وَلاَ تفشِ سرَّكَ إلا إليْكَ ... فَإنّ لكُلِّ نَصيحٍ نَصيحَا
فَإنّي رأيتُ وُشَاةَ الرّجَالِ ... لاَ يتركُونَ أديمًا صَحيحَا

وقال بعضهم:

إذَا المرءُ أفشَى سرَّهُ بلسَانه ... ولاَم عَلَيه غَيرَهُ فَهوَ أحمَقُ
إذَا ضَاقَ صَدرُ المرءِ عَنْ سرِّ نَفْسِهِ ... فَصَدرُ الذي يُستَودَعُ السِّرَّ أضْيَقُ

ثانيًا: إفشاء سر المسلم وهذا أخطر وأشد؛ لأنه أمانة وإفشاؤه خيانة. والخيانة من علامات المنافق.

فعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «آيَةُ المنَافقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذَا اؤتُمنَ خَانَ» (١) متفق عليه.

وقال ﷺ: «إذَا حَدَّث الرَّجُلُ الحَديثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهُوَ أمَانَةٌ»(٢).

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرىٰ هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يُقدِّمك علىٰ الأشياخ فاحفظ عني خمسًا: لا تُفشِينَّ له سرًا، ولا تَغتبنَّ عنده أحدًا، ولا تجرين عليه كذبًا، ولا تعصيَنَّ له أمرًا، ولا يطَّلعنَّ منك علىٰ خيانة.

قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير لي من ألف.

يُروى أن معاوية – رضي الله عنه - أسرَّ إلىٰ الوليد بن عتبة حديثًا. فقال الوليد لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرَّ إليّ حديثًا، وما أراه يُطوي عنك ما بسطه إلىٰ غيرك، فقال أبوه: لا تحدثني به يا بني، فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فقال: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟ فقال: لا

(١) **متفق عليه:** البخاري رقم (٣٣) في «الإيمان»، باب: علامة المنافق، ومسلم رقم (٥٩) في «الإيمان» باب: بيان خصال المنافق.

(٢) **حسن:** أبو داود رقم (٤٨٦٨) في «الأدب»، باب: في نقل الحديث، والترمذي رقم (١٩٥٩) في «البر والصلة» وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٤، ٣٧٩)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٩٠) لأجل عبد الرحمن بن عطاء القرشي، قال الحافظ في «التقريب» (٣٩٥٣): صدوق فيه لين.

والله يا بني، ولكن أحب أن لا تدلل لسانك بأحاديث السر، قال الوليد: فأتيت معاوية فأخبرته، فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ.

ولقد أجاز بعض العلماء إفشاء سر الرجل بعد موته مستدلين بما ثبت في «الصحيحين»، عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ أجلس فاطمة بجواره، ثم سارّها بشيء، فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى حزنها سارّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ بالسّر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها عما سارها به فقالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سره، فلما تُوفي رسول الله ﷺ قالت لها: عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني؟ قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني. قالت: أما حين سرني في الأمر الأول، فإنه أخبرني: «أنَّ جبْريلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بالقُرآن كُلَّ سَنَة مَرّة وأنَّه قَدْ عَارَضَني به العَام مَرتَين، ولاَ أرى الأجَلَ إلاَّ قَد اقتَربَ، فاتقي الله واصْبري، فَإنِّي نعْمَ السّلَفُ أنَا لك» قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارّني الثانية، قال: «يَا فَاطمَةُ ألاَ تَرْضَيْنَ أنْ تكُوني سَيِّدَةَ نسَاء المؤمنينَ، أوْ سَيِّدَةَ نسَاء هذه الأمّة؟»[1].

والحق إن إفشاء سر الرجل بعد موته فيه تفصيل، فأحيانًا يكون مباحًا وقد يستحب ذكره، ولو كرهه صاحب السر كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة، وأحيانًا يجب كحق عليه تعذر القيام به، فيذكره لمن يتسنى له القيام به. وأحيانًا يكره وقد يحرم، مثل ما كان به ضرر بصاحب السر، أو بعشيرته من بعده.

١٥ - حفظ اللسان عن الكذب:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بالصِّدْق، فَإنَّ الصِّدقَ يَهْدي إلى البرِّ، وَإنَّ البر يَهْدي إلى الجَنَّة، ومَا يَزَالُ الرّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحرَّى الصّدقَ، حَتَّى يكْتَبَ عنْدَ الله صديقًا، وَإيَّاكُمْ والكذبَ، فَإنَّ الكَذبَ يَهْدي إلى الفُجُور، والفُجُور يهْدي إلى النَّار وَمَا يزَالُ الرّجُلُ يكذبُ وَيَتَحَرى الكَذبَ، حَتَى يُكْتَبَ عنْدَ الله

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٦٢٨٥) في «الاستئذان»، باب: من ناجى بين يدي الناس، ومسلم رقم (٢٤٥٠) في «فضائل الصحابة»، باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، ورواه أحمد في «المسند» (٢٨٢/٦).

كذَّابًا»(١).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**أنا زَعيمٌ ببيت في وَسَط الجَنَّة لمنْ تَرَكَ الكَذبَ، وإنْ كَانَ مَازحًا**» (٢) رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه، ورواه البيهقي بسند حسن(٣).

وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع مَا يَريبُك إلىَ مَا لا يُريبُك، فإنّ الصِّدقَ طُمأنينة وَالكَذبَ ريبةٌ**»(٤) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُوم القَلب، صَدُوق اللِّسَان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هُوَ التَّقيُّ النقي، لا إثْمَ فيه، وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غلَّ وَلا حَسَدَ**» (٥) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، قاله المنذري(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آيَةُ المنَافق ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذَا وَعدَ أخْلَف، وإذَا اؤتمن خَانَ**»(٧) وزاد مسلم في رواية «**وإنْ صَلَّى وَصَام وزَعَمَ أنَّهُ مُسلمٌ**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**أربَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كَانَ مُنَافقًا خالصًا، وَمَنْ كَانَت فيه خَصلة منْهُن كَانَت فيه خَصْلَةٌ منَ النِّفَاق حَتَّى**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٠٩٤) في «الأدب»، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ ومسلم رقم (٢٦٠٧) في «البر والصلة»، باب: قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله.

(٢) **حسن**: أبو داود رقم (٤٨٠٠) في «الأدب»، باب: في حسن الخلق، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٤٦٤)، و«الصحيحة» (٢٧٣).

(٣) الترغيب والترهيب: (٥/ ٢٠٠).

(٤) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٥١٨) في «صفة القيامة»، والنسائي (٨/ ٣٢٧، ٣٢٨) في «الأشربة» وأحمد في «المسند» (١/ ١٠١).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه رقم (٤٢١٦) في «الزهد»، باب: الورع والتقوى، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٤٨).

(٦) الترغيب والترهيب (٥/ ٢٠١).

(٧) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٣) في «الإيمان»، باب علامة المنافق، ومسلم رقم (٥٩) في «الإيمان»، باب بيان خصال المنافق.

يَدَعَهَا؛ إذا اؤتمنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَد غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»[١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القيامَةِ، ولا يُزكِّيهم، ولا يَنْظُرُ إليهِمْ، ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلكٌ كَذَّابٌ، وعَائلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[٢].

ومن الناس من يكذب ليضحك الناس وإذا نهيته عن ذلك قال لك: إني أمزح فهذا وأمثاله قال فيهم رسول الله ﷺ: «**وَيْلٌ للذي يُحَدِّثُ بالحديث ليُضْحك به القَوْم فيكْذبُ، ويلٌ له، ويلٌ له**» [٣] رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، والبيهقي.

ومن الناس من يكذب في رؤياه، أو يقول رأيت في المنام كذا وكذا، وهو لم يَرَ شيئًا، وهذا إثمه عظيم وجرمه كبير، فعن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ منْ أعْظَم الفرَى أنْ يدعى الرَّجُلُ إلى غَيْر أبيه، أوْ يُرى عَيْنَيْه في المَنَام مَا لَمْ تَرَيا، أوْ يَقل عَليَّ مَا لَم أقل**»[٤].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ منْ أفْرى الفرَى أنْ يريَ الرَّجُلُ عَيْنَيه مَا لَمْ ترَ**»[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلم بحُلْمٍ لمْ يَرَهُ كُلفَ يَوْمَ القيامَة أن يَعْقدَ بَيْنَ شَعيرتَيْن، ولَنْ يَفْعَلَ**»[٦].

وأعظم الكذابين إثمًا، وأكبرهم جرمًا أولئك الذين يكذبون على الله ورسوله،

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٤) في «الإيمان»، باب علامة المنافق، ومسلم رقم (٥٨) في «الإيمان» باب بيان خصال المنافق.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٠٧) في «الإيمان»، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والنسائي (٦/ ٨٦) في «الزكاة».

(٣) **حسن**: أبو داود رقم (٤٤٩٠) في «الأدب»، باب: في «التشديد في الكذب»، والترمذي رقم (٢٣١٥) في «الزهد»، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣، ٥، ٧) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦) وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٧١٣٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٥٠٩) في «المناقب».

(٥) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٧٠٤٣) في «التعبير»، باب من كذب في حلمه.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٧٠٤٢) في «التعبير»، باب من كذب في حلمه.

وأما الكذب على الله، كتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[١].

ويدخل في ذلك أيضًا أولئك الذين يتجرءون على الفتوى بدون علم، فتجد أحدهم يفتي في مسألة ما، فإذا سألته عن الدليل من آية، أو حديث تحير وتوقف، وربما قال لك (هذا مذهب فلان)، أو(هذا رأي الجمهور)، أو (إلى هذا ذهب بعض أهل العلم) وأمثال هذه المصطلحات التي لا يُؤتى بها إلا عند فقدان الحجة، كما قال الشافعي -رحمه الله:

والعلم ما قيل فيه: قال: حدثنا[٢] وسوى ذلكَ وسْواسُ الشيطان.

ولا تظن أن هذا دعوة منا لترك المذاهب والرمي بها، كلا فإنها تراث إسلامي باهر ولكن المقصود أن لا نأخذ مسألة إلا بعد معرفة دليلها من القرآن والسنة والأئمة هم الذين أوصوا بذلك.

فقد قال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه[٣].

قال مالك ـ رحمه الله ـ: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه [٤]

وقال الشافعي رحمه الله: كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى، فلا تقلدوني[٥].

وقال أحمد ـ رحمه الله ـ: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا[٦].

(١)سورة النحل الآية ١١٦.

(٢)أي ينقل الحديث بالسند، ويعني به الدليل.

(٣)صفة صلاة النبي (١٤).

(٤، ٥، ٦)صفة صلاة النبي ﷺ (ص: ١٤).

أما الكذب على رسول الله ﷺ فقد ثبتت أحاديث كثيرة تبين جزاؤه، فقد روى مسلم في مقدمة «صحيحه» في باب: «تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ» عدة أحاديث؛ منها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

وحديث علي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال[2]: «لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ[3] النَّارَ».

وحديث المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فليتبوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[4].

وحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّه كَذِب فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ»[5] وقد وافقه البخاري على تخريجها كلها ما عدا حديث سَمُرة، ثم انفرد البخاري عنه بعدة أحاديث منها[6]: «مَن يَقُل عَلَي مَا لَم أَقُلْ فَلْيَتَبَوأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[7] ويكفيك أن تعرف أن هذه الأحاديث قد بلغت حد التواتر.

وبناءً على ذلك لا يجوز لمسلم أن ينسب لرسول الله ﷺ قولاً دون أن يتثبت من صحته.

ما يجوز من الكذب:

قال الغزالي - رحمه الله -: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (١١٠) في «العلم»، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، ومسلم رقم(٣) في «المقدمة».

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٠٦) في «العلم»، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ومسلم رقم (١) في «المقدمة».

(٣) **فليلج**: فليدخل.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٢٩١) في «الجنائز»، باب: ما يكره من النياحة، ومسلم رقم (٤) في «المقدمة».

(٥) **صحيح**: رواه مسلم في «المقدمة».

(٦) **صحيح**: رواه البخاري رقم(١٠٩) في «العلم»، باب إثم من كذب على النبي ﷺ.

(٧) **صحيح**: البخاري في «كتاب العلم»، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ.

بالكذب ولم يمكن التوصل إليه بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفىٰ من ظالم، فالكذب فيه واجب، ومهما كان لا يتم مقصود الحرب، أو إصلاح ذات البين، أو استمالة قلب المجني عليه إلا بالكذب، فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن؛ لأنه إذا فتح باب الكذب علىٰ نفسه، فيخشىٰ أن يتداعىٰ إلىٰ ما يستغني عنه، إلىٰ ما لا يقتصر علىٰ حد الضرورة فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة.

قال: وكذلك كل ما كان له، أو لغيره.

فأما له: فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره، أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله - تعالىٰ - ارتكبها، فله أن ينكر ذلك، فيقول: ما زنيت وما سرقت؛ لقوله ﷺ: «اجْتَنِبُوا هَذِه القَاذورَةَ التي نَهَى اللهُ عَنْهَا فَمَن ألمّ بشَيء مِنْهَا فَلْيَسْتَتِرْ بستر الله»[1] وذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرىٰ، فللرجل أنَّ يحفظ دمه - الذي يؤخذ ظلمًا - وعرضه بلسانه وإن كان كاذبًا.

وأما ما لغيره: فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره، وأن يصلح بين الضُّرَّات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه. اهـ[2]. كلام الغزالي رحمه الله.

قال النووي: وكلام الغزالي هو أحسن ما رأيت في هذا الموضوع[3].

ويؤيد ما ذهب إليه الغزالي حديث أم كلثوم - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لَيْسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاس، فَيَنمي خيْرًا أو يَقُولُ خيرًا»[4] متفق عليه، وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يُرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٤، ٣٨٣) وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني في «الصحيحة» رقم (٦٦٣).

(٢) الإحياء (١٥٨٨). (٣) الأذكار (٣٢٥).

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٢٦٩٢) في «الصلح»، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ومسلم رقم (٢٦٠٥) في «البر والصلة»، باب: تحريم الكذب، وبيان المباح منه.

١٦ ـ حفظ اللسان عن الغيبة:

قال تعالىٰ:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(١).

وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ دِمَاءَكُم، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُم، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُه، وَمَالُهُ، وعِرْضُهُ**»(٣).

وعن أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»(٥).

وعن أبي برزة ـ رضي الله عنه(٦) ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتىٰ أسمع العواتق في بيوتهن، قال: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ! لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوفِ بَيْتِهِ**» رواه أبو داود بإسناد جيد، قاله الحافظ العراقي(٧).

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (١٧٤١) في «الحج»، باب: الخطبة أيام منى، ومسلم رقم (١٢١٨) في «الحج»، باب: حجة النبي ﷺ.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في «البر والصلة»، باب: تحريم ظلم المسلم.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (١١) في «الإيمان»، باب أي المسلمين أفضل، ومسلم رقم (٤٢) في «الإيمان»، باب بيان تفاضل أهل الإسلام.

(٥) رواه البخاري: رقم (١٠) في «الإيمان»، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٦) **حسن صحيح**: رواه أبو داود، رقم (٤٨٨٠) في «الأدب»، باب: في الغيبة، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٠)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٨٤).

(٧) تخريج الإحياء (١٥٩٧).

وقال الحسن البصري: والله، للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد.

قال الحسن أيضًا: يا بن آدم، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا.

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بذكر الله؛ فإنه شفاء، وإيّاكم وذكر الناس، فإنه داء.

وذكر الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: أن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ قال: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون.

ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مُبتلى ومُعافى فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: «إِنّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَة بِصَلاة وصِيَام وَزَكَاة، ويأتي وَقَد شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذا، وَأَكلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هذا، فَيُعطَى هَذَا مِن حَسَنَاته، وَهَذا مِنْ حَسَنَاتِه، فَإِنْ فَنِيتَ حَسَنَاتُهُ قَبلَ أَنْ يقضَى مَا عَلَيه أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُم فَطُرِحَت عَلَيه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار»[2].

ورُوِي عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك فبعث إليه الحسن رُطبًا على طبق، وقال: قد بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام!

ولكن ما الغيبة؟

لقد عرفها رسول الله ﷺ بقوله: «أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: «إِنْ

(١) الموطأ (٢/ ٩٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٥٨١) في «البر»، باب: تحريم الظلم، والترمذي رقم (٢٤١٨) في «صفة القيامة»، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

كَانَ فِيهِ مَا تقُولُ فَقَد اغْتَبْـتَهُ، وإِنْ لَمْ يكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[١] رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح.

قال الغزالي ـ رحـمه الله ـ: اعلم أن حَدَّ الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتى في ثوبه، وداره، ودابته.

أما في البدن: فذكرك العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف بما يكرهه كيفما كان.

وأما النسب: فبأن يقول: أبوه نبطي، أو هندي، أو فاسق، أو خسيس، أو إسكافي، أو زبال، أو شيء مما يكرهه كيف كان.

وأما الخلق: فبأن تقول: هو سيء الخُلُق، أو بخيل، أو متكبر مراء، أو شديد الغضب، أو جبان عاجز، أو ضعيف القلب، أو متهور، وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين: فكقولك: هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع أو السجود، أو لا يحترز من النجاسات، أو ليس باراًّ بالوالدين، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يصون صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا: فكقولك: إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًا، أو يرى لنفسه الحق على الناس، وأنه كثير الكلام، كثير الأكل، نؤوم نيام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه.

وأما في ثوبه: فكقولك: إنه واسع الكُم، طويل الذيل، وسخ الثياب. اهـ[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٥٨٩) في «البر»، باب: تحريم الغيبة، وأبو داود رقم (٤٨٧٤) في «الأدب»، باب: في الغيبة، والترمذي (١٩٣٤) في «البر».

(٢) الإحياء: (١٦٠٠).

ما يباح من الغيبة:

قال النووي ـ رحمه الله: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح وشرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو بستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلىٰ السلطان والقاضي وغيرهما بمن له ولاية أو قدرة علىٰ إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة علىٰ تغيير المنكر، ورد العاصي إلىٰ الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته علىٰ إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طُرُقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم، ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند ـ إن شاء الله تعالىٰ.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة، والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته أو مجاورته أو غير ذلك.

ويجب علىٰ المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأىٰ متفقهًا يتردد إلىٰ مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبّس الشيطان عليه ذلك، ويُخيل إليه أنها نصيحة، فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها علىٰ وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها،

وإما بأن يكون فاسقًا أو مغفلاً، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة؛ ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغترَّ به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة أموال الناس وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف إذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأحوال، وغيرها جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

قال: فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، وأكثرها مُجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة فمن ذلك: عن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: **«ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرة»**(١).

احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد، وأهل الرِّيَب.

وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَظُنُّ فُلانًا وفلانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنا شَيْئًا»**(٢) رواه البخاري، قال: قال الليث بن سعد -أحد رواة هذا الحديث-: هذان الرجلان كانا من المنافقين.

وعن فاطمة بنت قيس -رضي الله عنه- قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا جهم ومعاوية خطباني؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ(٣) لاَ مَالَ لَهُ، وأمَّا أَبُو الجَهْم فلا يضع العصَا عن عاتقه»**(٤) وفي رواية لمسلم: **«وأما أبو الجهم فَضَرَّاب للنِّساء»**

---

(١) **متفق عليه:** البخاري رقم (٦٠٥٤) في «الأدب»، باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد، ومسلم رقم (٢٥٩١) في «البر والصلة»، باب: مداراة من يتقى فحشه.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري رقم (٦٠٦٧) في «الأدب»، باب: ما يجوز من الظن.

(٣) **صعلوك:** فقير.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم رقم (١٤٨٠) في «الطلاق»، باب: المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٥٨٠).

وهو تفسير لرواية: «لا يَضَعُ العَصَا عَن عَاتِقه».

وقيل: معناه كثير الأسفار.

وعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بنُ أبيّ: لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رَجَعنَا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذَل، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى أنزل الله تصديق ذلك﴿إذا جاءك المنافقون﴾[1] ثم دعاهم النبي ﷺ يستغفر لهم فَلَوَّوْا رءوسهم»[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - : قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: «خُذِي مَا يَكفيك وَوَلَدَك بِالمعَرُوف»[3]. اهـ. كلام النووي - رحمه الله[4].

١٧ ـ حفظ اللسان من النميمة:

والنميمة: هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

ولقد حذرنا الله من النمام فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[5] أي الذي يمشي بين الناس بالنميمة.

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»[6].

---

(١) المنافقون: ١

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٩٠٢) في «التفسير»، باب: قوله: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا..﴾ الآية ومسلم رقم (٢٧٧٢) في «صفات المنافقين».

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٣٦٤) في «النفقات»، باب: خدمة الرجل في أهله، ومسلم رقم (١٧١٤) في «الأقضية»، باب: قضية هند.

(٤) رياض الصالحين (٢/ ٨٣٨).

(٥) سورة القلم الآيتان: (١٠، ١١).

(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٦٠٥٦) في «الأدب»، باب: ما يكره من النميمة، ومسلم رقم (١٠٥) في «الإيمان»، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٦).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين يعذبان، فقال: «إنَّهُمَا يُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبير! بَلَى إنَّه كَبيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فكَانَ يَمْشي بيْنَ النَّاسِ بالنَّميمَة، وأمَّا الآخَرُ: فكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مَنْ بَوله»(١).

واعلم أن النمّام مُفْش للسرِّ، هاتك للسِّتْر، مفرّق للأحبة ولذلك إذا حمل إليك أحد نميمة فعليك بستة أمور:

الأول: أن لا تصدق؛ لأن النّمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصيبُوا قَوْمًا بجَهَالَةٍ فَتُصْبحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادمينَ﴾(٢)

الثـــاني: أن تنهاه عن ذلك، وتنصحه وتبين له قبح فعله، قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بالْمَعْرُوف وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٣)

الثالث: أن تبغضه في الله، لأن الله يبغض النمّام.

الرابـع: أن لا تظن بأخيك الغائب سوءًا، قال تعالىٰ: ﴿اجْتَنبُوا كَثيرًا مّنَ الظَّنّ إنَّ بَعْضَ الظَّنّ إثْمٌ﴾(٤).

الخـــامس: أن لا يحملك ما حكىٰ لك علىٰ التجسس، والتحقق من صحة ما يقول، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا﴾(٥).

الســادس: أن لا تنقل ما قاله لك إلىٰ غيرك، فتقول مثلاً: قال لي فلان: كذا وكذا، لأنك بذلك تصبح نمامًا.

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٢١٨) في «الوضوء»، باب: ما جاء في غسل البول، ومسلم رقم (٢٩٢) في «الطهارة» باب: الدليل علىٰ نجاسة البول، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (١/ ٢٨، ٣٠).

(٢) سورة الحجرات الآية (٦).

(٣) سورة لقمان الآية (١٧).

(٤) سورة الحجرات الآية (١٢).

(٥) سورة الحجرات الآية (١٢).

ورُوي أن عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل، فذكر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(١) وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(٢). وإن شئت عفونا عنك فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا.

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن فلانًا يذكرك بسوء، فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل، حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمُّنا، والقبرَ يضمُّنا، والقيامةَ تجمعُنا، والله يحكم بيننا، وهو خير الحاكمين.

ورفع بعض السُّعاة إلى الصاحب بن عبّاد رقعة نبَّه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته، فوقع الصاحب بن عبّاد على ظهر الرقعة قائلاً: السعاية قبيحة، وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النصح، فخسرانك فيها أفضل من الربح، معاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك، لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك، فتوق يا ملعون العيب، فإن الله أعلم بالغيب، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله.

ولكي ترى نتائج الغيبة وآثارها في الفتك بالمجتمع المسلم اسمع هذه القصة.

قال حماد بن سلمة: باع رجل عبدًا، وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة، قال: قد رضيت، فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج، إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها، فجاءت المرأة بالموسى، فظن أنها تريد قتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين.

---

(١) سورة الحجرات الآية (٣).
(٢) سورة القلم الآية: (١١).

نسأل الله أن يطهرَ مجتمعاتنا من النمّامين والمغتابين بمنه، وكرمه.

١٨ ـ حفظ اللسان من خصلة ذي اللسانين:

وهو نقل الحديث من جهتين، وهو أشرُّ من النميمة، لأنها نقل الحديث من جهة واحدة.

وعن عمّار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ» (١) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، وقال الحافظ العراقيّ: سنده حسن(٢).

وعن محمد بن زيد: أن أناسًا قالوا لجده عبد الله بن عمر: إنا لندخل على سلطان، فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده، فقال: كنا نعد ذلك نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ. رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الذي يَأتِي هَؤُلاء بوجْه ويَأتِي هَؤُلاء بوَجْه»(٣).

وقال بشار بن برد:

خيرُ إخوانك المشَاركُ في المرِّ … وأينَ المُشَاركُ في المرّ أيْنا
الذي إن شَهِدتَ سَرَّكَ في الحَيّ … وإنَ غِبْتَ كَانَ أذْنًا وعَيْنا
مثْلُ سرّ اليَاقُوت إن مَسّهُ النارُ … جلاهُ البلاءَ فَازْدَادَ زَيْنا
أنْتَ في مَعشَر إذا غِبتَ عَنْهم … بَدّلُوا كُلَّ مَا يزينُكَ شَيْنَا
وإذَا مَا رأوْكَ قَالُوا جَميعًا … أنْتَ مِنْ أكْرَم البَرَايَا عَلَينَا
مَا رأى للأنَام وُدًّا صحيحًا … صَارَ ودُّ الأنَام زورًا وَمَيْنَا

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٣١٠) في باب: إثم ذي الوجهين، وأبو داود رقم (٤٨٧٣) في «الأدب»، باب: في ذي الوجهين، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (٤٨٧٣) وهو في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٩٦).

(٢) تخريج الإحياء (١٦٢٥).

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٤٩٤) في «المناقب»، باب: قول الله تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم﴾، ومسلم رقم (٢٥٢٦) في «البر والصلة»، باب: خيار الناس.

١٩ ـ حفظ اللسان عن التحدث بما كان بينك وبين زوجتك:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ منْ أشَرِّ النَّاس عنْدَ الله منْزلَةً يوْمَ القيَامة، الرَّجُلُ يُفضي إلى امْرأته وتُفْضي إليْه، ثُمَّ يَنْشُرُ سرَّهَا»(١) .

٢٠ ـ حفظ اللسان عن الغناء:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾(٣) .

قال ابن عباس: السمد: هو الغناء بلغة حمْيَر.

وقال رسول الله ﷺ(٤) : «ليَكُونَنَّ في أمَّتي أقْوَام يَسْتَحلُّونَ الحرَ(٥) وَالحَريرَ، والخَمْرَ، وَالمَعازفَ».

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(٦)

قال محمد بن الحنفية: الزور هنا الغناء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٤٣٧) في «النكاح»، باب: تحريم إفشاء سر المرأة، وأبو داود رقم (٤٨٧٠) في «الأدب»، باب: في فضل الحديث، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٦٩)، وفي سنده عمر بن حمزه بن عبد الله العمري، قال الحافظ في «التقريب» (٤٨٨٤): ضعيف.

(٢) سورة لقمان الآية (٦).

(٣) سورة النجم الآيات (٥٩ ـ ٦١).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٥٩٠) في «الأشربة»، باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر، ويسميه بغير اسمه.

(٥) الحر: الزنا.

(٦) سورة الفرقان الآية (٧٢).

وقال يزيد بن الوليد: إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعله السكر.

وقيل: الغناء رائد الفجور

ولقد أجمع من يعتد بقولهم على تحريم الغناء.

قال أبو حنيفة: الاستماع إلى الأغاني فسق.

وقال مالك - عندما سئل عن الغناء - قال: إنما يفعله الفساق.

وقال الشافعي: الغناء لهو مكروه، ويشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه تُردُّ شهادته.

قال أحمد بن حنبل: الغناء ينبت النفاق في القلب، ولا يعجبني.

فهذا إجماع من الأئمة الأربعة على تحريمه، وفي هذا مقنع لمن يريد الحق ويتلمسه.

قال تعالى للشيطان: ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ** ﴾[1] قال مجاهد: صوت الشيطان: الغناء.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ في هَذه الأمَّة خَسْفٌ، وقَذف ومَسْخٌ، وذَلكَ إذَا شَرِبُوا الخُمُورَ، واتَّخَذُوا القَيْنَات**[2] **، وَضَربُوا بالمعَازف**»[3].

والقينات: المغنيات.

المعازف: آلات الطرب بأنواعها.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٦٤).

(٢) القينات: المغنيات.

(٣) صحيح بمجموع طرقه: رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٠٣)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٦٧).

وعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: نَهىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَن النَّوْحِ، وَالتَّصَاوِيرِ، وجُلُودِ السِّبَاعِ، والتبرج والغِنَاءِ، وَالذَّهَبِ، وَالخزِّ، وَالحَرِيرِ[١].

وروىٰ ابن ماجه، عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيشْرَبن أنَاسٌ منْ أمَّتي الخَمْرَ يُسَمُّونَها بغَير اسْمهَا، يُعْزَف عَلَى رُءُوسهم بالمَعَازف وَالمُغَنيات، يَخْسف اللهُ بهم الأرْضَ، ويَجْعَلُ منْهُمْ قرَدَةً وخنازير»[٢] قال ابن القيم: إسناده صحيح[٣].

٢١ ـ حفظ اللسان عن الحلف بغير الله:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كان حَالفًا فليَحْلفْ بالله، أوْ ليَصْمُتْ»[٤].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بغَيْر الله فَقَدْ كَفَرَ أوْ أشْرَكَ»[٥] رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه.

٢٢ ـ حفظ اللسان عن الحلف بملة غير الإسلام:

كمن يحلف بأن يموت يهوديًا، أو نصرانيًا، أو كافرًا، أو مجوسيًا، أو علىٰ غير الملة أو ما شابه ذلك، فعن ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠١) بإسناد حسن لأجل عبد الله بن دينار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩١٤).

(٢) **صحيح**: ابن ماجه رقم (٤٠٢٠) في «الفتن»، باب: العقوبات، وأبو داود رقم (٣٦٨٨) في «الأشربة»، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٠/ ٩١) وصحيح الجامع رقم (٥٤٥٤).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢٥١).

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦١٠٨) في «الأدب»، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، ومسلم رقم (١٦٤٦) في «الأيمان»، باب: النهي عن الحلف بغير الله.

(٥) **صحيح**: الترمذي رقم (١٥٣٥) في «النذور والأيمان» باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٠٤)، و«الصحيحة» (٢٠٤٢).

قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ»(١).

٢٣ ـ حفظ اللسان عن سب الديك:

قال ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ»(٢) أبو داود، وابن حبان، والبزار، وهو حسن بشواهده، وصحح النووي سند أبي داود.

٢٤ ـ حفظ اللسان عن سب الدهر:

من الناس من يسب الأيام، فيقول: هذا يوم كذا وكذا، يسبه أو يسب الزمان، وهذا كله منهي عنه، لأنه اعتراض على قضاء الله وقدره لأن الله هو الذي يقلب الليل والنهار.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «قَالَ تَعَالَى: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»(٣) وفي رواية: «أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا».

وفي رواية للبخاري: «لا تقولوا: خيبة الدهر»، وفي رواية لمسلم: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٤).

٢٥ ـ حفظ اللسان عن سب الريح:

عن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنْ رَأَيْتُم مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه الريحِ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُمرت بِهِ،

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٠٤٧) في «الأدب»، باب: ما ينهى من السباب واللعن، ومسلم رقم (١١٠) في «الإيمان»، باب: بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) **صحيح**: أبو داود رقم (٥١٠١) في «الأدب»، باب: ما جاء في الديك، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٤٥)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٧٣١٤).

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦١٨١) في «الأدب»، باب: لا تسبوا الدهر، ومسلم رقم (٢٢٤٦) في «الألفاظ»، باب: النهي عن سب الدهر.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦١٨٢) في «الأدب»، باب: لا تسبوا الدهر، ومسلم رقم (٢٢٤٦) في «الألفاظ»، باب: النهي عن سب الدهر.

وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرت بِهِ»[(١)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ الله، تَأتي بالرَّحْمَة، وتَأتي بالعَذَاب، فَإِذَا رأيْتُمُوهَا فَلا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، واسْتَعيذُوا بالله مِنْ شَرِّهَا»[(٢)] رواه أبو داود، وابن ماجه، وقال النووي: إسناده حسن[(٣)] «رَوْحِ الله» أي: من رحمة الله، قاله النووي.

قال الشافعي - رحمه الله -: لا ينبغي لأحد أن يسُبَّ الرياح، فإنها خلق لله تعالى، مطيع، وجند من أجناده، يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء[(٤)].

٢٦ - حفظ اللسان عن سب الحمى:

عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب، فقال: «مَا لكِ يَا أمَّ السَّائب تُزَفْزِفينَ»[(٥)]؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: «لاَ تَسُبِّي الحُمَّى؛ فَإنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَني آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الكيرُ خَبَثَ الحَديدِ»[(٦)].

٢٧ - حفظ اللسان عن شهادة الزور:

قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[(٧)]

وعن أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألاَ أنَبئكُمْ بأكْبَر الكَبَائر؟»

---

(١) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٢٥٢)، في «الفتن»، باب: ما جاء في النهي عن سب الريح، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٢٣) وهو في «صحيح الجامع» (٧٣١٥).

(٢) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٩٧) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا هاجت الريح، وابن ماجه رقم (٣٧٢٧)، في «الأدب»، باب: النهي عن سب الريح، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٢٠)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٧٣١٦).

(٣) الأذكار (١٥٢).

(٤) الأذكار (١٥٣).

(٥) **تزفزف**: ترتعد.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٥٧٥) في «البر والصلة»، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه.

(٧) سورة الحج الآية (٣٠).

- ثلاثًا - قلنا : بلىٰ يا رسول الله قال : «**الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالدَين**» وكان متكئًا فجلس فقال : «**ألا وَقَوْلُ الزُّور، وشَهَادَةُ الزُّور**» فما زال يكررها، حتىٰ قلنا : ليته سكت(١) .

٢٨ ـ حفظ اللسان عن المنِّ بالعطية:

قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾(٢)

عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «**ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة وَلاَ يَنْظُرُ إليْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُم عذَابٌ أليمٌ**» فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال : «**المُسبل، وَالمنَّانُ، وَالمُنفقُ سلْعَتَهُ بالحَلف الكَاذب**»(٣) .

٢٩ ـ حفظ اللسان عن سب النفس:

عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «**لاَ يَقُوْلَنَّ أحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي**»(٤) .

٣٠ ـ حفظ اللسان عن اليمين الغموس (الكاذب):

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «**من حلف على مال امريءٍ مسلمٍ بغير حقِّه، لقي الله وهو عليه غضبان**» (٥)

وعن الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - قال(٦) : كان بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «**شَاهدَاك أوْ يَمينُهُ**»

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٦٥٤)، في «الشهادات»، باب : ما قيل في شهادة الزور، ومسلم رقم (٨٧) في «الإيمان»، باب : الكبائر وأكبرها .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٤ .

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم رقم (١٠٦)، في «الإيمان»، باب : بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية والترمذي رقم (١٢١١)، في «البيوع»، باب : ما جاء فيمن حلف علىٰ سلعة، والنسائي (٧/ ٢٤٦) .

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦١٨٠)، في «الأدب»، باب : لا يقل : خبثت نفسي، ومسلم رقم (٢٢٥١)، في «الألفاظ» باب : كراهة قول الإنسان : خبثت نفسي .

(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٥٤٩)، في «التفسير»، باب : «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا» ومسلم رقم (١٣٨) في «الإيمان»، باب : وعيد من اقتطع حق مسلم .

(٦) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٥٥٠) في «التفسير»، باب : «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا» ومسلم رقم (١٣٨) في «الإيمان»، باب وعيد من اقتطع حق المسلم .

قلت: إذًا يَحلف ولا يبالي فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمين صَبْر[١] يَقْتَطعُ بهَا مال امْرئ مُسْلم، هُوَ فيهَا فَاجرٌ لقي اللهَ وَهُوَ عَلَيْه غَضْبَان»[٢].

٣١ـ حفظ اللسان عن تسويد الفاسق والمبتدع والمنافق:

اعلم أنه لا يجوز للمسلم أن يقول للمنافق: يا سيدي، سواء بالنطق، أو الكتابة كمن يكتب السيد المحترم فلان، ولو كان ذلك المنافق رئيسًا أو وزيرًا أو ملكًا.

عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لاَ تَقُولُوا للمُنَافق سَيِّدٌ، فَإِنَّه إنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَد أسْخَطْتُم ربَّكُم ـ عز وجل»[٣] رواه أبو داود، والنسائي، وقال الحافظ المنذري: إسناده صحيح[٤].

٣٢ـ حفظ اللسان عن النطق بواو الإشراك:

وذلك كمن يقول: توكلت على الله وعليك، أو يقول: ليس لي غير الله وأنت، وأشباه ذلك.

عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لاَ تَقُولُوا، مَا شَاء اللهُ وَشَاء فُلاَنٌ، وَلَكن قُولُوا: مَا شَاء اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»[٥] رواه أبو داود، وقال النووي: سنده صحيح[٦].

وكان إبراهيم النخعي يكره أن يقول الرجل، أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول:

---

(١) **صبر**: جراة وإقدامًا.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٢٦٧٠)، في «الشهادات» باب: اليمين على المدعى عليه، في الأموال والحدود، ومسلم (١٣٨)، في «الإيمان» باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٣) **صحيح**: أبو داود رقم (٤٩٧٧) في «الأدب»، باب: لا يقول المملوك ربي وربتي، والنسائي في عمل «اليوم والليلة» رقم (٢٤٤)، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٦٠)، وهو في «صحيح الجامع» (٧٤٠٥).

(٤) الترغيب والترهيب (٥/ ١٩٢).

(٥) **صحيح**: أبو داود رقم (٤٩٨٠) في «الأدب»، باب: لا يقال: خبثت نفسي، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٥)، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٧) وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وهو في «صحيح الجامع» (٧٤٠٦)، و«الصحيحة» رقم (١٣٧).

(٦) الأذكار (٣٠٨).

أعوذ بالله ثم بك، ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان، وذلك[١]، لأن الواو تفيد الجمع والتشريك أما «ثم» فتفيد العطف مع الترتيب والتراخي.

٣٣ ـ حفظ اللسان عن قول: «مطرنا بنوء كذا»:

عن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ قال[٢]: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء[٣]، كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذا قال رَبُّكُم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**أَصْبَحَ من عِبَادي مُؤمنٌ بي وكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِه، فَذَلِكَ مُؤمنٌ بي كَافِرٌ بالكَوْكَب، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرنا بنَوءِ كَذا وكَذا، فَذَلكَ كَافِر بي مُؤْمنٌ بالكَوْكَب**» متفق عليه.

قال النووي: قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا، مريداً أن النوء هو الموجب والفاعل المحدث للمطر، صار كافراً مرتداً بلا شك، وإن قاله مريداً أنه علامة لنزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفعل الله ـ تعالى ـ وخلقه ـ سبحانه ـ لم يكفر، واختلفوا في كراهته، والمختار أنه مكروه؛ لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث، ونص عليه الشافعي في «الأم». اهـ[٤].

٣٤ ـ حفظ اللسان عن عيب الطعام:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ[٥].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ سأل أهله الإدام، فقالوا: ما عندنا إلا خلٌّ، فدعا به، فجعل يأكل، ويقول: «**نِعْمَ الأدم الخَل، نِعْمَ الأدم الخَلّ**»[٦].

(١) الأذكار (٣٠٨).
(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٨٤٦) في «الأذان»، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم رقم (٧١) في «الإيمان»، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.
(٣) يعني: مطر.
(٤) الأذكار (١٥٥).
(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٥٦٣) في «المناقب»، باب: صفة النبي ﷺ، ومسلم رقم (٢٠٦٤) في «الأشربة»، باب: لا يعيب الطعام.
(٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠٥٢) في «الأشربة»، باب: فضيلة الخل، والتأدم به.

٣٥ ـ حفظ اللسان عن النجوى:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ (١).

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كُنْتُم ثَلاثَة فَلا يَتَنَاجَ اثنَان دُوَن الآخَر، حَتَّى تَخْتَلطُوا بالنَّاس، مِنْ أجْلِ أنَّ ذَلكَ يُحْزِنُهُ» (٢) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

٣٦ ـ حفظ اللسان عن إنشاد الضالة في المسجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣) أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمعَ رَجُلاً يَنْشدُ (٤) ضَالَةً في المسْجد، فَلْيَقُل لاَ رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، فَإنّ المَسَاجدَ لَم تُبنَ لهذا».

٣٧ ـ حفظ اللسان عن طلب المدد من غير الله:

من الناس من يطلب المدد من غير الله ـ تعالى ـ فيقول مثلاً: مدد يا بدوي أو يا دسوقي: مدد يا رسول الله ﷺ، وهذا خطأ فاحش، لأن طلب المدد من غير الله شرك، فالمدد لا يُطلب من أحد مهما عَلَت مرتبته عند الله، ولو كان ملكًا مقربًا، أو نبيًا مرسلاً، أو رجلاً صالحًا، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده الذي يمد العباد، فيمد هذا بالعلم، وذاك بالقوة، وهذا بالمال، وهذا بالجاه، وهكذا.

قال تعالى: ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ (٥).

٣٨ ـ حفظ اللسان عن الاستغاثة بغير الله:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (٦).

---

(١) سورة المجادلة الآية (١٠).

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٢٩٠) في «الاستئذان»، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس، ومسلم رقم (٢١٨٤) في «السلام»، باب تحريم مناجاة الاثنين.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٥٦٨) في «المساجد»، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، وأبو داود رقم (٤٧٣) في «الصلاة»، باب: كراهية إنشاد الضالة في المسجد، والترمذي (١٣٢٠) في «البيوع».

(٤) **ينشد ضالة**: ينادي على شيء ضائع.

(٥) سورة الإسراء (٢٠).

(٦) سورة الأنفال (٩).

فالاستغاثة لا تكون إلا بمن يملك الإغاثة، ولا يملكها إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

خلاصة القول في حفظ اللسان: أن لا تتكلم إلا لمصلحة دينية، أو دنيوية، ولا تضيع ساعات عمرك في اللغو، واللهو، والباطل فإن العمر غال ثمين.

ولقد فَصَّلت بعض الشيء في حفظ اللسان؛ وذلك لأنه أعظم شِباك الشيطان في اقتناص الإنسان، ويتضح ذلك من:

حديث أبي هريرة [١] - رضي الله عنه - قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «**تَقْوَى الله، وَحُسْنُ الخُلُق**» وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «**الأجْوَفَان: الفَمُ والفَرْجُ**» رواه الترمذي وصححه.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أكْثَرَ خَطَايَا ابن آدَمَ في لسَانه**»[٢] رواه الطبراني، وابن أبي الدنيا في «الصمت»، والبيهقي في «الشعب» وحسن إسناده الحافظ العراقي[٣].

وفي حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري - رفعه - قال: «**إذَا أصْبَحَ ابنُ آدَمَ فإنَّ الأعضَاءَ كُلُّها تكفِّرُ اللِّسَانَ؛ تَقُول: اتَّقِ الله فينَا، فَإنَّمَا نَحْنُ بكَ فإن اسْتَقَمت اسْتَقَمْنَا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجنا**»[٤] رواه الترمذي مرفوعًا، وقال: الموقوف أصح.

ولقد جمع رسول الله ﷺ: هذا كله في قوله: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُل خَيْرًا أو ليَصْمُتْ**»[٥] متفق عليه.

وجمعه الله - عز وجل - في قوله: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ**

---

(١) حسن: رواه الترمذي رقم (٢٠٠٤) في «البر والصلة» باب: ما جاء في «حسن الخلق»، وابن ماجه رقم (٤٢٤٦) في «الزهد»، باب: ذكر الذنوب، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني (٣/ ٧٨) وابن أبي الدنيا في «الصمت»، (٤١/ ١٨)، وقال المنذري: في «الترغيب» (٤/ ٨): رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح وأبو الشيخ في «الثواب» والبيهقي بإسناد حسن، قاله الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٣٤).

(٣) الإحياء (١٥٤٠).

(٤) حسن: الترمذي رقم (٢٤٠٧) في «الزهد»، باب ما جاء في «حفظ اللسان»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٨٧١).

(٥) متفق عليه: البخاري رقم (٦١٣٦) في «الأدب»، باب: إكرام الضيف، ومسلم رقم (٤٧) في «الإيمان»، باب: الحث على إكرام الجار والضيف.

يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ فاللهم إنا نسألك المنطق الحسن، ونعوذ بك من منطق السوء.

الحصن الثامن عشر: حفظ البطن

١ ـ حفظ البطن عن آكل الربا:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات قالوا: يا رسول الله، وما هم؟ قال: «الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقّ، وأكلُ الربَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيم، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المحصنَات الغَافلات المُؤْمنَات»[١].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ آكلَ الربَا ومُوكِلَهُ»[٢].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا ومُؤكلَهُ، وكَاتِبَه وَشَاهِدَيه»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا ظَهَرَ في قَوْمٍ الزِّنَا والرِّبَا إلاَّ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله»[٤] رواه أبو يعلى بإسناد جيد، قاله المنذري[٥].

روى الإمام أحمد بإسناد جيد، عن كعب الأحبار قال: «لأنْ أزْني ثَلاثًا وثَلاثينَ زَنيةً، أحَبُّ إليّ مِنْ أنْ آكُلَ درْهَمَ ربًا، يَعْلَمُ اللهُ أنِّي أكَلْتُه حين أكَلْتُهُ ربًا»[٦].

عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول لأصحابه[٧]: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُم من رؤيَا؟» فيقصُّ عليه ما شاء الله أن يقص وأنه

(١) **متفق عليه:** البخاري رقم (٢٧٦٦) في «الوصايا»، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى﴾ ومسلم رقم (٨٩) في «الإيمان»، باب: الكبائر وأكبرها.

(٢) **صحيح:** مسلم رقم (١٥٩٧) في «المساقاة»، باب: لعن آكل الربا وموكله، وأبو داود رقم (٣٣٣٣) في «البيوع»، والترمذي رقم (١٢٠٦) في «البيوع»، وابن ماجه رقم (٢٢٧٧) في «التجارات».

(٣) **صحيح:** رواه مسلم رقم (١٥٩٨) في «المساقاة» باب: لعن آكل الربا وموكله.

(٤) **حسن لغيره:** حسنه لغيره الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٤) و«صحيح الترغيب» رقم (١٨٦٠).

(د) الترغيب والترهيب: (٤/ ٨٥).

(٦) **صحيح موقوفًا:** رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٥) بسند صحيح موقوفًا على كعب الأحبار، وصححه موقوفًا الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٨٥٤).

(٧) **صحيح:** رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) في «التعبير»، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

قال لنا ذات غداة: «إنه أتانيَ الليْلَة آتيان، وإنَّهُمَا ابْتعثَاني، وأنَّهُمَا قَالا لي: انطلق، وإني انطَلَقْت مَعَهُمَا، وإنّا أتينَا عَلَى رَجُل مُضْطجع، وإذَا آخَرُ قائمٌ عَلَيْه بصَخرة لرأسه، فيَثلغ رأسَه فيَتَدهْدَه الحْجرَ فَيَأخُذُه فلا يرجعُ إليه حتى يَصبح رَأسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمّ يَعودُ، فيَفْعَل مَا فَعَل بالمرة الأولَى.

قال: قُلت لَهُمَا: سُبْحَانَ الله مَا هَذَا؟ قَالاَ لي: انْطَلق، انْطَلق، فَأتَيْنَا عَلَى رَجُل مُسْتَلق عَلى قَفَاهُ، وَإذَا آخَرُ قائمٌ عَلَيه بكَلُّوب منْ حَديد وإذَا هُوَ يَأتي أحَدَ شقَّي وَجْههِ فيُشَرشْرُ شدْقَه إلى قَفَاه وَمَنخَرهُ إلى قَفَاه، وَعَيْنيه إلى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّل إلَى الجَانبَ الآخَر، فَيَفْعلُ به مثْلَ مَا فَعَل بالجَانب الأوَّل، قَال: فما يَفرُغ مِن ذَلكَ الجَانب حَتَّى يَصحَّ ذَلكَ الجَانبَ كَمَا كَانَ، ثُم يعُودُ عَلَيه فَيفعَل مثْلَ مَا فَعَل في المرَة الأولَى.

قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ الله، مَا هَذَا؟ قَالا لي: انطَلق انطَلق، فَانطَلَقْنَا فَأتَيْنَا عَلَى مثل التَّنُور، قَال: فَأحْسبُ أنَّهُ كَان يَقُولُ: فَإذَا فيه لَغَطٌ وأصْواتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فيه فَإذَا هُوَ فيه رجالٌ ونسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإذَا هُمْ يَأتيهم لَهَبٌ منْ أسْفَلَ منْهُم فَإذَا أتاهُم ذَلكَ اللَّهَبُ ضَوضَوا، قَالَ: قُلتُ مَنْ هَؤُلاء؟ قَالاَ لي: انطَلق، انطَلق، فَانطَلَقْنَا فَأتَيْنَا عَلَى نَهْر أحْمَرَ مثْلِ الدَّم، وَإذَا في النَّهْر رَجل سَابح يَسْبَحُ، وإذَا على شَطِّ النَّهْر رَجُل عنْدَهُ قَدْ جَمَعَ حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي جمع عنده الحْجَارَة فيَفْغَر فَاه، فَيُلقمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلق فيَسْبَح ثُمَّ يَرْجعُ إليه كُلما رَجَعَ إليْه فَغَرَفَاه فَألقَمَهُ حَجَرًا، قُلتُ لهُمَا: مَا هَذان؟ قَالا لي: انطَلق انطَلق.

فَانطلَقنا فَأتَيْنَا عَلَى رَجُل كَريه المرْآة كَأكَره مَا أنْتَ رَاء رَجُلاً مَرآة، وإذا عنْدَه نَار يَحشُّها وَيَسْعى حَولَهَا، قَالَ: قُلتُ لهُمَا: مَا هَذا؟ قَالا لي: انْطَلق انطَلق.

فَانطَلَقْنَا فَأتَيْنَا عَلَى روضة مُعْتَمة فيهَا منْ كُل نُور الرَّبيع، وإذَا بيْنَ ظَهْرَي الرَّوْضَة رَجُل طَويلٌ لا أكَاد أرَى رأسَهُ طُولاً في السَّمَاء وإذَا حَوْلَ الرّجُل من أكْثَر ولدَان رَأيتهُم، قَالَ: قُلتُ مَا هَذا؟ ما هؤلاء؟ قَالا لي: انطَلقْ انطَلقْ فانطلقنا فَأتَيْنَا عَلَى دَوْحَةً عَظيمة لمْ أرَ دَوحَة قَطُّ أعْظَمَ وَلا أحْسَنَ منْهَا، قالَ: قَالا لي: ارْق فيهَا، فَارْتَقينَا فيهَا إلى مَدينَة مَبْنية بلَبن ذَهَب ولَبَن فضَّة، فأتَيْنَا بَابَ المدينَة فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتحَ لنَا، فَدَخَلْنَا

فَتَلقَّانا رجَالٌ شَطر منهُم كأحْسَن مَا أنتَ رَاء، وشَطر منْهم كأقبح مَا أنْتَ راء، قَالَ: قَالا لَهُم: اذهَبُوا فَقَعوا في ذَلكَ النَّهر قَالَ: وإذَا نَهرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأنَّ مَاءه المحض في البيَاض، فذَهَبُوا فَوقَعوا فيه، ثُمَّ رَجَعوا إلَيْنَا قَد ذَهَبَ ذَلكَ السوء عَنْهُم فصَاروا في أحْسَن صُورَة قَالَ: قَالا لِي: هَذه جَنَّة عَدْن، وهَذا منْزلك. قَالَ، فَسَما بَصَري صَعَدًا، فإذا قَصرٌ مثْلُ الربَابة البيضَاء، قَالَ: قالا لِيَ: هَذَا منْزلك، قَالَ: قلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فيكُمَا ذَرَانِي أدْخُله. قَالاَ: أمّا الآنَ فَلا وأنتَ دَاخلُهُ.

قالَ: قُلتُ لهُمَا: فَإنِّي رَأيْتُ مُنْذُ الليلة عَجَبًا فَمَا هَذا الذَّي رَأيْتُ؟ قَالَ: قَالا لِيَ: إنَّا سَنُخبرُكَ.

أمَّا الرَّجُل الأوَّل الذَّي أتَيْتَ عَلَيْه يثلغُ رأسَهُ بالحَجر فَإنَه الرَّجُل يأخُذُ القُرآن فَيرفضهُ ويَنَام عَن الصلاة المكتوبة.

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينيه إلى قفاه، فإنه الرَّجُل يَغْدُو من بَيْته فَيكْذبُ الكَذبةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ.

وأمَّا الرّجالُ والنّسَاءَ العُرَاةَ الذينَ هُمْ في مثْل بنَاء التَّنور فإنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّوَاني.

وأمَّا الرَّجُل الذَّي أتَيْتَ عَلَيه يَسْبَح في النَّهْر، ويلقَمُ الحَجَر، فَإنَّه آكلُ الربَا.

وأمَّا الرَّجلُ الكَريه المرآة الذي عنْدَ النَّار يَحُشُّهَا ويَسْعَى حَوْلَهَا، فَإنَّهُ مَالكٌ خَازنُ جَهنَّم.

وأمَّا الرَّجُلُ الطَّويلُ الذَّي في الرَّوْضَة، فَإنَّه إبْراهيمُ، وأمَا الولدَانُ الذيْن حَوْلَه فكُلُّ مَوْلود مَاتَ عَلَى الفطْرَة».

قالَ: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ «وَأوْلاَدُ المشْركينَ».

وأمَّا القَوْمَ الذَّينَ كَانوا شَطْرٌ منْهُمْ حَسَنٌ، وشَطَر منْهُمْ قَبِيحٌ، فَإنَّهُم قَوم خَلَطُوا عَملاً صَالحًا وآخَرَ سَيئًا تجاوَزَ الله عَنْهُم».

مفردات الحديث:

الغَدَاة: صلاة الفجر، **يَثْلَغُ رَأسَهُ**: يشرخ، **فَيَتَدَهْدَهُ**: يتدحرج، **الكَلُّوبُ**:

هو حديدة معوجة الرأس، **يُشَرْشِرُ شدقَهُ**: يشق جانب فمه، **اللَّغَطُ**: الصوت والصياح، **ضَوْضَوا**: صاحوا وصرخوا، **فَغَرَ فَاه**: فتح فاه، **يَحُشُّها**: يوقدها، **مُعْتَّمة**: طويلة النبات، **نُور الربيع**: أزاهيره، **المحضُ في البَياض**: أبيض ناصع، **سَمَا بَصَري صعداً**: ارتفع بصري إلى فَوق: **الرَّبَابَة البيضَاء**: السحابة البيضاء.

وهذا حديث عظيم مليء بالفوائد وقد سقته بطوله لكي تتم الفائدة.

٢ ـ حفظ البطن من أكل الرشوة:

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الرَّاشِي والمُرْتَشِي»[١] رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

٣ ـ حفظ البطن عن أكل ثمن الكلب وكسب البغي:

عن أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله الوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ، وآكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ، وَنَهَىٰ عَنْ ثَمَن الكَلْب، وَكَسْبِ البَغيِّ، ولَعَنَ المُصَورِينَ»[٢].

وكسب البغيِّ: هي المرأة التي تزني بأجرة وتتكسب من ذلك.

٤ ـ حفظ البطن عن آكل مال اليتيم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٣] وقد مرَّ بنا حديث أبي هريرة في «الكبائر» فذكر منها رسول الله ﷺ: «آكْلُ مَالَ اليَتِيم»[٤].

قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب يخرج من فيه، ومن مسامعه وأنفه، وعينيه يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم[٥].

---

(١) **صحيح**: أبو داود رقم (٣٥٨٠) في «الأقضية»، باب: كراهية الرشوة، والترمذي رقم (١٣٣٧) في «الأحكام»، وابن ماجه رقم (٢٣١٣) في «الأحكام»، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٦٤)، وهو في صحيح الجامع (٥٠٩٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٣٤٧) في «الطلاق»، باب: مهر البغي والنكاح الفاسد.

(٣) سورة النساء الآية (١٠). (٤) سبق قريبا.

(٥) ابن كثير (١/ ٤٥٦).

حفظ البطن عن الشبهات:

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الحَلاَل بيّنٌ وَالحَرامَ بَينٌ، وبَيْنَهُمَا أمورٌ مُشتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ منَ النَّاس، فَمَنْ اتَّقَى الشبُّهَات فَقَد استَبْرأ لدينه وعِرْضه، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَات وَقَعَ في الحَرَام كَالرَّاعي يَرْعَى حَوْلَ الحمَى يُوشكُ أنْ يَرتَعَ فيه، ألاَ وإنَّ لكُلِّ مَلك حَمىً، ألاَ وإنَّ حمى الله مَحَارمُهُ ألاَ وإنَّ في الجَسَد مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدَ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلّهُ ألا وهيَ القَلْبُ»[1] .

وعن وابصة بن معبد - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ، وأنا لا أريد أن أدع شيئًا من البرِّ والإثم إلا سألت عنه، فقال لي: «ادْنُ يَا وَابصَةُ» فدنوت منه حتى مَسَّتْ ركبتي ركبته، فقال لي: «يَا وَابصَةُ أخْبِرُكَ عَمَّا جِئْتَ تَسْأل عَنْهُ؟» قلت: يا رسول الله أخبرني: قال: «جِئْتَ تَسْألُ عَن البرِّ والإثْم» قلت: نعم، فجمع أصابعه الثلاثة، فجعل ينكت بها في صدري، ويقول: «يَا وَابصَة: اسْتَفت قَلْبَكَ، البُّر مَا اطْمأنَّتَ إليه النَّفْسُ، وَاطْمَأنَ إليه القَلْبُ، وَالإثْمُ مَا حَاكَ في القَلْب، وَتَرَدَّدَ في الصَّدْر، وإنْ أفْتَاكَ النَاسُ وَأفْتُوكَ» رواه أحمد بإسناد حسن قاله الحافظ المنذري[2] .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: وجد رسول الله ﷺ تمرة في الطريق فقال: «لَولاَ أنِّي أخَافُ أنْ تَكُونَ منَ الصَّدَقَة لأكَلْتُهَا»[3] وذلك لأن الصدقة محرمة على رسول الله وآل بيته الكرام.

وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعَ مَا

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٢)، في «الإيمان»، باب: فضل من استبرأ لدينه، ومسلم رقم (١٥٩٩)، في «المساقاة» باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٧/ ٢٤١).

(٢) **حسن**: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٣٤).

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٠٥٥)، في «البيوع»، باب: ما يتنزه من الشبهات، ومسلم رقم (١٠٧١)، في «الزكاة»، باب: تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، وأبو داود رقم (١٦٥١، ١٦٥٢)، في «الزكاة

يَرِيبُكَ»(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والدارمي.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان لأبي بكر - رضي الله عنه - غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر؟ وما هو؟ قال: كنت تكَهَّنْتُ لإنسان في الجاهلية وما أحْسِنُ الكِهَانَةَ إلا أنِّي خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»(٢).

٦ - حفظ البطن عن الحرام بأنواعه:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: «**إنَّ اللهَ طَيِّب لاَ يَقْبَل إلاَّ طَيِّبًا، وإنّ اللهَ أمَرَ المؤمنينَ بمَا أمَرَ به المرسَلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٣) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(٤) ثُم ذكَرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيه إلى السَّمَاء: يَا ربِّ يَارَبِّ ومَطْعمه حَرَام ومَشْرَبه حَرَامٌ، ومَلْبسُهُ حَرَامٌ وغُذِّيَ بالحَرَام، فأنَّى يُسْتَجَابُ لذَلكَ؟**»(٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ(٦): «**وَالذي نَفْسي بيَده، لأنْ يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب، ثم يأتي به فيحملَه على ظهره، فيأكل خير له من أن يسأل الناس، ولأن يأخذ ترابًا فيجعله في فيه خيرٌ له من**

(١) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٥١٨)، في «صفة القيامة»، باب (٦٠)، والنسائي (٨/ ٣٢٧، ٣٢٨)، في «الأشربة» وأحمد في «المسند» (١/ ١٠١)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٧٧).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٨٤٢)، في «مناقب الأنصار»، باب: أيام الجاهلية.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٥١.
(٤) سورة البقرة الآية ١٧٢.
(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (١٠١٥)، في «الزكاة»، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب والترمذي رقم (٢٩٩) في «التفسير».
(٦) **القسم الأول منه متفق عليه**: البخاري رقم (١٤٨٠)، في «الزكاة»، باب قول الله تعالى: «لا يسألون الناس إلحافا» ومسلم رقم (١٠٤٢)، في «الزكاة»، باب: كراهة المسألة للناس والحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٩٣)، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد وثق.

أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه» رواه أحمد بإسناد جيد، قاله المنذري [(١)] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«يأتي على الناس زمان لا يُبالي المَرْءُ مَا أخَذَ، أمِنْ الحَلال أمْ مِن الحَرَامِ»**[(٢)] رواه البخاري.

٧ - حفظ البطن عن الإمعان في الشبع:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أضاف رسول الله ﷺ ضيفًا كافرًا، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرىٰ، فشرب حلابها، ثم أخرىٰ فشرب حلابها، حتىٰ شرب حلاب سبع شياة، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرىٰ فلم يستتمه، فقال رسول الله ﷺ **«المُؤْمنُ يَشْرَبُ في معيٍّ وَاحد، وَالكَافرُ يَشْرَبُ في سَبْعَة أمْعَاء»**[(٣)] .

وقال النبي ﷺ: **«المُؤْمنُ يأكُلُ في معيٍّ وَاحد، وَالكَافرُ يأكل في سَبْعَة أمْعَاء»**[(٤)].

وعن المقداد بن معد يكرب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مَلأَ آدميٌّ وعَاء شرًا منْ بَطْنه، بحَسْب ابن آدَمَ لقَيْمَاتٌ يُقمْن صُلْبَه، فَإن كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لطَعَامه، وثَلَثٌ لشَرَابه، و ثُلُثٌ لنَفَسه»**[(٥)] ، رواه أحمد، وأهل السنن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال النبي ﷺ: **«كُلُوا واشْرَبُوا، وَالبَسُوا وتَصَدَّقُوا، في غَيْر إسْرَاف وَلا مَخْيلَة»**[(٦)].

---

(١) الترغيب والترهيب (٤/ ٢١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٢٠٥٩)، في «البيوع»، باب: من لم يبال من حيث كسب المال.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠٦٣)، في «الأشربة»، باب المؤمن يأكل في معيّ واحد.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٣٩٣، ٥٣٩٤)، في «الأطعمة»، باب: المؤمن يأكل في معي واحد، ومسلم رقم (٢٠٦٠، ٢٠٦١)، في «الأشربة»، باب: المؤمن يأكل في معيّ واحد.

(٥) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٣٨٠)، في «الزهد»، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، وابن ماجه رقم (٣٣٤٩) في «الأطعمة»، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٤، ٥٢٣٦)، ورواه أحمد في «المسند» (١٣٢٤) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٣٠)، وصححه، وأقره الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٧٤).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري معلقًا، مجزومًا في أول كتاب اللباس، وابن ماجه رقم (٣٦٠٥)، في «اللباس»، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة والنسائي (٥/ ٧٩)، في «الزكاة»، باب: الاختيال في الصدقة، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٢).

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كُلْ ما شئت، والبَس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة. ذكره البخاري في صدر «كتاب اللباس» من «صحيحه».

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إيّاكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخَرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقال أبو سليمان الداراني: من شبع دخل عليه ست آفات: فقْدُ حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثُقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل.

وقال نافع: جاء رجل بجوار شيء إلى ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: ما هذا؟ قال شيء يُهضم به الطعام، قال: ما أصنع به؟ إنه ليأتي عليَّ الشهر ما أشبع فيه من الطعام.

وقال محمد بن واسع: من قلَّ طعامه فهم وأفهم، وصفا ورقَّ، وإنْ كثرة الطعام، ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد.

وقال أبو عبيدة الخواص: حتفك في شبعك، وحفظك في جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت فنمت واستمكن منك العدو فجثم عليك.

وقال عمرو بن قيس: إياكم والبطنة؛ فإنها تقسِّي القلب.

وقال الحسن: كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة، وهي بليتكم إلى يوم القيامة.

وقد قيل: إذا أردت أن يصحَّ جسمك ويقل نومك، فأقلل من الأكل.

وقال بشر: ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم من الحلال؛ لأنه إذا شبع من الحلال دعته نفسه إلى الحرام، فكيف من هذه الأقذار؟

قال إبراهيم بن أدهم: من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع، وقريبة من الشبعان، والشبع يُميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك.

ورُوي أن إبليس ـ لعنه الله ـ قال ليحيى عليه السلام ـ ربما شبعت فأثقلناك عن الصلاة، فقال يحيى: لله عليّ ألا أشبع أبدًا، فقال إبليس ـ عليه لعنة الله ـ: لله عليّ أن لا أنصح مسلمًا أبدًا.

وقال الشافعي: الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

وخلاصة القول: أن الرجل إذا شبع استمكن منه الشيطان فمنعه من كل خير، وزين له كل شر.

وقد جمع الله هذا كله في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(١).

الحصن التاسع عشر: حفظ الفرج

عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحيَيه(٢) وَمَا بَيْنَ رِجْلَيه(٣) تَضَمَّنْتُ لهُ الجَنَّة»(٤) رواه البخاري.

١ ـ حفظ الفرج من الزنا:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِن، ولا يَشْرَبَ الخَمْرَ حِينَ يشْرَبُهَا وهُوَ مُؤْمِن»(٥).

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣١.
(٢) **لحييه**: فكيه والمقصود اللسان.
(٣) **رجليه**: المقصود الفرج.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري: رقم (٦٤٧٤) في «الرقاق»، باب: حفظ اللسان.
(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٢٤٧٥) في «المظالم»، باب: النهي بغير أذن صاحبه، ومسلم رقم (٥٧) في «الإيمان»، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَا نَعَايَا العَرَب، يَا نَعَايَا العرَب، إنَّ أَخْوَفَ مَا أخَافُ عَلَيْكُم: الزِّنَا، والشَّهْوةُ الخَفِيَّةُ»[١] رواه الطبراني بإسناد صحيح، قاله المنذري[٢] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القيامَة، ولاَ يُزَكيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إليْهِمْ،ولهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلك كذَّابٌ، وعَائلٌ مُسْتكْبِرٌ»[٣] .

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال[٤] : سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «أنْ تجعَل لله نداً[٥] وهو خلقك»، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: «أنْ تَقْتلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تُزَانِي حَليلَةَ جَارِكَ» .

وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «حُرْمَةُ نسَاء المُجَاهدينَ عَلَى القَاعدينَ كَحُرمْة أمهَاتهمْ، مَا من رَجُل منَ القَاعدينَ يَخْلُفُ رَجلاً منَ المُجَاهَدينَ في أهْله، فيَخونه فيهمْ، إلا وَقَفَ لَهُ يوْمَ القيَامة فيَأخُذ من حَسَنَاته مَا شَاء حَتَّى يَرْضَى» وفي رواية: «أتَرَوْنَ يَدَعُ لَهُ منْ حَسَنَاته شَيئًا؟»[٦] .

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٢٢) بإسناد حسن لأجل عبد الله بن بديل، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق يخطئ، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٦/ ٢٥٥): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الله بن بديل بن ورقاء وهو ثقة وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٣٩٠).

(٢) **الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٩)**.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم، رقم (١٠٧) في «الإيمان»، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والنسائي (٦/ ٨٦) في «الزكاة».

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٤٧٧) في «التفسير»، باب: قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ ومسلم رقم (٨٦) في «الإيمان»، باب: كون الشرك أقبح الذنوب.

(٥) **الند**: هو الشريك والمثيل.

(٦) صحيح: رواه مسلم رقم (١٨٩٧) في «الإمارة»، باب: حرمة نساء المجاهدين، وأبو داود (٢٤٩٦) في «الجهاد»، والنسائي (٦/ ٣٥٧) في «الجهاد».

٢ ـ حفظ الفرج من اللواط(١).

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أخوَفَ مَا أخَافُ عَلَى أمتِّي عَمَلُ قَومِ لُوطٍ**»(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب.

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب يُنكح كما تُنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي بن أبي طالب، فقال علي: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرىٰ أن تُحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار، فأمر أبو بكر أن يحرق بالنار رواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي(٣) بسند جيد قاله المنذري(٤).

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «**استَحْيُوا، فَإنَّ اللهَ لا يَسْتَحيِي مِنَ الحَقِّ، ولاَ تَأتُوا النِّسَاءَ فِي أدْبَارِهِنَّ**»(٥) رواه أبو يعلىٰ بإسناد جيد، قاله المنذري(٦).

وعن علي بن طلق ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لاَ تَأتُوا النِّسَاءَ فِي استَاهِنَّ، فَإنَّ اللهَ لا يَسْتَحيِي مِنَ الحَقِّ**»(٧) رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

---

(١) **اللواط**: هو أن يأتي الرجل الرجل.
(٢) **صحيح**: الترمذي رقم (١٤٥٧) في «الحدود»، وابن ماجه رقم (٢٥٦٣) في «الحدود»، باب: من عمل عمل قوم لوط، وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٥٥٢).
(٣) قال الألباني في صحيح الترغيب (٢/ ٦٢٤) يعني في «شعب الإيمان»، (٢/ ١٢١/ ٢) ورواه في السنن من غير طريق ابن أبي الدنيا، وأعله بالإرسال (٨/ ٢٣٢).
(٤) الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٥).
(٥) **صحيح لغيره**: ابن ماجه رقم (١٩٢٤) في «النكاح»، باب: النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢١٣) وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٠٥).
(٦) الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٦).
(٧) **حسن**: الترمذي رقم (١١٦٤) في «الرضاع»، باب: ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٨٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٤٣٤).

٣ ـ حفظ الفرج عن إتيان البهيمة:

روىٰ الحاكم (٤/ ٣٥٦) عن أبي هريرة مرفوعًا: «مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوط مَلْعُونٌ مَن أتَى شَيئًا منَ البَهَائِم» وقال: صحيح الإسناد، قلت: بل هو ضعيف الإسناد؛ لأنه من رواية هارون بن هارون التيمي، وهارون هذا قال عنه الحافظ في «التقريب»[(١)]: ضعيف، وقد رواه الطبراني من طريق أخرىٰ ولكنها أضعف من الأول؛ لأنها من رواية محرر أخي هارون هذا وهو أضعف منه، قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك[(٢)].

ولا تغتر بتحسين الترمذي، لأحاديث محرر هذا، فإن الترمذي ـ رحمه الله ـ متساهل في التحسين كما هو معلوم.

ومع ضعف هذه الأحاديث، فإن إتيان البهيمة محرَّم بالاتفاق، وبعموم قوله تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[(٣)].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَة، فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوها»[(٤)].

٤ ـ حفظ الفرج من إتيان المرأة وهي حائض:

عن أبي هريرة مرفوعًا: «مَنْ أتَى حَائضًا أو امْرَأةً في دُبُرِهَا، أو كَاهِنًا فَصَدَّقَه، فَقَد كَفَرَ بِمَا أنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد»[(٥)] رواه أحمد وأهل «السنن» الأربعة وصححه الألباني[(٦)].

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٣١٣).
(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٢٣١)
(٣) سورة المؤمنون الآيات (٥ ـ ٧).
(٤) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٤٤٦٤) في «الحدود»، باب: فيمن أتىٰ بهيمة، والترمذي رقم (١٤٥٥) في «الحدود»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٥) وصححه وأقره الذهبي والألباني في «الإرواء» (٨/ ١٣) حديث رقم (٢٣٤٨).
(٥) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٣٩٠٤) في «الكهانة»، باب: في الكاهن، والترمذي رقم (١٣٥) في «الطهارة»، وابن ماجه رقم (٦٣٩) في «الطهارة»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٢، ٢٤٣).
(٦) آداب الزفاف (١٥).

٥ ـ حفظ الفرج عن السحاق ونكاح اليد:

السحاق: هو إتيان المرأة المرأة، وكلاهما محرم بالاتفاق واستدل العلماء على تحريمها بعموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

وخلاصة القول: أنه يجب على المسلم أن يحفظ فرجه عن جميع ما حُرِّم عليه؛ لأن كثرة الذنوب تُمكن الشيطان من الإنسان.

الحصن العشرون: حفظ اليد

١ ـ حفظ اليد عن نزغات الشيطان:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُم عَلَى أَخيهِ بالسِّلاَحِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيطَانَ يَنْزِعُ في يَده، فَيَقَع في حُفْرَةَ مِنَ النَّارِ**»(١).

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**مَن أشَار إِلىَ أخيهِ بحديدَة، فإنَّ المَلاَئكَةَ تَلعَنُهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ، وإنْ كَانَ أخَاهُ لأبِيه وأمّه**»(٢).

٢ ـ حفظ اليد عن قتل المسلم:

عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذَا التقَى المسْلمَان بسَيْفيهمَا فَالقَاتِلُ والمقْتُولُ في النَّار**». قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كَانَ حَرِيصًا على قتل صَاحِبِه**»(٣).

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبابُ المسْلِم فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٧٠٧٢) في «الفتن»، باب: قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» ومسلم رقم (٢٦١٧) في «البر والصلة»، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.
(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٦١٦)، في «البر والصلة»، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم
(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٣١) في «الإيمان»، باب: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ ومسلم رقم (٢٨٨٨) في «الفتن» وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما.
(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٤٨) في «الإيمان»، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ومسلم رقم (٦٤) في «الإيمان»، باب: بيان قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

٣ ـ حفظ اليد عن قتل النفس:

عن أبي هريرة: رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تردّى منْ جَبلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّم يَتَرَدَّى فيه خَالدًا مُخَلدًا فيهَا أبدًا، ومَن تَحَسَّى سُمًا فَقَتَل نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَده يَتحساه في نَارِ جَهَنَّم خَالدًا مَخَلدًا فيهَا أبَدًا، وَمَنْ قَتَل نَفْسَهُ بحَديدَة، فَحَديدته في يَده يَجأ بهَا في بَطْنه في نار جَهَنَّمَ خَالدًا مُخَلَّدًا فيهَا أبَدًا»[١] .

٤ ـ حفظ اليد عن مصافحة الأجنبية:

اعلم أخي المسلم أنه لا يجوز للمسلم أن يُصافح امرأةً أجنبية منه، وهذا الحكم يشمل المرأة المحرمة تحريمًا مؤقتًا أيضًا.

فعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لأنْ يُطْعَنَ في رَأسِ أحَدكُمْ بمخْيَط منْ حَديد خَيْرٌ لَهُ منْ أنْ يَمَسَّ امْرأةً لاَ تَحلُّ لَهُ» رواه الطبراني، والبيهقي والروياني، وقال الألباني: سنده جيد.

وبالتحريم قال جمهور علماء المذاهب الأربعة وغيرهم[٢] .

المذهب الحنفي: يقول صاحب «الدر المختار»: لا يحلّ مسُّ وجه المرأة وكفيها وإن أمن الشهوة.

المذهب المالكي: يقول الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدردير: لا تجوز مصافحة المرأة ولو متجالة[٣] .

المذهب الشافعي: يقول أبو زرعة «يَحْرمُ مسُّ الأجنبية» وكذا قال الإمام النووي والحافظ ابن حجر العسقلاني.

المذهب الحنبلي: قال محمد بن عبد الله بن مهران: إن أبا عبد الله ـ يعني الإمام

---

(١) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٧٧٨) في «الطب»، باب: شرب السم والدواء به. ومسلم رقم (١٠٩)، في «الإيمان»، باب: بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) راجع رسالة «أدلة تحريم المصافحة» للشيخ محمد بن أحمد المقدم ـ حفظه الله.

(٣) **متجالة**: عجوز.

أحمد بن حنبل - سئل عن الرجل يصافح المرأة؟ قال: لا وشدَّد فيه جدًا.

قلت: فيصافحها بثوبه؟ قال: لا.

وقال الشيخ محمد سلطان المعصومي: إن مصافحة النساء الأجنبيات لا تجوز ولا تحل، سواء مع الشهوة أو لا - وسواء كانت شابة أو لا.

فهذه فتاوىٰ علماء المذاهب الأربعة، رحمهم الله - وهذا هو الحق في المسألة، فمن حاد عنه فقد اتبع هواه بغير هدىً من الله.

شبهات:

من الناس من يقول: إني أصافح الأجنبية بدون شهوة وبنية صافية فهل هذا حرام؟

الجواب: نعم حرام، لأن المعصوم ﷺ ذا القلب التقي النقي الطاهر لم يصافح أمرأة أجنبية، تقول عائشة - رضي الله عنها - «**مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُول الله ﷺ يَدَ امْرَأَة إلاَّ امْرَأَةً يَمْلكُهَا**»[(١)] ومعنىٰ «يملكها»: أي يملك نكاحها..

ويقـول آخـر: إني أعلم بأن مصافحة المرأة حرام، ولكن أستحيي من ردِّ يد قريبتي مثلاً إذا مدت يدها - فهذه ضرورة!!

والجـواب: أن هذه ليست ضرورة شرعية معتبرة؛ لأن النساء في المبايعةُ مددن أيديهن لمصافحة النبي ﷺ فأبىٰ، وقال: «**إنِّي لاَ أصَافِحُ النِّسَاءَ**»[(٢)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي ومالك.

ويقول آخر: ورد أن عمر بن الخطاب كان يصافح النساء في البيعة.

(١) **متفق عليه:** البخاري رقم (٧٢١٣) في «الأحكام»، باب: بيعة النساء، ومسلم رقم (١٨٦٦) في «الإمارة»، باب: كيفية بيعة النساء.

(٢) **صحيح:** الترمذي رقم (١٥٩٧) في «السير»، باب: ما جاء في بيعة النساء، والنسائي (٧/ ١٤٩) في «البيعة»، وابن ماجه (٢٨٧٤) في «الجهاد»، ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢) في «البيعة»، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧١)، وهو في «صحيح الجامع» (٢٥١٣).

والجواب: هذا الأثر رواه الطبراني بإسناد ضعيف جدًا لا تقوم به حجة.

وخلاصة القول في هذا: أنه يَحْرُم على المسلم أن يصافح أي امرأة أجنبية منه، وهي كل امرأة يجوز له أن يتزوج بها.

٥ ـ حفظ يد الرجل عن لبس الذهب:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه، وقال: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُم إلى جَمْرةٍ من نَارٍ فيَجْعَلُهَا في يَدِه**» فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، فقال: لا، والله لا آخذه قد طرحه رسول الله ﷺ(١).

٦ ـ حفظ اليد عن اللعب بالنرد:

عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لعبَ بالنّردَشِيرِ، فكأنَّمَا صَبَغ يَدَه في لَحمْ خنْزِير ودَمِه**»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَعِبَ بنَرْدٍ فَقَدْ عَصَى الله ورَسُولَهُ**»(٣) رواه مالك، وأبو داود، وابن ماجه.

وبالجملة: يجب على المسلم أن يحفظ جميع جوارحه عن المعاصي صغيرها وكبيرها فإن استهواه الشيطان فاقترف شيئًا وجب عليه المسارعة بالتوبة.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠٩٠) في «اللباس والزينة»، باب: تحريم خاتم الذهب على الرجال.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٢٦٠) في «الشعر»، باب: تحريم اللعب بالنردشير، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٧١)، وأبو داود (٤٩٣٩) في «الأدب»، وابن ماجه (٣٧٦٣) في «الأدب»، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٢، ٣٥٧).

(٣) **حسن**: البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٦٩)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٦)، وأبو داود رقم (٤٩٣٨) في «الأدب»، وابن ماجه (٣٧٦٢) في «الأدب»، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٤)، وحَسَّنه الألباني في «الإرواء» (٢٦٧٠) لعلة الانقطاع بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى الأشعري، وطرق الحديث الأخرى التي يتقوى بها.

الحصن الحادي والعشرون: تحصين البيت

١ ـ ذكر الله عند الدخول:

عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ: «إِذَا وَلَجَ(١) الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَوْلَجِ، وَخَيْرَ المَخْرجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجنَا، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى رَبِّنا تَوكَلْنَا، ثُم يُسَلِّم عَلَى أَهْلِه»(٢) رواه أبو داود، وقال الألباني: إسناده صحيح.

٢ ـ التسليم على الأهل:

قال النووي: يستحب أن يقول: بسم الله، وأن يكثر من ذكر الله تعالى، وأن يسلم سواء كان في البيت آدمي أم لا، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (٣) اهـ (٤).

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّم يَكُن بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»(٥) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ كُلُّهُم ضَامِنٌ عَلَى اللهِ عزَّ وَجَل: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ ـ عزَّ وَجَل ـ فَهُو ضَامِن عَلَى اللهِ ـ عَزَّ وَجَل ـ حَتى يَتَوفَاهُ فَيُدخِلُهُ الجَنَّةَ، أَو يَرُدَّه بِما نَال مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُل رَاحَ إِلى المَسْجِدِ فَهُو ضَامِن عَلَى اللهِ ـ تَعَالى ـ حَتَّى يَتوفَّاهُ فَيُدخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ

---

(١) ولج: دخل.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٠٩٦) في «الأدب»، باب: ما يقول الرجل إذا دخل بيته، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٥) ثم تراجع عن تحسينه ورفعه من «الصحيحة» في طبقة العارف.

(٣) تخريج الكلم الطيب تعليق رقم (٤٣).

(٤) سورة النور: (٦١).

(٥) الأذكار (١٩).

يَرُدَّه بما نَالَ منْ أجْرٍ وَغَنيمة، ورَجُل دَخَل بَيْتَهُ بسَلام فَهُو ضَامن عَلَى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى»(١) رواه أبو داود بإسناد حسن، قاله النووي(٢) .

قال النووي ـ رحمه الله: «ضامن على الله تعالى»، أي صاحب ضمان، والضمان الرعاية للشيء، فمعناه أنه في رعاية الله. اهـ(٣) وما أجمل هذا العطاء أن يظل الرجل في رعاية الله وحفظه.

٣ ـ ذكر الله عند الطعام والشراب:

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذَا دَخَل الرَجُل بيْتَه، فذَكَر اللهَ عنْدَ دُخُوله وعَنْدَ طَعَامه قَالَ الشّيْطَانُ لا مَبيتَ لكُم ولَا عَشَاءَ، وإذَا دَخَل فَلَمْ يَذْكُر الله تَعَالَى عَنْدَ دُخُوله، قَالَ الشَّيْطَان: أدْرَكْتُمُ المبيتَ، وإذَا لَم يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى عندْ طَعَامه، قَالَ: أدْرَكْتُمُ المَبيتَ والعَشَاءَ»(٤) .

٤ ـ كثرة تلاوة القرآن في البيت:

وذلك لأن القرآن يُعطر البيت، ويطيبه، ويطرد منه الشياطين.

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المُؤمن الذي يَقْرَأ القُرْآنَ مَثَلُ الأتْرُجَّة، ريحُها طَيبٌ، وطَعْمُهَا طَيِّبٌ، ومَثَل المُؤمن الذي لا يَقْرأ القُرآن كَمَثَل التَّمرة لا ريحَ لَهَا وطَعْمُهَا حُلْو، ومَثل المُنَافق الذي يَقْرَأ القُرآنَ مَثَلُ الرَيْحَانة، ريحهَا طيِّبٌ وطَعْمُهَا مُر، ومَثَل المنَافق الذي لا يَقْرَأ القُرآن كَمَثَل الحَنْظَلة،

---

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي رقم (٢٦٩٨) في الاستئذان، باب ما جاء: في التسليم إذا دخل بيته، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، قال الحافظ في «التقريب»: (٤٧٣٤): ضعيف، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٠٨).

(٢) صحيح: البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٩٤)، وأبو داود رقم (٢٤٩٤) في «الجهاد»، باب: فضل الغزو في البحر، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٣) وصححه، وأقره الذهبي، والألباني.

(٣) الأذكار، (٢٠) باب ما يقول إذا دخل بيته.

(٤) رواه مسلم: رقم (٢٠١٨) في «الأشربة»، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

لَيْسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌ»(١).

كما أن تلاوة القرآن بخشوع في البيت تجعل الملائكة تدنو منه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - أن أُسَيْدَ بن حُضَير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده، إذ جَالَتْ فَرَسُهُ، فقرأ، ثم جَالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أخرى أيضًا، قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يَحْيَى، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَتْ في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابْنَ حُضَيْر»، قال: فقرأت، ثم جالت أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابنَ حُضَير» قال: ثم جالت أيضًا، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابْنَ حُضَيْر» فانصرفت، وكان يحيى قريبًا منها فخشيت أن تطأه، فرأيت الظلة فيها أمثال السُّرُج عَرَجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «تلكَ المَلائكةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لكَ، ولَوْ قَرَأْت لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ ما تَسْتَتِرُ منْهُم»(٢).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: اقرءوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتًا تقرأ فيه سورة البقرة(٣).

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ كَتَبَ كتَابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بألفَيْ عَامٍ، أنْزَلَ من آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَة، لا يقرآن في دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»(٤) رواه الترمذي، وقال: غريب،

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٥٤٢٧) في «الأطعمة»، باب: ذكر الطعام، ومسلم رقم (٧٩٧) في «صلاة المسافرين»، باب: فضيلة حافظ القرآن.

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٥٠١٨) في «فضائل القرآن»، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، ومسلم رقم (٧٩٧) في «صلاة المسافرين»، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٣) صحيح: الدارمي (٢/ ٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٦١، ٢/ ٤٤٧) وصححه، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٢١) وقال: وهو كما قالا وهو أصح من المرفوع ولكنه في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي. والله أعلم. وهو في صحيح الجامع مرفوعًا رقم (١١٧٠).

(٤) صحيح: الترمذي رقم (٢٨٨٢) في «فضائل القرآن»، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٢٦ موارد)، والحاكم في «المستدرك»، (١/ ٥٦٢) وصححه وأقره الذهبي والألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٧).

والنسائي، وابن حبان والحاكم ولفظه: «وَلاَ يُقرآنٍ فِي بَيتٍ فَيَقربُهُ شَيْطَانٌ ثَلاثَ لَيَالٍ».

٥ ـ تطهير البيت من صوت إبليس:

قال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾. (١)

قال مجاهد: صوت الشيطان الغناء.

وإذا نادئ إبليس في بيت، اجتمع عليه جنوده من كل مكان، فعاثوا في البيت الفساد وأوقعوا فيه الشقاق والفرقة، والبغضاء والشحناء، فإذا كثر الغناء في البيت عشّشت فيه الشياطين، واتخذته لها مسكنًا. فعليك أخي المسلم بتطهير بيتك من الغناء سواء من المذياع أو التلفاز أو غيرهما.

٦ ـ تطهير البيت من الأجراس:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «الجَرسُ مَزَاميرُ الشَّيْطَانِ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلبٌ وَلا جَرَسٌ»(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

واعلم أن الملائكة جند الرحمن وهم دائمًا في حرب مع جند الشيطان، فإذا تخلّت عنهم جنود الرحمن استحوذت عليهم جنود الشيطان، وعن عائشة قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «لاَ تَدخُلُ المَلائكةُ بَيتًا فيه جَرَسٌ» (٤)رواه أبو داود وهو حسن.

(١) الإسراء الآية (٦٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢١١٤) في «اللباس والزينة»، باب: كراهة الكلب والجرس.

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٢١١٣) في «اللباس والزينة»، باب: كراهة الكلب والجرس في السفر، وأبو داود رقم (٢٥٥٥) في «الجهاد»، والترمذي رقم (١٧٠٣) في «الجهاد»، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٢، ٥٣٧).

(٤) حسن لغيره: أبو داود رقم (٤٢٣١) في «الخاتم»، باب: ما جاء في الجلاجل، والنسائي (٨/ ٥٦٢) في «الزينة»، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٢) وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣١٢٠).

٧ ـ تطهير البيت من التصاليب:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيّ يترك فِي بيْتِه شَيْئًا فِيه تصَالِيبَ إلا نَقَضهُ»[١] رواه البخاري وأبو داود.

٨ ـ تطهير البيت من التصاوير والتماثيل:

يجب على المسلم أن يُطهر بيته من التماثيل، إلا ما ورد فيه الاستثناء وهو لعب البنات وكذلك التصاوير إلا ما كان لضرورة كصورة البطاقة والأوراق الرسمية.

وذلك لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تصاوير ولا تماثيل، وكما قلنا آنفًا إذا خرجت الملائكة من البيت عشّشت فيه الشياطين، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ قال: «مَا بَالُ هَذه النُّمْرُقَة؟» فقالت: اشتريتُها لتقعُدَ عليها، وتَوسَّدَها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أصْحَابَ هَذه الصُّوَر يُعَذَّبُونَ يَوَم القيَامة، ويُقَال لهُمْ: أحْيُوا مَا خَلَقْتُم» وقال: «إنَّ البَيْتَ الذي فيه الصُّوَر لا تَدْخُلُهُ الملائكَةُ»[٢].

وعن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُ الملائكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولاَ صُورة تَماثيل»[٣].

واعلم أن التحريم عام شامل لجميع أنواع الصور سواء كانت صورة أو تمثالاً، لها ظل أو ليس لها ظل، باليد أو بالآلة.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له، هذا تلخيص مذهبنا[٤] في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٥٩٥٢) في «اللباس»، باب: نَقْضِ الصور.

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٢١٠٥) في «البيوع»، باب: التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، ومسلم رقم (٢١٠٧) في «اللباس والزينة» (٩٦)، باب: في تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٢٥) في «بدء الخلق»، باب: إذا قال أحدكم آمين، ومسلم رقم (٢١٠٦) في «اللباس والزينة»، (٩٦)، باب: في تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٤) أي المذهب الشافعي.

ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم. اهـ.

ويُستثنى من ذلك الصور التي لا روح فيها كالأشجار، والأنهار، والزروع والجمادات، وغيرها.

عن سعيد بن أبي الحسن - رضي الله عنه - قال: كنت عند ابن عباس: إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك، إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: **«مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا»** فَرَبَا الرجلُ رَبْوَةً شديدة واصفرّ وجهه فقال ابنُ عَبَّاسٍ: ويحك، إن أبيتَ إلا أن تصنع، فعليك بالشجر، وكل شيء ليس فيه روح»[1].

٩ - تطهير البيت من الكلاب:

عن أبي طلحة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ تَدخُلُ الملائكةُ بيْتًا فيه كَلْبٌ ولاَ صُورَةٌ»**[2].

وعن عائشة [3] - رضي الله عنها - قالت: وَاعَدَ رسول الله ﷺ جبريلُ - عليه السلام - في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، وفي يده عصا، فألقاها من يده وقال: **«مَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ولا رُسُلُه»** ثم التفت فإذا جرو[4] كلب تحت سريره فقال: **«يَا عَائِشَةُ متى دَخَلَ هَذا الكَلْبُ هُنَا؟!»** فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأخرج فجاء جبريل، فقال رسول الله ﷺ: **«واعدتني فجلَسْتُ لكَ فَلَم تَأْت»** فقال: **«مَنَعَنِي الكَلْبُ الذي كَانَ فِي بَيْتِك، إنَّا لا نَدْخُلُ بَيتا فيه كَلب وَلا صُورَةٌ»** رواه

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٢٢٢٥) في «البيوع»، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح، ومسلم رقم (٢١١٠) في «اللباس»، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، والنسائي (٥/ ٢١٥) في «الزينة».

(٢) متفق عليه: البخاري رقم(٣٢٢٥) في «بدء الخلق»، باب: إذا قال أحدكم آمين، ومسلم رقم (٢١٠٦) في «اللباس والزينة»، باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٢١٠٤) في «اللباس والزينة»، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، ورواه البخاري عن ابن عمر رقم (٣٢٢٧) في «بدء الخلق»، باب إذا قال أحدكم آمين.

(٤) الجرو: الكلب الصغير.

مسلم، ورواه البخاري، بنحوه عن ابن عمر.

ولا يستثنى من ذلك إلا كلب الصيد وكلب الحراسة، بشرط أن لا يكون أسود؛ لأن النبي ﷺ قال: «الكَلْبُ الأَسْوَد شَيْطَانٌ» (١) رواه مسلم.

وأمر بقتله، فقال: «عَلَيكُمْ بالأَسْوَدِ البَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَين، فإنَّهُ شَيْطَانٌ»(٢).

وفي الصحيحين، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ اقتنَى كَلبًا إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أو مَاشِيةٍ، فَإنَّه يَنْقُصُ مِنْ أجرِهِ كُل يَوْم قيرَاطَان»(٣).

١٠ - الإكثار من صلاة النوافل في البيت:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «اجْعَلُوا من صَلاتِكُمْ فِي بُيُوتكُمْ، ولَا تَتّخذُوهَا قُبُورًا»(٤).

ومن المعلوم أن المقابر، والفلوات، والأماكن الخربة مساكن الشياطين، فكأنه ﷺ يريد منا أن نجعل لبيوتنا قسطًا من صلاة النافلة لتطرد الشياطين منها.

قال النووي: حثَّ على النافلة في البيت، لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك، وتتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان. اهـ(٥).

وحثَّ على ذلك في حديث آخر فقال: «صَلُّوا أيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتكُم، فَإن أفْضَلَ صَلَاةَ المرْءِ فِي بَيْته إلاَّ الصَّلَاةَ المكْتُوبَةَ»(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٥١٠) في «الصلاة»، باب قدر ما يستر المصلي.
(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٥٧٢) في «المساقاة»، باب: الأمر بقتل الكلاب.
(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٢٣٢٢) في «المزارعة»، باب: اقتناء الكلب للحرث، ومسلم رقم(١٥٧٥) في «المساقاة»، باب: الأمر بقتل الكلاب.
(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٤٣٢) في «الصلاة»، باب: كراهية الصلاة في المقابر، ومسلم رقم (٧٧٧) في «صلاة المسافرين»، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته.
(٥) شرح النووي على مسلم (٦/ ٦٨ بشرح النووي).
(٦) متفق عليه: البخاري رقم (٧٣١) في «الأذان»، باب: صلاة الليل، ومسلم رقم (٧٨١) في صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة النافلة، والنسائي (٣/ ١٩٨) في «قيام الليل».

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَثَل البَيْت الذي يُذكر اللهُ فيه، وَالبَيْت الذي لاَ يُذْكَرُ اللهُ فيه: مَثَل الحَيِّ والميّت»(١) .

١١ ـ الكلمة الطيبة والابتسامة المشرقة:

من المعلوم أن الشيطان يريد أن يهدم المجتمع المسلم، فهو يكيد له ويدبر ويخطط، ومن هذه الخطط تقويض عرش الأسرة المسلمة؟ لأنها هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع .

ويتضح ذلك من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاء، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأدْنَاهُم منْهُ مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمُ فتْنَةً، يَجيء أحَدُهُم فَيَقولُ: فَعَلتُ كَذَا وكَذَا، فيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجيء أحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقتُ بَيْنَه وبَيْنَ امْرَأته، قَالَ: فَيُدنيه منه ويَقُولُ: نعْمَ أنْتَ»(٢) رواه مسلم .

وذلك؛ لأن التفريق بين الزوجين هدم للمجتمع من أساسه، وهذا هدف اللعين .

ولذلك يجب على الزوج أن يعامل أهله بالحسنى، وينتقي الحسن من الكلام حتى لا ينزغ الشيطان بينه وبين أهله قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] .

والكلمة الطيبة تشرح الصدر، وتديم العشرة، وتنشر السعادة بين الزوجين .

وقال النبي ﷺ لجابر: «هَلاَّ جَارِيَةً تلاعبهَا و تُلاعبُكَ؟»(٣) متفق عليه .

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٧٧٩) في «صلاة المسافرين»، باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٨١٣) في «صفة القيامة»، باب تحريش الشيطان .

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٤٠٥٢) في «المغازي»، باب «إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا» ومسلم رقم (٧١٥) في «المساقاة» والمزارعة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه .

الحصن الثاني والعشرون

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ - يعني إذا خرج من بيته - بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَهُدِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ، فَيَقُولُ لشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟!»[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني[٢] .

الحصن الثالث والعشرون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد يقول: «أَعُوذُ بالله العَظِيم، وبِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَسُلْطَانه القَدِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قال: «فَإِذَا قالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْمِ»[٣] رواه أبو داود، وحسنه النووي[٤] ، وصححه الألباني[٥] .

الحصن الرابع والعشرون

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. فقال: «أمَا لَو قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكلِمَاتِ الله التَّامَّات، مِنْ شَرِّ مَا خَلَق، لَم تَضُرَّكَ»[٦] رواه مسلم.

وفي رواية لابن السني «مَنْ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَات الله التَّامَات من شَرِّ مَا خَلَقَ ثَلاثًا

---

(١) صحيح: أبو داود رقم (٥٠٩٥) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، والترمذي رقم (٣٤٢٧) في «الدعوات»، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٩) وهو في «صحيح الجامع (٤٩٩)».

(٢) تخريج الكلم الطيب (٤١).

(٣) صحيح: أبو داود رقم (٤٦٦) في «الصلاة»، باب: ما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، والنسائي (١/ ١٧١) في «الطهارة»، وابن ماجه رقم (٥٤٠)، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٢٥)، وصححه الألباني.

(٤) الأذكار (٢٦).

(٥) تخريج الكلم الطيب تعليق رقم (٤٧).

(٦) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٠٩) في «الذكر والدعاء»، باب: في التعوذ من سوء القضاء.

لَم يَضُــرَّهُ شَيءٌ» وسندها صحيح، وفي رواية لمسلم «مَنْ نَزلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّه شَيء، حتَّى يَرتَحِلَ مِنْ مَنْزِله ذَلِك»(١).

الحصن الخامس والعشرون

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْد يَقُولُ في صبَاح كُلِّ يَوْم، ومَسَاء كُلِ ليْلَة، بِسْم الله الذي لاَ يَضرُّ مَعَ اسْمه شَيءٌ في الأَرض وَلا في السَّمَاء وهُو السَّميعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّات لَمْ يضرَّه شَيءٌ»(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب صحيح، وصححه الألباني(٣).

الحصن السادس والعشرون

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: «يَا أَرضُ ربِّي وَربُّكِ اللهُ، أعُوذُ بالله منْ شَـرِّك وشرِّ مَا فيك، وَشَـرِّ مَا خَلَق فيك وَشَرِّ مَا يَدبُّ عَلَيك، أعُوذُ بالله منْ أسَد وَأَسْوَد، ومَن الحيَّة والعَقْرب، وَمن سَاكنِ البَلَد، وَمن وَالد وَمَا وَلَدَ»(٤) رواه أبو داود، وحسنه الحافظ.

الحصن السابع والعشرون: الدعاء

روىٰ أبو داود في «سننه»، عن أبي الأزهر الأنماري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بِسْمِ اللهِ وَضَعتُ جَنْبي، اللَّهمَّ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٧٠٨) في «الذكر والدعاء»، باب: في التعوذ من سوء القضاء.

(٢) **صحيح**: الترمذي رقم (٣٣٨٨) في «الدعوات»، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، وابن ماجه رقم (٣٨٦٩) في «الدعاء»، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٤)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٤٥).

(٣) تخريج الكلم الطيب تعليق (١٠).

(٤) **حسن**: أبو داود رقم (٢٦٠٣) في «الجهاد»، باب: ما يقول الرجل إذا نزل منزلاً، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٣) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند، والحاكم (٢/ ١٠٠) وصححه، وأقره الذهبي.

اغْـفِـرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْـسِئْ شَـيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْـعَلْنِي فِـي النَّدِيِّ الأَعْلَى» (١) وحسن النووي سنده(١).

قال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قُلْ: اللهُمَّ عَالِم الغَيْب والشَّهادة، فَاطر السَّمَوات والأرْض، رَبَّ كُل شَيء وَمَلِيكهُ، أشْـهَد أنْ لاَ إلهَ إلاَّ أنتَ، أعُـوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْـسِي، وَمِن شرِّ الشَّـيْطَان وَشِـرْكِـه» وفـي روايـة: «وأنْ أقْتَـرفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أو أجُـرَّهُ إلَى مُسْلِم، قُلْهُ إذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني(٣).

الحصن الثامن والعشرون: البسملة

عن أبي تميمة الهيجمي، عمّن كان ردف النبي ﷺ قال: كنت ردفه على حمار، فعثر الحمار، فقلت تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: «لاَ تَقُل: تَعسَ الشَّـيْطَان؛ فَإنكَ إذَا قُـلتَ: تَعسَ الشَّيْطَان؛ تَعَـاظَمَ فِي نَفسـه، وَقَالَ: صَـرَعتُه بقُـوتِي: وَإذا قُلتَ: بِسْمِ الله، تَصَاغَـرتْ إليه نَفْسُهُ، حَتَّى يكُـونَ أصْغَرَ مِن ذُبَاب»(٤) رواه أحـمـد بإسناد جيد، قاله المنذري(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود رقم (٥٠٥٤) في «الأدب»، باب: ما يقول عند النوم، وابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم (٧١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٠)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٤٦٤٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود رقم (٥٠٦٧)، في «الأدب»، باب: ماذا يقول إذا أصبح، والترمذي رقم (٣٣٩٢)، في «الدعوات»، وهو في «صحيح الجامع» (٤٤٠٢).

(٣) تخريج الكلم الطيب تعليق (٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود رقم (٤٩٨٢)، في «الأدب»، باب: لا يقال خبثت نفسي، والنسائي في عمل «اليوم والليلة» حديث رقم (٥٥٥)، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩، ٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٢٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٤٠١).

(٥) الترغيب والترهيب (٥/ ٢٧٦).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تَعَالى في أوله، فَإِنْ نَسيَ أَنْ يَذْكُرَ الله ـ تعالى ـ في أوَّله، فَلْيَقل: بِسْمِ الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ»(١) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وعنها أيضًا، قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا أنّه لَو سَمَّى لكَفَاكُم»(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وينبغي للمسلم أن يُسمِّي الله إذا وضع شيئًا، أو رفعه، أو جلس، أو قام، أو فعل أي شيء؛ لأن البسملة مجلبة للبركة مطردة للشياطين.

الحصن التاسع والعشرون

رد التثاؤب

وينبغي على المسلم أن يرد التثاؤب ما استطاع، وأن يضع يده على فيه إذا تثاءب.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يُحب العُطَاسَ، وَيكْرَهُ التَّثَاؤبَ، فإذَا عَطَس أحَدُكُم فَحَمَدَ اللهَ، فحَقٌّ عَلَى كَل مُسْلم سَمِعَهُ أنْ يُشمِّتَه، وأمّا التَّثَاؤب فَإنما هُو من الشَّيْطَان، فَليرُدَّه مَا اسْتَطَاع، فَإذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْه الشَّيْطَانُ»(٣) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا تَثَاءَبَ أحَدُكُم فَلْيُمْسك بيده عَلَى فيه(٤)، فَإنّ الشَّيْطَان يَدْخُل»(٥) رواه مسلم.

(١) صحيح: أبو داود رقم (٣٧٦٧)، في «الأطعمة»، باب: التسمية على الطعام، والترمذي رقم (١٨٥٨)، في «الأطعمة»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٨١) ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٠٧)، والدارمي (٢/ ١٢٩)، في «الأطعمة»، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٠).

(٢) صحيح: الترمذي رقم (١٨٥٨) في «الأطعمة»، باب: ما جاء في التسمية على الطعام، وابن ماجه رقم (٣٢٦٤) في «الأطعمة»، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٣، ٢٤٦، ٢٥٦) وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٣٢٣).

(٣) متفق عليه: البخاري رقم(٦٢٢٦) في «الأدب»، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه، ومسلم رقم (٢٩٩٤) في «الزهد»، باب: تشميت العاطس.

(٤) فيه: فمه.

(٥) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٩٩٥) في «الزهد والرقائق»، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب.

الحصن الثلاثون

التسليم للقضاء من غير عجز ولا تفريط

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[آل عمران: ١٥٦].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «المُؤمن القَوي خَيْر وأحبُّ إلى الله تعَالى من المؤمن الضَّعيف، وفي كُلٍّ خَير، احْرِصْ علَى مَا يَنْفَعكَ، واسْتَعن بالله - عَزَّ وَجَل - ولَا تَعْجز، وإنْ أَصَابكَ شيء فَلا تَقل: لَو أَنّي فعَلت كَذا لكَان كَذا، ولَكن قُل: قَدَّر الله ومَا شاء فعَل، فإن (لو) تَفتح عَمَل الشَّيطَان» رواه مسلم[1].

الحصن الحادي والثلاثون

الأذان طارد للشيطان

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نُودي للصَّلاة أدبَرَ الشَّيطانُ ولَه ضُرَاطٌ، حَتى لا يَسْمَعَ التأذينَ، فإذَا قُضيَ النِّدَاء أقبَلَ، حتَى إذا ثُوِّبَ بالصَّلاة أدْبَر حتَّى إذَا قضيَ التثويب أقبَلَ»[2] رواه البخاري ومسلم.

وعن سُهيل بن أبي صالح[3]، قال: أرسلني أبي إلى ابن حارثة ومعي غلام لنا أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط[4] باسمه، وأشرف الذي معي على الحائط فلم يرَ شيئًا، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقي هذا لم أرسلكَ، ولكن إذا

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٦٦٤) في «القدر»، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٦٠٨) في «الأذان»، باب: فضل التأذين، ومسلم رقم (٣٨٩) في «الصلاة» باب: فضل الأذان.

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (٣٨٩)، باب: فضل الأذان وهرب الشيطان من سماعه.

(٤) حائط: بستان.

سمعت صوتًا فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - يُحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الشيْطَانَ إذَا نُوديَ بالصَّلاة أدْبَرَ» رواه مسلم.

الحصن الثاني والثلاثون

الوضوء

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «طَهِّروا هذه الأجسَادَ طهَّركُمُ اللهُ، فإنَّه لَيْسَ من عَبد يَبيتُ طَاهراً، إلا بَاتَ مَعَه في شعَاره [1] مَلَكٌ، لا ينقَلبُ سَاعةً في الليْل إلا قَال: اللَّهُمَّ اغفر لعبْدكَ فإنَّه باتَ طَاهرًا»[2] رواه في «الأوسط» بإسناد جيد قاله المنذري[3].

الحصن الثالث والثلاثون

قيام الليل

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ذُكر عند النبي ﷺ رجل، فقيل: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: «بَال الشَّيطَانُ في أذُنه»[4] متفق عليه.

والمراد - والله أعلم - أن هذا الرجل ما قام إلى صلاة الليل، ولذلك ترجم له البخاري قائلاً: باب: إذا نام ولم يصل، بال الشيطان في أذنه[5].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقدُ الشَّيْطَان عَلَى قَافيَة رَأس أحَدكُم إذَا هُوَ نَام ثَلاثَ عُقَد، يَضْرب عَلَى مكَان كُل عُقدة عَلَيْكَ لَيْلٌ طَويلٌ فارقُد

---

(١) الشعار: هو ما يلي جسد الإنسان من ثوب أو غيره.

(٢) حسن لغيره: حسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٣٩)، وقال: أورده المنذري في «الترغيب» (١/ ٢٠٧) والهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٢٨)، والحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٩٣)، ولكنهم جميعًا جعلوه من حديث ابن عباس، وقالوا: رواه الطبراني في «الأوسط» بسند جيد، إلا أن الهيثمي قال: وإسناده حسن.

(٣) الترغيب والترهيب (٢/ ١٣).

(٤) متفق عليه: البخاري رقم (٣٢٧٠) في «بدء الخلق»، باب: صفة إبليس وجنوده، ومسلم رقم (٧٧٤) في «صلاة المسافرين»، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٥) البخاري (ك١٩ : ب١٣).

فإن استيقظ فذكر اللهَ انحلتْ عُقْدةٌ، فإن توضأ انحلَّت عُقْدةٌ، فإن صلى انحلَّت عُقْدةٌ فأصْبَحَ نَشيطًا طَيب النَّفس، وإلا أصْبَحَ خَبيثَ النَّفس كَسْلانَ»[١] متفق عليه.

وهذه العقد لا تحل أيضًا إلا إذا قام الرجل فذكر الله، وتوضأ، وصلى بالليل، ولهذا ترجم له البخاري تحت باب عقد الشيطان على قافية الرأس، إذا لم يصل بالليل[٢].

وروى سعيد بن منصور عن ابن عمر: «ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا» قال الحافظ: سنده جيد[٣].

فمن ذلك نستخلص أن الرجل إذا لم يقم شيئًا من الليل أصبح وقد بال الشيطان في أذنيه، وعلى قافيته الثلاث عقد وعلى رأسه الجرير المعقود، والجرير: هو الحبل الذي يُخطم به البعير فلقد تمكن الشيطان منه، وسُلط عليه، وبالعكس تمامًا إذا قام الإنسان من الليل، فإنه يكون بعيدًا عن الشيطان قريبًا من الرحمن.

الحصن الرابع والثلاثون
عدم التشبه بالشيطان

١ - الأكل والشرب باليمين: وذلك لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يأكُلَنَّ أحَدٌ منكُمْ بشماله، ولاَ يَشْرَبَنَّ بها، فإن الشيطَانَ يأكُلُ بشمَاله ويَشْرَب بهَا**»[٤] رواه مسلم.

٢ - الأخذ والعطاء باليمين: وذلك لأن الشيطان يأخذ ويعطي بشماله، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**ليَأكُلْ أحَدُكُمْ بيمينه، وليَشْرَب بيمينه، وليأخُذْ بيمينه وليُعط بيَمينه، فإنَّ الشيْطَان يأكُلُ بشماله، ويَشْرَب بشمَاله، ويعطي بشمَاله، ويَأخُذ بشمَاله**»[٥] رواه ابن ماجه، وصحح المنذري سنده[٦].

---

(١) متفق عليه: البخاري رقم (١١٤٢) في «أبواب التهجد»، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، ومسلم رقم (٧٧٦) في «صلاة المسافرين»، باب: ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٢) البخاري (ك١٩: ب١٢).

(٣) فتح الباري (٣/ ٢٥).

(٤) رواه مسلم: رقم (٢٠٢٠) في «الأشربة»، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها.

(٥) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه رقم (٣٢٦٦) في «الأطعمة»، باب: الأكل باليمين، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣١١، ٤/ ٣٨٣) وصححه بشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٦).

(٦) الترغيب والترهيب (٤/ ١٩١).

٣ ـ عدم الجلوس بين الظل والشمس: وذلك لأنه مجلس الشيطان، فعن أبي عياض عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن النبي ﷺ نهى أن يجلس الرجل بين الضِّح[(١)] والظِّل وقال: «**مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ**»[(٢)] رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وقال المنذري: سنده جيد[(٣)].

٤ ـ التأني: لأن النبي ﷺ قال: «**الأَنَاةُ مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِن الشَّيْطَانِ**»[(٤)] رواه الترمذي والبيهقي، وابن السني، وحسنه الألباني.

٥ ـ التواضع: لأن الكبر من صفات إبليس، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[(٥)]

٦ ـ عدم التبذير والإسراف: لأن الله يقول: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[(٦)].

قال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق، وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا ولو مُدًّا في غير حق كان مبذرًا، ولو أسرف الرجل في أي شيء، لشاركه الشيطان فيه سواء مسكن، أو مطعم، أو مشرب، أو مركوب، حتى الفراش.

فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامْرأتِه، والثَّالثُ للضَّيْفِ، والرَّابعُ للشَّيْطانِ**»[(٧)].

---

(١) الضح: الشمس.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٤) والبيهقي في «الكبرى»، (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧) وأبو داود بمعناه رقم (٤٨٢١) في «الأدب»، باب: الجلوس بين الظل والشمس، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٠٨١).

(٣) الترغيب والترهيب (٥/ ٢٦٠).

(٤) حسن لغيره: الترمذي رقم (٢٠١٣) في «البر»، باب ما جاء في التأني والعجلة في سنده عبد المهيمن ابن عباس بن سهل: قال الحافظ في «التقريب»، ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل وضعفه من قبل حفظه، لكن للحديث بعض الشواهد التي يرتقي بها، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٠٥٥).

(٥) سورة البقرة الآية (٣٤). (٦) سورة الإسراء الآية (٢٧).

(٧) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٠٨٤) في «اللباس والزينة»، باب كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش.

الحصن الخامس والثلاثون: عدم الوقوف موقف شبهة

اعلم أن الشيطان ينتهز الفرصة وينفذ إلى القلوب ويبث فيها وسوسته؛ ولذلك يجب عليك ألا تُعطيه فرصة أو تفتح له بابًا، ومن هنا يجب أن تتجنب مواقف الشبهات ولو كنت مأمونًا بين الناس.

فعن صفية - زوجة النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا، فأتيته أزوره، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني [(١)] - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إنها صَفِيَّةُ بِنْتُ حيي**» قالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: «**إن الشيْطَان يَجْري من الإنسَان مَجْرَى الدم، فَخَشيتُ أن يقْذفَ في قُلوبكُمَا شَيْئًا - أو قال - شرًا**» [(٢)] متفق عليه.

الحصن السادس والثلاثون: الذكر

الذكر يضعف الشيطان، ويقوي الإيمان، ويرضي الرحمن، وهو الركن الركين والحصن الحصين الذي يتحصن به المسلم من الشيطان الرجيم.

عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن اللهَ أوْحَى إلى يَحيَى بن زكَريَا بخَمس كَلمَات أنْ يَعْمَل بهنّ، ويَأمر بَني إسْرَائيل أنْ يَعْمَلوا بهن، فَكَأنّه أبْطأ بهنّ، فَأتَاه عيسى فَقَالَ: إن اللهَ أمَرَكَ بخَمس كَلمَات أنْ تعمَل بهنَ، وتَأمُرَ بَني إسْرَائيل أنْ يَعْمَلوا بهنّ، فَإمّا أنْ تخْبرهُم، وإمّا أنْ أخبرَهُم. فَقَال: يا أخي لا تَفعل، فَإنّي أخَاف إنْ سَبَقْتني بهن أنْ يُخْسَفَ بي أو أعذّبَ، قَال: فَجَمَع بني إسْرائيلَ ببيَت المقْدس حَتى امتَلأ المسجد، وقَعَدوا عَلَى الشرفَات ثم خَطَبَهم فَقَال: إن اللهَ أوحَى إلي بخَمس كَلمَات أنْ أعملَ بهن وآمرَ بَني إسْرائيل أنْ يَعْمَلُوا بهن:**

أولاهُن: لاَ تُشْركوا بالله شَيْئًا فَإن مثل مَن أشْرك كَمثَل رَجُل اشْترَى عَبدًا خَالص مَاله بذَهب أو ورق، ثم أسْكنَهُ دارًا فَقَالَ: اعملْ وارفَع إليّ، فجَعل يَعملُ ويَرفَع إلى

(١) ليقلبني: ليرجعني.

(٢) متفق عليه: البخاري رقم (٢٠٣٥) في «الاعتكاف»، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه من باب المسجد، ومسلم رقم (٢١٧٥) في «السلام»، باب: بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة.

غَير سَيده، فَأيكم يَرضَى أنْ يكُونَ عَبدُه كَذَلكَ؟ فَإن الله خَلَقكم فلا تُشركُوا به شَيئًا.

وإذا قُمتُم إلى الصَلاة فلا تَلتَفتوا فَإن اللهَ يُقبل بَوجْهه إلى وَجه عَبْده مَا لَم يَلتفت.

وآمركُم بالصِّيام، ومَثَل ذَلك كَمَثل رَجَل في عصَابة معَه صُرة مسك، كُلهم يُحب أنْ يَجدَ رِيحَهَا، وإن الصيامَ أطَيبُ عند الله من ريح المسك. وآمركُم بالصدقة ومَثل ذلكَ كَمثل رجل أسرهُ العدوُ، فأوثقوا يدهُ إلَى عنقه، وقربوهُ ليضرْبوا عنقه، فَجعَل يَقول: هَل لكُم أنْ أفدي نَفسي منكُم، وجعَل يَعطي القَليل والكثير حَتى فَدى نَفسَه.

وآمُركم بذكَر الله كثَيرًا، ومثل ذَلك كَمثَل رَجل طَلبه العَدُو سرَاعًا في إثره حَتى أتَى حصنًا فأحْرز نَفسَه منه، وكذلك العَبد لا ينجو من الشيطَان إلا بذكَر الله» (١) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

فالذي يداوم على ذكر الله يحرز نفسه من الشيطان، والذي يتغافل عن ذكر الله يدع نفسه للشياطين تلعب به وتغويه، وتوسوس له قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢) وكما أن الذكر يضعف شياطين الجن فهو كذلك يضعف شياطين الإنس، ولذلك أمرنا الله تبارك وتعالى بالذكر عند الحرب فقال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣).

فضل الذكر

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكُم بخَير أعمَالكُم، وأزكَاهَا عند مَليككُم، وأرفعها في دَرَجَاتكُم وَخَير لكُم من إنفَاق الذهَب والورَقَ وَخَير لكُم من أنَ تلقُوا عَدوكم فتَضربوا أعنَاقهم ويَضربوا أعنَاقكَم؟ قَالوا: بلَى يا رسَول الله قَال: ذكَر اللهَ» (٤) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وصححه

(١) **صحيح**: الترمذي رقم (٢٨٦٣) في «الأمثال»، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال: حسن صحيح، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٥/ ٣٢٢٧) وابن حبان في «صحيحه» (١٢٢٢) موارد.

(٢) سورة الزخرف الآية (٣٦).

(٣) سورة الأنفال الآية (٤٥).

(٤) **صحيح**: الترمذي رقم (٣٣٧٧) في «الدعوات»، باب رقم (٧)، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠)، في «الأدب»، وأحمد في «المستدرك» (١/ ٤٩٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٢٦٢٩).

ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**سَبَق المُفَردون**»، قالوا وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرونَ اللهَ كثيراً والذاكرات**»(١).

وعن عبد الله بن بُسر - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإيمان قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «**لاَ يَزَال لسَانك رَطبًا منَ ذكر الله تعَالى**» (٢) رواه الترمذي، وحسنه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**مَثل الذي يذكر ربهُ والذَي لا يذكر ربُه مَثَل الحَي والمَيت**»(٣) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -(٤) أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قَعَد مَقعَدًا لَم يذكُر الله تعَالى فيه كَانت عَليه من الله ترة** (٥)، **ومن اضطجع مضجعًا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة**» رواه أبو داود، وصححه الألباني (٦)

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**مَنَ قَال سبُحَان الله وَبحمده في يَوم مَائة مرة حطت عَنه خَطَايَاه، وإنَ كَانتَ مثل زَبَد البَحر**»(٧).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**كَلمَتَان خَفيفتَان عَلى اللسان ثَقيلتَان في الميزان حَبيبتَان إلىَ الرحَمن: سبُحَان الله وبحمده سبُحان الله العَظيم**»(٨) متفق عليه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٧٦) في «الذكر والدعاء»، باب: الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي رقم (٣٣٧٥)، في «الدعوات»، باب ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه رقم (٢٧٣٩)، في «الأدب»، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٨ - ١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٧٧٠٠).

(٣) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٤٠٧)، في «الدعوات»، باب: فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم (٧٧٩)، في «صلاة المسافرين»، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٤٨٥٦)، في «الأدب»، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله تعالى، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٧٧).

(٥) **ترة**: نقص وحسرة. (٦) تخريج الكلم الطيب تعليق (٣).

(٧) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٤٠٥)، في «الدعوات»، باب: فضل التسبيح، ومسلم رقم (٢٦٩١)، في «الذكر والدعاء»، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٨) **متفق عليه**: البخاري رقم (٧٥٦٣)، في «التوحيد»، آخر حديث في «صحيح البخاري»، ومسلم رقم (٢٦٩٤)، في «الذكر والدعاء»، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

وعنه أيضًا، أن النبي ﷺ قال: «لأنْ أقول سُبحَان الله، والحمد لله ولاَ إلهَ إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمْسُ»(١) رواه مسلم.

وعن سمرة بن جندبٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أحَب الكَلام إلى الله تَعالى أرْبَعُ لا يَضُـرك بأيهُن بَدأتَ، سُبحَان الله، والحَـمْد لله، ولا إله إلا اللهَ، واللهُ أكبَر»(٢) رواه مسلم.

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله - ﷺ - فقال: «أيَعجزُ أحَدُكم أنْ يكْسبَ كُل يَوم ألفُ حَسَنَة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألفُ حسنة؟ قال: «يُسَبِّح مائَة تسبيحَة، فَتكْتبُ لَه ألفُ حَسنة، أوْ تحَط عَنْه ألفُ خَطيئة»(٣) رواه مسلم.

قال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال لي النبي ﷺ: «ألا أدُلكَ عَلى كَنز من كُنُوز الجنة؟ فقلت: بلى، يا رسول الله، قال: «قل لا حَوْلَ ولاَ قوة إلا بالله»(٤) متفق عليه.

الذكر عند النوم

١ - عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا أراد أن ينام، قال: «باسمك اللهُم أمُوتُ وأَحْيَا» وإذا استيقظ من منامه قال: «الحَمْد لله الذي أحيانا بعد مَا أماتَنا وَإليه النشُورُ»(٥) رواه البخاري ومسلم.

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ - كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيها، فقرأ (قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و (قل

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٩٥)، في «الذكر والدعاء»، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢١٣٧)، في «الأدب»، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٩٨)، في «الذكر والدعاء»، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي رقم (٣٤٦٣)، في «الدعوات».
(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٤٢٠٥)، في «المغازي»، باب غزوة خيبر، ومسلم رقم (٢٧٠٤)، في «الذكر والدعاء»، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.
(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٣٢٤) في «الدعوات»، باب: ما يقول إذا أصبح، ومسلم من حديث البراء رقم (٢٧١١)، في «الذكر والدعاء»، باب: ما يقول عند النوم.

أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[١] رواه البخاري.

٣ - وجاء في حديث أبي هريرة أن الشيطان قال له: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٢] حتى تختمها فإنه لا يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذاكَ شَيْطَانٌ» [٣] رواه البخاري معلقًا مجزومًا به.

٤ - عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «مَنْ قَرأ الآيتين من آخر سُورَة البَقَرة في ليلة كَفَتَاه»[٤] متفق عليه.

٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[٥]: «إذَا قَام أحَدكُم عَن فراشَه، ثمَ رَجَع إليْه فَلينفُضْهُ بصَفَة إزَاره،[٦] ثَلاثَ مَرات، فَإنه لا يَدري مَا خَلَفَه عَليه بَعده، وإذا اضطَجع فَلْيَقل: باسْمكَ ربي وَضَعت جَنبي وبكَ أرْفَعَه، فإنْ أمْسَكتَ نَفْسي فَارحَمها، وإنْ أرسَلتَها فَاحفَظهَا بمَا تحفظ به عبَادَك الصالحين، فَإذا استَيقَظ فَليَقل: الحَمْد لله الذي عافاني في جَسَدي، وَرَد عليّ رُوحي، وأذنَ لي بذكره» رواه البخاري ومسلم.

٦ - عن علي - رضي الله عنه - أن فاطمة - رضي الله عنها - أتت النبي ﷺ - تسأله خادمًا، فلم تجده، ووجدت عائشة فأخبرتها، قال عليٌّ: فجاءنا النبي - ﷺ - وقد أخذنا مضجعنا فقال: «ألاَ أدُلُّكمَا عَلَى مَا هَوَ خَير لكُمَا منَ خَادم، إذا أوَيتُمَا إلى فراشكُمَا فسبحا ثَلاثًا وثَلاثين وَأحْمدا ثَلاثًا وثَلاثينَ وَكَبْرا أرْبَعًا وثلاثيَن، فَإنه خَيرٌ لكُمَا من خادم»[٧].

٧ - عن حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٧٤٨) في «الطب»، باب النفث في الرقية.

(٢) البقرة: (٢٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٢٣١١) في «الوكالة»، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٥٠٠٩) في «فضائل القرآن»، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٧، ٨٠٨) في «صلاة المسافرين»، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٥) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٣٢٠) في «الدعوات»، باب: التعوذ والقراءة بعد النوم، ومسلم رقم (٢٧١٤) في «الذكر والدعاء» باب ما يقول عند النوم.

(٦) بصفة إزاره: بحاشية إزاره.

(٧) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٣١٨) في «الدعوات»، باب: التكبير والتسبيح عند المنام، ومسلم رقم (٢٧٢٧) في «الذكر والدعاء»، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم.

وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: «**اللهم قني عَذَابك يَوم تَبعْثَ عبَادكَ**» ثَلاثَ مرات [١] رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

٨- عن أنس- رضي الله عنه- [٢] أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه، قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا**[٣]، **فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.

٩- عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهُم أنتَ خَلقتَ نفْسي، وأنت تَتَوفاهَا، لكَ مَماتها ومحياها، إن أحْيَيْتها فَاحْفَظهَا، وإنْ أمتها فاغفر لهَا، اللهُم إني أسَألك العَافيَة**»[٤] قال ابن عمر: سمعته من رسول الله ﷺ رواه مسلم.

١٠- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان يقول إذا أوىٰ إلىٰ فراشه: «**اللَّهُم رب السَّمَوات، ورَب الأرض، ورَب العرش، ربنَا ورَب كَل شيء، فَالقُ الحب والنوى، ومُنْزل التوراَة والإنجيل والفرقَان، أعَوذ بكَ مَن شَر كَل شَيء أنتَ آخذٌ بناصيَته، اللهُم أنت الأولَ فليس قَبلك شَيءٌ، وأنتَ الآخَر فلَيس بعَدك شَيء، وأنَت الظَاهر فَلَيْسَ فَوقك شيءٌ، وأنتَ البَاطن فليَس دُونَك شَيء، اقْض عَنا الديَن، وأغننا من الفَقر**»[٥] رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

١١- قال البراء بن عازب- رضي الله عنه-: قال لي رسول الله ﷺ «**إذَا أتَيت مُضجَعك، فتوضأ وضوءك للصَلاة ثُم اضطَجع عَلى شقَك الأيمن، وقل: اللهمَ أسْلمتُ**

---

(١) حسن: أبو داود رقم (٤٠٤٥) في «الدعوات»، باب ما يقال عند النوم، والترمذي رقم (٣٣٩٨) في «الدعوات»، وابن ماجه رقم (٣٨٧٧) في «الدعاء»، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٥٠ موارد)، وحسنه الحافظ في «الأذكار»، وصححه الألباني في «الكلم الطيب» (٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٧١٥) في «الذكر والدعاء» باب: ما يقول عند النوم، وأبو داود رقم (٥٠٥٣) في «الأدب»، والترمذي (٣٣٩٦) في «الدعوات»، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٣، ١٦٧، ٢٥٣).

(٣) آوانا: أي جعل لنا مسكنًا نأوي إليه.

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧١٢) في «الذكر والدعاء»، باب ما يقول عند النوم.

(٥) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧١٣) في «الذكر والدعاء»، باب ما يقول عند النوم، وأبو داود (٥٠٥١) في «الأدب»، والترمذي رقم (٣٤٠٠) في «الدعوات»، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٨١، ٤٠٤).

نفسي إليْكَ، ووَجَهْت وَجْهي إلَيْكَ، وَفوَضْتُ أمـري إليْكَ، وألجأتُ ظهري إليْكَ، رَغْبَةً، وَرَهْبَةً إلَيْكَ لا مَلجَأ ولا مُنجى منكَ إلا إليْكَ، آمَنْتُ بكتابكَ الذي أنْزلْتَ، وبنَبيكَ الذي أرْسَلْتَ فإنْ مت منْ ليلتكَ متَ عَلَى الفطرَة، واجعلهُن آخرَ مَا تَقُولُ»[١] متفق عليه.

الذكر عند الاستيقاظ من النوم ليلا:

١ ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ تعَار[٢] من الليْل فقَالَ: لاَ إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لاَ شريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُل شَيْء قَدَير، الحَمْدُ لله، وسُبْحَانَ الله، وَلا إلهَ إلا اللهَ، والله أكبَر، وَلا حَوْل ولا قوةَ إلا بالله العَلي العَظيم، ثُمْ قَالَ: اللـهُم اغفرْ لي، أوْ دَعا اسْتُجيبَ لهُ، فَإنْ تَوَضـأ وَصَلى قبلَتْ صَلاتُه»[٣] رواه البخاري.

الذكر عند الفزع:

١ ـ عنْ عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يعلمهم من الفزع كلمـات: «أعُوذُ بكَلمات الله التَامّة، منْ غَضبه وشَر عبَاده، ومنْ هَمَزات الشَياطين وأنْ يَحضُرُون»[٤] رواه الترمذي وحسنه.

الذكر عند الاستيقاظ من النوم:

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إذَا استَيقَظَ أحَدُكُم فَليَقُل الحَمْدُ لـله الذي رَد عَلى رُوحي وعَافَاني في جَسَـدي، وأذنَ لي بذكْره» رواه الحـاكم وصححه ووافقه الذهبي، والألباني[٥].

الذكر عند الخروج من البيت:

١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ ـ يعني إذا خرج من بيته ـ بسْم الله تَوَكلتُ عَلَى الله، لا حَوْلَ وَلا قُوةَ إلاَ بالله، يُقالُ لهُ، كُفيتَ وَوُقيْتَ

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٢٤٧) في «الغسل»، باب: فضل من بات على الوضوء، ومسلم (٢٧١٠) في «الذكر والدعاء»، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.
(٢) تعار: استيقظ.
(٣) صحيح: رواه البخاري رقم (١١٥٤) في «أبواب التهجد»، باب: فضل من تعار من الليل فصلى.
(٤) حسن: رواه الترمذي رقم (٣٥٢٨) في «الدعوات»، وهو في «صحيح الجامع» (٧٠١).
(٥) تخريج الكلم الطيب (٣٨).

وَهديْتَ، وَتَنَحى عَنه الشيطان فيقول لشَيطان آخَر: كيف لكَ برجل قَد هُدي وكُفي ووُقي؟»[١] رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني [٢].

٢ ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضَل أو أزل أو أزُل أو أظلم أو أظلم أو أجهلَ أو يُجهل عَلَي»[٣] رواه الأربعة وقال الترمذي: حسن صحيح.

الذكر عند دخول البيت:

١ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول: «إذَا دَخَل الرّجلُ بيتَهَ، فَذكَر الله تَعَالى عنْد دخوله، وَعندَ طَعَامه، قَال الشّيطَان: لا مَبيتَ لكُم وَلا عَشَاء، وإذا دَخَل فَلَم يَذكُر الله تَعَالى عنَد دخوله قَال الشيْطَان: أدْرَكتم المبيتَ، وإذَا لمْ يذكُر الله ـ تعالى ـ عندَ طَعَامه قال: أدْرَكتُم المبيتُ والعَشَاء»[٤] رواه مسلم.

الذكر عند دخول المسجد والخروج منه:

١ ـ عن ـ أنس رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «بسْم الله اللّهُمّ صَل عَلىَ مُحَمّد» وإذا خرج قال: «بسْم الله، اللهم صَل عَلى مُحَمّد» رواه الترمذي وحسنه، وابن السني، وحسنه الألباني بشواهده[٥].

٢ ـ عن أبي حميد أو أبي أسيد ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «إذَا دَخَل أحَدكُم المَسْجد فَليَقل: اللهُم افتَح لي أبْوابَ رَحمَتك، وإذَا خَرجَ فَليَقل: اللهُم إني أسْألك من فَضْلكَ»[٦] رواه مسلم، وأبو داود.

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٥٠٩٥) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، والترمذي رقم (٣٤٢٦) في «الدعوات»، وهو في صحيح الجامع (٤٩٩).

(٢) تخريج الكلم الطيب (٤١).

(٣) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٩٤) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، والترمذي (٣٤٢٧) في «الدعوات»، والنسائي (٨/ ٦٦١) في «الاستعاذة»، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢١).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠١٨) في «الأشربة»، باب: آداب الطعام والشراب.

(٥) تخريج الكلم الطيب (٤٥).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٧١٣) في «صلاة المسافرين» باب: ما يقول إذا دخل المسجد، وأبو داود رقم (٤٦٥) في «الصلاة»، والنسائي (٢/ ٥٣) في «المساجد».

٣ - عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذُ بالله العَظيم وبوجهه الكَريم، وَبسُلطَانه القَديم من الشيطان الرجيم» قال: «فَإِذَا قَالَ ذَلكَ قال الشيْطَانُ: حُفظَ مني سَائرَ اليوم»(١) رواه أبو داود، وصححه الألباني(٢).

الذكر عند استفتاح الصلاة.

١ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: «أَقُولُ: اللهُم بَاعدْ بَيْني وَبَينَ خَطَايَاي كَمَا بَاعَدت بينَ المَشْرق والمغْرب، اللهُم نقني من خَطَايَاي كَمَا يُنقى الثَوبُ الأبْيَضُ من الدنس، اللهُم اغسلْني من خطاياي بالثلج والماء البرد»(٣) متفق عليه.

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك(٤) ولا إله غيرك»(٥) رواه أهل السنن وصححه الألباني(٦).

الذكر عند الركوع والسجود:

١ - عن حذيفة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا ركع «سُبْحَانَ ربي العَظَيم» وإذا سجد قال: «سُبْحَانَ رَبي الأعْلَى» ثلاث مرات»(٧).

---

(١) حسن: رواه أبو داود رقم: (٤٦٦) في «الصلاة»، باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، وقال النووي في «الأذكار»: حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد، وحسنه أيضاً الحافظ في «تخريج الأذكار».

(٢) تخريج الكلم الطيب (٤٧)، وصحيح أبي داود (٤٦٦).

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٧٤٤) في «الأذان»، باب: ما يقول بعد التكبير، ومسلم رقم (٥٩٨) في «المساجد» باب: ما يقال بعد تكبيرة الإحرام والقراءة.

(٤) جدك: عظمتك.

(٥) صحيح: أبو داود رقم (٧٧٦) في «الصلاة»، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، والترمذي رقم (٢٤٢) في «الصلاة»، وابن ماجه (٨٠٦) في إقامة الصلاة، وصححه الألباني في «الإرواء» رقم (٣٤٠) رقم (٥٣٧) في صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة.

(٦) تخريج الكلم الطيب: (٥٦).

(٧) صحيح: رواه مسلم رقم (٨٦١) في «الصلاة»، باب: ما يقول الرجل في ركوعه، وسجوده والترمذي رقم (٢٦٢) في «الصلاة»، وابن ماجه (٨٩٧) في «إقامة الصلاة» والنسائي (٢/ ٥١٨) في «الافتتاح»، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٤٣).

٢ ـ وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع يقول في ركوعه: «اللهُم لَكَ ركَعْتُ، وبكَ آمَنْتُ، ولَكَ أسلمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعي وبَصَري ومُخي، وعَظمي وعَصَبي» وإذا رفع رأسه من الركوع يقول: «سَمِعَ الله لمن حَمده، ربنا ولَكَ الحَمْدُ ملْءَ السموات، ومِلءَ الأرْض، ومِلْءَ ما بينهُمَا، ومِلء ما شئْتَ منْ شيء بعْد» وإذا سجد يقول في سجوده: «اللهُم لكَ سَجَدتُ، وبكَ آمَنْتُ، ولكَ أسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهي للَّذي خلقهُ وصوره، وشق سَمْعَهُ وبَصرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالقين»(١) رواه مسلم.

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبُّوحٌ قُدوسٌ رَب المَلائكة والروح»(٢) رواه مسلم.

٤ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهُم رَبنا لَكَ الحَمْد ملْءُ السَمَوَات، ومِلْء الأرْض، ومِلْء ما بَيْنَهُما ومِلْء مَا شئْتَ منْ شيء بَعْد، أهْلُ الثنَاء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينْفَعُ ذَا الجَد منْكَ الجَد»(٣) رواه مسلم.

٥ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ منْ رَبه وَهُو ساجد، فأكْثروا الدعَاءَ»(٤) رواه مسلم.

٦ ـ وعنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول في سجوده: «اللهم اغْفر لي ذَنبي كُلَّهُ، دقهُ وَجلَه، وأولَهُ وآخرَهُ، وعلانيَته وسره»(٥) رواه مسلم.

٧ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:(٦) كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول بين السجدتين «اللهُــم اغْفر لي وارْحَمْني، واهْدني واجْبُرْني، وعَافني، وارزُقني» رواه أبو داود، والبيهقي، وحسنه النووي(٧)، وصححه الألباني(٨).

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٧٧١) في «صلاة المسافرين»، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٨٧) في «الصلاة»، باب: ما يقال في الركوع والسجود.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٧٧) في «الصلاة»، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.
(٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٨٤٢) في «الصلاة»، باب: ما يقال في الركوع والسجود.
(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٨٣) في «الصلاة»، باب: ما يقال في الركوع والسجود.
(٦) **حسن**: رواه أبو داود، رقم (٨٥٠) في «الصلاة»، والحاكم في «المستدرك»، (١/ ٢٦٢، ٢٧١) في «الصلاة» وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٨٩٨) في «الصلاة»، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود».
(٧) الأذكار (٦٠). (٨) تخريج الكلم الطيب (٦٠).

الدعاء في الصلاة بعد التشهد وقبل السلام:

١ ـ عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهُم اغفرْ لي مَا قدمتُ، ومَا أخرتُ، ومَا أسْرَرْتُ، ومَا أعْلَنْتُ ومَا أسْرفْتُ، ومَا أنتَ أعْلَمُ به مني، أنت المُقَدمُ، وأنْتَ المُؤَخرُ، لا إلهَ إلا أنْتَ»(١) رواه مسلم.

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: « إذَا فَرَغَ أحَدُكُمَ منْه التشهُد الآخر، فَلْيَتَعوّذْ بالله: منْ أربَع: منْ عَذَاب جهَنم، ومَنْ عَذاب القَبْر، ومَنْ فتْنَة المَحيْا والمَمَات، ومنْ شَر المسيح الدجَال»(٢).

٣ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال لرسول الله ـ ﷺ ـ علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: « قُل اللهُم أني ظَلَمتُ نفْسِي ظَلمًا كَثيرًا، ولا يَغْفرُ الذنُوب إلا أنتَ، فاغْفرْ لي مَغْفرة من عنْدك وارْحَمني إنكَ أنتَ الغفُور الرحيم»(٣) متفق عليه.

الذكر بعد السلام:

١ ـ عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا وقال: «اللهُم أنْتَ السلامُ، ومنْكَ السلامُ، تَبَاركْتَ يَا ذَا الجَلاَلَ والإكْرَام»(٤) رواه مسلم.

٢ ـ وعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا فرغ من صلاته قال: «لاَ إلَهَ إلا اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيء قَدير، اللهُمَّ لاَ مَانعَ لمَا أعْطَيْتَ، ولاَ مُعْطي لما مَنَعْتَ وَ لاَ يَنْفعُ ذَا الجَد منْكَ الجَدّ»(٥) متفق عليه.

٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَبحَ فـي دُبُر كُل صَلاَة

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٧٧١) في «صلاة المسافرين»، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٥٨٨) في «الصلاة»، باب: ما يقول بعد التشهد، والنسائي (٣/ ٥٨) في «السهو».

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٨٣٤) في «الأذان»، باب: الدعاء قبل «السلام»، ومسلم رقم (٢٧٠٥) في «الذكر والدعاء» باب: استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٥٩٢) في «المساجد»، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٥) متفق عليه: البخاري رقم (٨٤٤) في «الأذان»، باب: الذكر بعد الصلاة، ومسلم رقم (٥٩٣) في «المساجد»، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة.

ثلاثًا وثلاثينَ وَحَمدَ اللهَ ثلاثًا وثلاثين وكَبرَ ثلاثًا وثلاثينَ، وقَال تَمَامَ المائة: لا إلهَ إلاّ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْك ولَهُ الحَمْد وَهُوَ عَلَى كُل شَيء قَدير، غُفرَتْ خَطَايَاه وإنْ كَانَتْ مثْلَ زَبَد البَحْر»(١) رواه مسلم.

الذكر عن الكرب والهم:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول عند الكرب «لاَ إلهَ إلاّ اللهُ العظيْم الحَليم، لاَ إلَه إلا اللهُ رب العَرْش العَظيم، لاَ إلهَ إلاّ اللهُ رب السموات ورب الأرَض ورب العَرْش الكَريم» (٢) متفق عليه.

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه(٣) أن النبي ﷺ كان إذا حزبه(٤) أمر قال: «يا حَي يَا قَيُومُ بِرَحْمَتكَ أَسْتَغيثُ» رواه الترمذي، وهو حسن بشواهده(٥).

٣ ـ وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «دَعْوَةُ المكْرَوب: اللهُمَّ رَحمَتُك أرْجُو، فَلا تكلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْن، وَأَصْلح لي شَأني كُلهُ، لاَ إله إلا أنْتَ» رواه أبو داود وابن حبان وحسنه الألباني(٦).

٤ ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال: رسول الله ﷺ «دَعَوَةُ ذي النون إذْ دعَا بهَا وَهُوَ في بَطْن الحُوت: لاَ إلَه إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إني كُنْتُ منَ الظَالمين، لَمْ يَدْعُ بهَا رَجُلٌ مُسْلم في شيء قَطْ إلا اسْتَجَابَ الله لَهَ»(٧) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٥٩٧) في «المساجد»، باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٢) **متفق عليه**: البخاري رقم (٦٣٤٦) في «الدعوات»، باب: الدعاء عند الكرب، ومسلم رقم (٢٧٣٠) في «الذكر والدعاء»، باب: الدعاء عند الكرب.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي رقم (٣٥٢٤) في «الدعوات»، باب: ما جاء ما يقول عند الكرب وفي سنده يزيد الرقاشي: ضعيف، وله شاهد عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٩) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن ومن بعده ليس بحجة، والحديث حسنه الألباني في «تخريج الكلم».

(٤) **حزبه**: أهمه وأحزنه. (٥) أفاده الألباني: تخريج الكلم الطيب (٧٦).

(٦) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٠١)، وأبو داود رقم (٥٠٩٠) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا أصبح، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢)، والحديث حسن لأجل عبد الجليل بن عطية القيسي، وجعفر بن ميمون التميمي، قال الحافظ في الأول: صدوق يهم، وفي الثاني: صدوق يخطئ، وحسنه الألباني في «صحيح الكلم» (٤٩).

(٧) **صحيح**: رواه الترمذي رقم (٣٥٠٥)، في «الدعوات»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ١٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٥)، وصححه وأقره الذهبي، والألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٤٤، ١٨٢٦).

الذكر عند لقاء العدو أو ذي السلطان:

١ - عن أبي موسىٰ الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - كان إذا خاف قومًا قال: «اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورهم ونَعُوذُ بكَ منْ شُرُورهم» رواه أبو داود(١)، والنسائي وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

٢ - عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كَان يقول عند لقاء العدو «اللهُم أنْتَ عَضُدي، وأنْتَ نَصيري، بك أجُولُ، وبَكَ أصُولُ، وبَكَ أقَاتلُ» رواه أبو داود(٢) بسند صحيح، قاله الألباني(٣).

٣ - قال حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس ﴿ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري(٤).

الذكر عند المصيبة:

قال تعالىٰ: ﴿الَّذينَ إذَا أَصَابَتْهُم مُّصيبَةٌ قَالُوا إنَّا للَّه وَإنَّا إلَيْه رَاجعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

١ - قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا منْ عَبْد تُصيبُهُ مُصيبَةٌ فَيَقُولُ: إنا لله وإنا إليه رَاجعُون، اللهُم أجُرْني في مُصيبَتي وأخْلُفْ لي خَيْرًا منْهَا إلا أجَرَهُ اللهُ في مُصيبَته، وأخلَفَ لَهُ خَيْرًا منها» قالت: فلما توفي أبو سلمة: قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ» رواه مسلم(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (١٥٣٧) في «الصلاة» باب: ما يقول الرجل إذا خاف قومًا، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٤، ٤١٥) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٤٢) وصححه وأقره الذهبي، والألباني في صحيح أبي داود.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود رقم (٢٦٣٢) في «الجهاد»، باب: ما يدعى عند «اللقاء»، والترمذي رقم (٣٥٨٤) في «الدعوات»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٠٤)، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٤) وصححه الألباني.

(٣) تخريج الكلم الطيب (٨٣).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٤٥٦٣) في «التفسير»، باب: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٩١٨) في «الجنائز»، باب ما يقال عند المصيبة.

الذكر عند الدين:

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن مكاتبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل دينًا أداه الله عنك؟ قال: **«اللَّهُم اكْفني بحَلالكَ عَنْ حَرَامكَ، وأَغْنني بفَضْلك عَمنْ سواكَ»**(١) رواه الترمذي وحسنه، ووافقه الألباني.

الذكر عند زيارة المريض:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: **« مَنْ عَادَ مَريضًا لَمْ يَحْضُرُ أجَلُهُ، فَقَالَ عندهُ سَبْعَ مَرات، أسْأَلُ الله العَظيم رَب العَرْش العَظيم أنْ يَشْفيكَ، إلا عَافَاه الله»**(٢) رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

الذكر عند دخول المقابر:

عن بريدة - رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: **«السلامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الديَار من المؤمنين، وإنا إنْ شاءَ اللهُ بكُمْ لاحقُون، نَسْألُ الله لنَا وَلَكُمْ العَافيَةَ»**(٣) رواه مسلم.

الذكر عند هبوب الرياح:

عن عائشة رضي الله عنها - قالت كان النبي ﷺ - إذا عصفت الرياح قال: **«اللهم إني أسألُكَ خَيرَهَا، وَخَيرَ مَا فيهَا، وَخَيْرَ مَا أرسَلْتَها به، وأعوذُ بكَ منْ شرهَا وَشَر مَا فيهَا وَشر مَا أرسلَتْ به»**(٤) رواه مسلم.

---

(١) **حسن**: الترمذي رقم (٣٥٦٣) في «الدعوات»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ١٥٣) ضعفه الشيخ أحمد شاكر في التعليق عليه، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٨) وصححه وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٨٢٠).

(٢) **صحيح**: أبو داود رقم (٣١٠٦) في «الجنائز»، باب: الدعاء للمريض عند العيادة، والترمذي رقم (٢٠٨٣) في «الطب»، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٣٩) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وهو في صحيح الجامع رقم (٦٣٨٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٩٧٤) في «الجنائز»، باب: ما يقال عند دخول القبور.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٨٩٩) في صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح.

الذكر عند سماع الرعد.

كان عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «**سبحان الله الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته**» [(١)] . رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفًا. [(٢)]

الذكر عند رؤية الهلال.

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «**اللهُ أكبَرُ اللهمَّ أهلَّه علَينا بالأمْنِ والإيمَان، والسَّلامَة والإسْلاَم، والتَوفيق لما تُحبُّ وترضَى ربّنا وربُّكَ الله**» [(٣)] .رواه الدارمي، والترمذي وحسنه، وصححه الألباني [(٤)].

الذكر عند الخروج للسفر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «**مَنْ أرَادَ أن يُسَافرُ فليَقُل لمنْ يخلفَ: أسْتَودعكُم اللهَ الذي لا تَضيعُ ودَائعَهُ**»[(٥)] رواه ابن ماجه، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» وابن السني، وأحمد، وحسنه الحافظ وكذا الألباني [(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٢٣)، وصحح المنذري إسناده في «الأذكار» وصححه الألباني في «صحيح الأدب».

(٢) تخريج الكلم الطيب (١٠٩).

(٣) **حسن لغيره**: الدارمي (١٦٨٧) في «الصوم»، باب: ما يقال عند رؤية الهلال، وفي سنده عثمان بن إبراهيم الحاطبي، والترمذي رقم (٣٤٥١) في «الدعوات»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ١٦٢)، و في سنده سليمان بن سفيان المدني ضعفه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨٥) وحسنه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (١٨١٦) وقال في «تخريج السنة»، وقم (٣٧٦) حديث حسن وإسناده ضعيف.

(٤) تخريج الكلم الطيب (٦١٤).

(٥) **حسن**: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٨)، وابن ماجه رقم (٢٨٢٥) في «الجهاد»، باب: تشييع الغزاة ووداعهم، وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى صدوق سيء الحفظ جدًا، وابن السني في(عمل اليوم والليلة) (٥٠٥) ورواه أحمد في «المسند»، (٢/ ٤٠٣) وحسنه الحافظ ابن حجر، والألباني في «الصحيحة» (٦/ ١٠٣).

(٦) تخريج الكلم الطيب (١٩٩).

الذكر عند ركوب الدابة:

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - كان إذا استوىٰ علىٰ بعيره خارجًا إلىٰ السفر كبر ثلاثًا ثم قال: «سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لنَا هَذا وَمَا كنَا لَهُ مقرنين وإنَّا إلى ربنَا لمُنقَلبُون، اللهُمَّ إنَّا نسْأَلُكَ في سَفَرنَا هَذا البرَ والتقوى ومِنَ العمل مَا تَرضَى اللهمَّ هون عَلَينا سفَرنَا هَذا، واطو عنَّا بُعدَهُ، اللهمَّ أنتَ الصَاحبُ في السَّفَر، والخَليفَةُ في الأهْل، اللهمَّ إني أعُوذُ بكَ منْ وَعَثَاء السَّفَر، وكَآبَة المَنْظَر، وَسُوء المُنْقَلَب في المَال والأهْل» وإذا رجع قالهن وزاد فيهن، «آيبُونَ، تَائبُونَ، عَابدُونَ، لربنا حَامدُونَ»[1] رواه مسلم.

الذكر عند نزول المنزل.

عن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ نَزلَ مَنْزلاً ثُمَ قالَ: أعُوذُ بكلمَات الله التامات من شَرِّ مَا خَلَق لَمْ يَضرُهُ شيء حَتَّى يرتَحل من مَنزله ذلكَ»[2] رواه مسلم.

الذكر عند الطعام والشراب:

عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا غُلامُ سَم اللهَ، وكُلْ بيَمينكَ، وكُلْ مما يَليك»[3] متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ «إذا أكلَ أحَدُكُم فَلْيذكُر اسمَ الله تعَالَى في أولَه، فَإنْ نَسى أنْ يذكرَ اللهَ - تعَالَى - في أولَه فَلْيَقُل: بسْم الله أولَهُ وآخرَهُ»[4] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليَرضَى عن العَبْد أنْ يأكُلَ الأكلة فَيحمدَهَ عَليهَا، ويَشربَ الشربَةَ فيَحْمدَهُ عَلَيْهَا»[5] رواه مسلم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (١٣٤٢) في «الحج»، باب: ما يقول إذا ركب إلىٰ سفر وغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٠٨) في «الذكر والدعاء»، باب: في التعوذ من سوء القضاء.

(٣) متفق عليه: البخاري رقم (٥٣٧٦) في «الأطعمة»، باب: التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين ومسلم رقم (٢٠٢٢) في «الأشربة»، باب: آداب الطعام والشراب.

(٤) صحيح: أبو داود رقم (٣٧٦٧) في «الأطعمة»، باب التسمية علىٰ الطعام، والترمذي في الأطعمة والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٠٧)، والدارمي (٢/ ١٢٩) في «الأطعمة»، وهو في «صحيح الجامع» (٣٨٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٣٤) في «الذكر والدعاء»، باب: استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل.

وعن معاذ بن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**مَنْ أكلَ طعَامًا فَقَالَ الحمدُ لله الذي أطعَمَني هَذا وَرَزقنيه مِنْ غَيْر حَول مني وَلا قُوَّة، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»[١] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وأبو داود، وابن ماجه، وحسنه الحافظ.

وعن رجل خدم النبي - ﷺ - كان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعام، يقول: «**بسم الله**» وإذا فرغ من طعامه قال: «**اللهمَّ أطعَمْتَ، وأسقَيْتَ، وأغنَيْتَ، وأقنيتَ وهَدَيتَ، وأحييتَ، فَلَكَ الحمدُ عَلى مَا أعطَيْتَ**»[٢] رواه النسائي، وصححه الألباني.

الذكر عند العطاس:

عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إذَا عَطَسَ أحَدُكُم فَلْيَقُل الحَمْدُ لله، وليَقُل لهُ أخُوهُ أو صَاحبُهُ يَرْحَمُكَ الله، فَإذا قَالَ لَهُ يَرحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُل: يَهْديكُمُ اللهُ ويُصلحُ بَالكُم**»[٣] رواه البخاري.

الذكر عند صياح الديك والنهيق والنباح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سَمعتمُ نهَاقَ الحَمير فتَعوذُوا بالله من الشَّيطَان فَإنهَا رأتْ شَيْطَانًا، وإذَا سَمعتُم صيَاحَ الديَكَة فَسَلُوا الله مِن فَضلِه فَإنهَا رَأتْ ملكًا**»[٤] متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذَا سمعتُم نُبَاحَ الكلاَب، وَنَهيق الحَمَيرِ باللَّيَل فَتَعوذُوا بالله منهُنَّ، فَإنَّهُنّ يَرين مَا لا تَرَون**»[٥] رواه أحمد، وأبو داود،

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود رقم (٤٠٢٣) في «اللباس»، والترمذي رقم (٣٤٥٨) في «الدعوات»، وابن ماجه رقم (٣٢٨٥) في «الأطعمة» ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٧) وحسنه الألباني في «الإرواء» رقم (١٩٨٩) لأجل أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون ضعفه الذهبي ويحيى بن معين، وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال الحافظ في «التقريب» (٤٠٥٩): صدوق زاهد.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٢, ٥/ ٣٧٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧١).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٢٢٤) في «الأدب»، باب: إذا عطس كيف يُشمت.

(٤) **متفق عليه**: البخاري رقم (٣٣٠٣) في «بدء الخلق»، باب: خير مال السلم، ومسلم رقم (٢٧٢٩) في «الذكر والدعاء»، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود: رقم (٥١٠٣) في «الأدب»، باب: ما جاء في الديك والبهائم، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٣٤)، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٠).

والبخاري في «الأدب المفرد» وقال الألباني: صحيح بطرقه [(١)].

الذكر عند القيام من المجلس:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن جَلَسَ في مَجلس فكَثُر فيه لغَطه فقَال قَبل أن يقَوم من مجلسه ذَلك: سُبحَانكَ اللهُمَّ وبحَمدك: أشهد أن لاَ إله إلا أنتَ، أستَغفرك وأتوب إليكَ، إلاَ كفَّر الله لَه مَا كَان في مَجلسه ذَلكَ**»[(٢)].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قلما كان رسول الله - ﷺ - يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللَّهُم اقْسم لنا من خَشيَتكَ مَا تحول به بينَنا وبَين مَعَاصيك، ومَن طاعَتك مَا تبلغنَا به جَنتك، ومَن اليَقين مَا تهَون به علينا مصَائب الدنيَا، اللهم مَتعنَا بأسماعنا، وأبصَارنَا، وقوتنا مَا أحييتَنَا، واجعلَه الوارث منَا، واجعلَ ثأرنَا على من ظلمنَا، وانصرنا عَلى من عَادانا، ولا تَجعَل الدنيا أكبَر همنا ولا مَبلَغ علمنَا، ولا تُسلط علَينَا مَن لا يَرحَمُنَا**» [(٣)] رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

الذكر عند رؤية أهل البلاء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**مَن رأى مُبتَلى فقَال: الحَمْدُ لله الذي عَافَاني مما ابتَلاه به، وفضلني عَلى كثير ممَن خَلق تفضيلاً، لَم يُصبه ذلك البَلاء**»[(٤)] رواه الترمذي وحسنه.

---

(١) تخريج الكلم الطيب تعليق (١٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي رقم (٣٤٣٣) في «الدعوات»، باب: ما يقول إذا قام من المجلس، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٩٤، ٤٦٥) وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٣٦٦) موارد، وهو في صحيح الجامع رقم (٦١٩٢).

(٣) حسن: رواه الترمذي رقم (٣٥٠٢) في «الدعوات»، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨٥) وصححه وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٦٨).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٣٤٣٢) في «الدعوات»، باب: ما يقول إذا رأى مُبتلى، وفي سنده عبد الله ابن عمرو بن حفص بن عاصم: ضعيف، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ومن طريق آخر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣) وآخر عند الطبراني في «الأوسط» فهو حسن بمجموع هذه الطرق إن لم يكن صحيح، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٨).

الذكر عند دخول السوق:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إله إلاَ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ له الملك ولهُ الحَمدُ، يُحْيِي ويُميتُ، وَهْوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِه الخَيرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيءٍ قَدير، كَتَبَ اللهُ لهُ ألفَ ألفَ حسنة، وَمَحَا عَنْهُ ألفَ ألفَ سَيئَةٍ، وَرَفعَ لهُ ألفَ ألفَ درجة»[1] رواه الترمذي، وحسنه الألباني[2] .

الذكر عند تعثر الدابة:

عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي - ﷺ - فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان، فقال: «لا تَقُل تعسَ الشَّيطَان، فَإنكَ إذَا قُلتَ ذَلكَ تَعَاظَم حَتى يكُونُ مثلَ البيت، وَيقُولُ: بقُوتي، ولَكن قُلْ: باسم الله، فَإنَكَ إذَا قُلتَ ذَلكَ تَصَاغَر حَتَى يَكون مثلَ الذُّبَاب»[3] رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني[4] .

الذكر عند رؤية باكورة الثمر:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاءوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ بَارك في ثَمَرنَا، وبَارك لنَا في مَدينَتنَا، وبَارك لنَا في صَاعنا، وبَارك في مدِّنَا» ثم يعطيه أصغرَ مَنْ يَحْضرُ من الولدَان[5] .

رواه مسلم، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

---

(١) حسن: رواه الترمذي رقم (٣٤٢٨) في «الدعوات»، باب: ما يقول إذا دخل السوق، وابن ماجه (٢٢٣٥) في «التجارات» والدارمي رقم (٢٦٩٢) في «الاستئذان» وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٣١).

(٢) تخريج «الكلم الطيب» (١٧٢).

(٣) صحيح: أبو داود رقم (٤٩٨٢) في «الأدب»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٥٥) ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩ , ٧١) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٢) وصححه، وأقره الذهبي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٤٠١).

(٤) تخريج الكلم الطيب (١٨٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم رقم (١٣٧٣) في «الحج»، باب: فضل المدينة، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٨٨٥) في «الجامع» باب: الدعاء للمدينة، والترمذي رقم (٣٤٥٤) في «الدعوات»، وابن ماجه رقم (٣١٠٣)، في «الدعوات».

الذكر عند رؤية الشيء يعجبه:

عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا رأى أحدُكُم مَا يُعجبُه في نَفَسه، فَليبَرك عَلَيه، فإنَ العيَن حَقٌ»(١) رواه أحمد، وغيره، وصححه الألباني(٢).

الذكر عند الأمر الصعب:

عن أنس رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم لاَ سَهَل إلاَ مَا جَعَلته سَهلاً، وأنَت تجعَل الحَزن إذَا شئت سَهلاً»(٣) رواه ابن السني.

أذكار الصباح والمساء(٤)

١ - عن شداد بن أوس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «سيّد الاستغفَار: اللَّهم أنتَ ربِّي لاَ إلهَ إلاَ أنتَ، خَلَقتني وأنَا عَبدك، وأنَا على عَهدك ووعَدك مَا استَطعت، أعَوذ بكَ مَن شَرِ مَا صَنَعت، أبَوء لك بنعَمَتك علَيّ وأبُوء(٥) بذنبي فاغفر لي فإنه لا يَغفر الذنُوب إلا أنتَ إذَا قال ذَلكَ حَين يَمسي فَمَات من ليلته دخَل الجَنة، وإذا قال ذلكَ حَين يُصبحَ فمَات من يَومَه دَخَل الجَنة»(٦) رواه البخاري.

٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قالَ حَين يُصبَح وَحَين يُمسَي: سُبحانَ اللهَ وبحَمَده مَائَة مَرة، لَم يأت أحَد يَوم القيَامة بأفضلَ ممَا جَاء إلا أحَد قَال مثل مَا قَال أو زَاد عَلَيه»(٧) رواه مسلم.

(١) صحيح: رواه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) رقم (٢٠٥) وابن ماجه رقم (٣٥٠٩) في «الطب»، ورواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٥) وصححه وأقره الذهبي والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٦).

(٢) تخريج الكلم الطيب (١٨٥).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٩٧٤) «إحسان»، وابن السني في (عمل اليوم والليلة) رقم (٥٣١) وأورده السخاوي في «المقاصد الحسنه»، والضياء في «المختارة»، بإسناد جيد.

(٤) وقت هذه الأذكار بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر.

(٥) أبوء: أقر وأعترف.

(٦) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٣٠٦) في «الدعوات»، باب: أفضل الاستغفار.

(٧) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٦٩٢) في «الذكر والدعاء»، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

٣ ـ عن عبد الله بن خبيب ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا في ليلة مطيرة، وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليُصلي لنا فأدركناه فقال: «قُل» فلم أقل شيئًا ثم قال: قل، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فقلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَـد، والمعَوذَتين حين تُمسي وَحِينَ تُصبحُ ثَلاَثَ مَرَّات تُكْفيكَ منْ كُل شَيء**»[1] رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وقال: حسن صحيح، ووافقه الألباني.

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذَا أصبحَ أحَدُكُم فَلْيَقُل اللَّهُمَّ بكَ أصبحنا وَبكَ نَحيَا، وبكَ نَمُوتُ، وإلَيكَ النُشُور**» إذا أمسى فليقل: «**اللَّهُمَّ بك أمسَينا وبكَ أصبَحنَا، وَبكَ نَحيَا وبكَ نَمُوتُ وَإليكَ النُشُور**»[2] رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن ووافقه الألباني.

٥ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسَينَا وأمسَى المُلْكُ لله، والحَمدُ لله لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلكُ، وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ رَبِّ أسألُكَ خَيرَ مَا في هَذه اللَّيلَة، وَخَيرَ مَا بَعْدَهَا، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ مَا في هَذه الليلة و شَرِّ مَا بَعْدَها ربِّ أعُوذُ بك مَنَ الكَسَل وسُوء الكبَر، رَبِّ أعُوذُ بكَ منْ عَذَاب فيَ النَّار وَعَذاب في القَبر**» وإذا أصبح قال ذلك أيضًا «**أصْبَحْنَا وأصبَح المُلْك لله...**»[3] رواه مسلم.

٦ ـ عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا منْ عَبـد يَقُولُ في صَبَاح كُل يَوم، وَمَسَاء كُل ليلَة، بسم الله الذي لا يَضر مَعَ اسمه شَيءٌ في الأرض ولاَ في السَّمَاء وَهُوَ السميعُ العَليم ثلاثَ مَرَّات لَمْ يَضُرُّهُ شَيء**»[4] رواه الترمذي وقال: حسن

---

(١) **حسن**: أبو داود رقم (٥٠٨٢) في «الأدب» باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي رقم (٣٥٧٥) في «الدعوات»، وهو في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٠٦).

(٢) **حسن**: أبو داود رقم (٥٠٦٨) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي رقم (٣٣٩١) في «الدعوات»، وابن ماجه رقم (٣٨٦٨) في «الدعاء»، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٧٢٣) في «الذكر والدعاء»، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٤) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٨٨) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي رقم (٣٣٨٨) في «الدعوات»، وابن ماجه (٣٨٦٩) في «الدعاء»، ورواه أحمد في «المسند» (١/ ٦٢، ٦٦) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٦٠) وصححه الألباني.

صحيح، وصححه الألباني.

٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «**أمَا لَو قُلْتَ حَيْنَ أمسَيْتَ: أعُوذُ بكَلمَات الله التامات منْ شَرِ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرُكَ**» [١] رواه مسلم.

٨ ـ وعنه أيضًا أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، مُرني بكلمات أقولها إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «**قُل: اللهمَّ فَاطرَ السَّمَوات والأرض عَالمَ الغَيب والشَّهَادَة، رَبَّ كُل شَيء ومَليكهُ، أشْهَدُ أنَّ لاَ إلهَ إلاَ أنت، أعُوذُ بكَ منْ شَر نَفْسي وَشَر الشَّيطَان وَشركه، وأنْ أقتَرف عَلَى نَفْسي سُوءًا أو أجرَه إلَى مسلم قُلْهُ إذَا أصبَحت، وإذَا أمسَيت، وإذَا أخذتَ مَضجَعَكَ**»[٢] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

١٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ[٣] قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللَّهمَّ إني أسألُكَ العَافيَة في الدُّنيَا والآخرَة اللهمَّ إني أسألُكَ العَفْوَ والعَافيَةَ في ديني ودُنْيَاي، وأهْلي ومَالي، اللهمَّ استُر عَوراتي وآمن رَوعَاتي، اللهمَّ احفَظني من بَين يَدَي ومن خَلفي وعَن يَميني وعَنْ شمَالي ومن فَوقي، وأعوذُ بعَظَمَتكَ أنْ أغتَالَ[٤] من تَحتي**» رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٧٠٩) في «الذكر والدعاء» باب في التعوذ من سوء القضاء.

(٢) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٦٧) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذي رقم (٣٣٩٢) في «الدعوات»، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٠٣) وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: أبو داود رقم (٥٠٧٤) في «الأدب»، باب: ما يقول إذا أصبح، وابن ماجه رقم (٣٨٧١) في «الدعاء» وصححه الألباني.

(٤) أغتال: يعني الخسف.

وأخيرًا اعرف عدوك

هذه معلومات عن عدوك اللدود إبليس عليه لعنة الله .

الاسم : إبليس

البلدة : قلوب الغافلين .

العشيرة : الطواغيت .

المكان الدائم : جهنم وبئس المصير .

الدرجة : فاسق من الدرجة الأولى .

الأقطار : التي لا يُذكر فيها اسم الله .

طريق الرحلة : عوجًا .

رأس المال : الأماني .

المجلس : الأسواق .

أعداء الرحلة : المسلمون .

الدليل : السراب .

شعار العمل : النفاق سيد الأخلاق .

لباس العمل : جميع الألوان كالحرباء فلكل مكان لون .

زوجة الدنيا : الكاسيات العاريات .

يحب من : الغافلين عن ذكر الله .

يُزعجه : الاستغفار .

كتابته : الوشم .

بيته : الخلاء، والحمام .

صفته : مذبذب حسب المصلحة .

بداية ظهوره: يوم أن رفض السجود لآدم.

زملاؤه: المنافقون.

مصدر رزقه: المال الحرام.

غرفة عملياته: الأماكن النجسة، ومحال المعاصي.

خدماته: يأمر بالمنكر، ويُرغب فيه.

أوامره: يأمر بالفحشاء.

الديانة: الكفر.

الوظيفة: مدير عام المغضوب عليهم، والضالين.

مدة الخدمة: إلى يوم القيامة.

جهة السفر: صراط الجحيم.

أرباح التجارة: هباءً منثوراً.

رفيق الرحلة: شياطين الجن والإنس.

نوع الركوبة: الكذب.

الأجرة: مأزور، هو وأتباعه.

جهاز الاتصال: الغيبة، والنميمة، والتجسس.

الطعام المفضل: لحم الأموات «الغيبة».

يخاف ممن؟ المؤمن التقي.

يكره مَنْ، الذاكرين الله كثيراً، والذاكرات.

الدافع: إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.

مصائده: النساء.

هوايته: الغواية، والضلالة.

أمنيته، أن يكفر الناس جميعًا.

نهايته: يوم الوقت المعلوم.

أفضل عمل له: اللواط، والسحاق.

كلمة السرِّ لأتباعه: «أنا» كلمة المتكبرين.

من مطربوه؟ الفنانون، والفنانات.

وعوده: يعدكم الفقر.

ما يُبكيه: كثرة السجود.

* * *


فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

الفصل السادس: تحصينات الإنسان ضد الشيطان